

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي

العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633-962 هـ/ 1235-1554 م)

إعداد الطالب:

عبد القادر بوحسون

إشراف الدكتور:

لخضر عبدلي

أعضاء لجنة المناقشة

أ. د. عبد الحميد حاجيات	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان
د. لخضر عبدلي	مشرفا	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان
د. مبخوت بودواية	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان
د. بسنوسي الغوثي	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان
د. بوداود عبيد	عضوا	أستاذ محاضر المركز الجامعي معسكر	

السنة الجامعية: 1428هـ/1429هـ 2007م/2008م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى اللذين قال الله سبحانه وتعالى في حقهما:

﴿ فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾

صدق الله العظيم

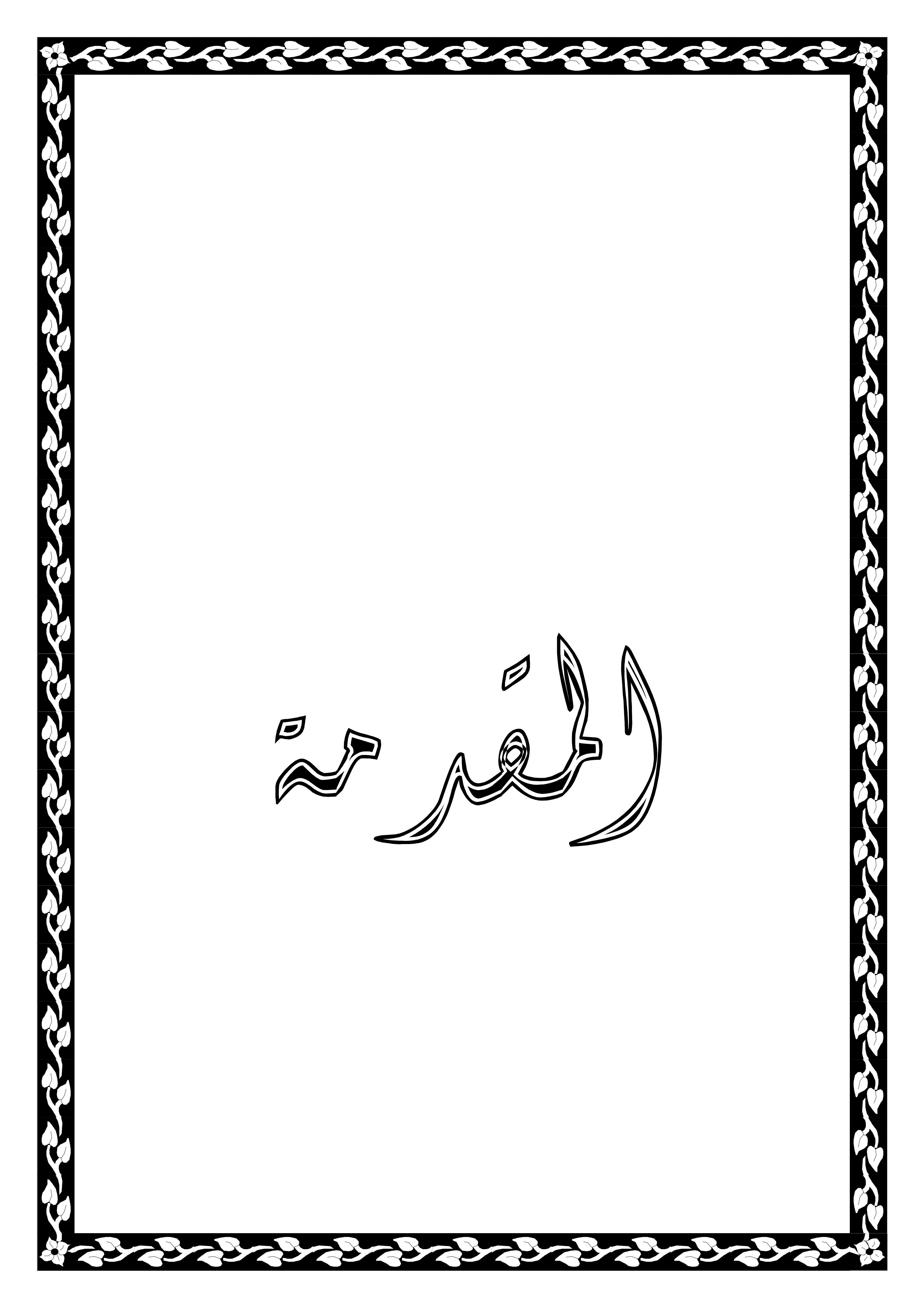
أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما وإلى الإخوة والأخوات (كـــريـــمـــة- نـــسـيـمـــة- مـحـمـد الأمـيـن و إسـمـاعـيـل).

كلمة شكر

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور عبدلي لخضر الذي تعهدني بالرعاية الدائمة والتوجيه المستمر وتحمل معي عناء إنجاز هذه المذكرة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى لجنة أعضاء المناقشة الذين شرفوني بمناقشة هذه المذكرة.

وكل من ساعدني من قريب أو من بعيد على إتمام هذا العمل وأخص بالذكر أساتذة قسم التاريخ بجامعةأبـي بكـر بلقايـد بتلمســـــان وعلى رأسهم الدكتور مبخوت بودواية، والدكتور بوحسون العربي رئيس قسم الفلسفة بجامعة تلمسان والأستاذ الدكتور أحمد عزوز مدير مختبر اللغة العربية والاتصال بجامعة وهران .


المقدمة

لقد كانت للمغرب الأوسط علاقات وروابط بين مختلف الأقطار، وفي مختلف المجالات: السياسية،الاقتصادية،الثقافية، سواء مع المغرب الأقصى والأدنى أو مع بلاد السودان الغربي والأندلس وكذا مع المشرق الإسلامي وأوربا المسيحية، ولعل العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس كانت هي الأبرز بين تلك العلاقات، ويظهر ذلك جليا من خلال نشاط التبادل الثقافي وحركة العلماء الكثيفة بين القطرين، وفي هذا الإطار تندرج مذكرتي التي تعالج موضوع **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني** أي خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي 633هـ/1236م إلى 962هـ/1554م، وهي الفترة الأبرز في تاريخ العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس.

وللموضوع أهمية كبيرة لأنه يسلط الضوء على الحياة الثقافية في كل من المغرب الأوسط والأندلس خلال الفترة المدروسة، ويتعرض لمشاهير العلماء بالقطرين مع إبراز دورهم في تمتين العلاقات والروابط الثقافية، ورغم هذه الأهمية لم توليه الدراسات التاريخية اهتماما كبيرا، وهذه من الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع ، إضافة إلى الطابع المميز الذي تكتسيه مثل هذه الدراسات والتي تلزم على الباحث إعمال الفكر وتوخي الدقة حتى يتمكن من الخروج باستنتاجات هامة حول الموضوع .

ولعل الإشكالية التي تتبادر الى الذهن عند دراسة مثل هذه المواضيع هي : فيما تكمن وتتجسد العلاقات الثقافية بين القطرين ؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات أهمها:

- كيف كانت الحياة الثقافية في كل من المغرب الأوسط و الأندلس خلال العهد الزياني؟
- ماهي العوامل المساعدة على تمتين العلاقات الثقافية بين القطرين؟
- ماهي أبرز مظاهر العلاقات الثقافية بين القطرين؟ وهل كان للعلماء دور كبير في تلك العلاقة؟

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها اعتمدت على خطة بحث مكونة من مقدمة وتمهيد عبارة عن لمحة تاريخية عامة عن المغرب الأوسط و الأندلس، ثم أربعة فصول:

ــ **الفصل الأول:** حاولت أن أبرز فيه مختلف العوامل المساعدة على ازدهار الحياة الثقافية في كل من المغرب الأوسط و الأندلس خلال الفترة المدروسة من خلال التطرق إلى دور السلاطين والمؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية وعوامل أخرى في كلا القطرين.

ــ **الفصل الثاني:** تطرقت فيه إلى أصناف العلوم المدروسة آنذاك النقلية و العقلية وأبرز علماء الفترة في كل من القطرين .

ــ **الفصل الثالث:** تعرضت فيه لمختلف العوامل المساعدة على تمتين العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس مثل الهجرات الأندلسية تجاه المغرب الإسلامي بصفة عامة و المغرب الأوسط بصفة خاصة، إضافة إلى تميز العلاقات السياسية و الاقتصادية بين القطرين ودورهما في تمتين العلاقات الثقافية وكذلك العامل الجغرافي و المذهبي اللّذان كان لهما دورا كبيرا في ربط العلاقات الثقافية بين القطرين .

ــ **الفصل الرابع :** تطرقت فيه لمظاهر العلاقات الثقافية بين القطرين والمتمثلة بصورة أساسية في حركة العلماء بين المغرب الأوسط والأندلس ودورهم في العلاقات الثقافية بين القطرين.

ثم خاتمة، وهي عبارة عن استنتاجات حول الموضوع أجبت فيها عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة في المقدمة، ودعمت المذكرة بملاحق عبارة عن صور وخرائط تتعلق بالمغرب الأوسط والأندلس إضافة إلى بعض القصائد و الرسائل المتبادلة بين علماء القطرين .

وقد اعتمدت على منهج تاريخي علمي قائم على السرد، وذكر المعلومات وتحليلها تحليلا عقليا، وذلك بعد الوقوف على أهم المصادر المتعلقة بالموضوع ومقارنة نصوصها، وتفسير الأحداث ومناقشتها، والتحري بالدقة والموضوعية قدر الإمكان، ومع كل ذلك فقد واجهتني العديد من الصعوبات لعل أبرزها قلة المصادر المتعلقة بالموضوع.

ومن واجب الاعتراف بالجميل والفضل أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور **لخضر عبدلي** الذي منحني الكثير من وقته وعلمه وتعهدني بالتوجيه الدائم والمستمر، وتحمل عناء قراءة فصول هذه المذكرة وتصحيحها، فجزاه الله

عني خير الجزاء، كما أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين أرجو أن أجد في توجيهاتهم خير معين على إخراج هذه المذكرة على أكمل وجه .

ـــ دراسةالمصادر:

لقد اعتمدت في إنجاز مذكرتي على عدة مصادر منها ما هو خاص بالدولة الزيانية أو بالأندلس خلال الفترة المدروسة، أو مصادر عامة عن بلاد المغرب والأندلس ، ومنها ما يتعلق بالسير والتراجم والجغرافيا، ومن جملة هذه المصادر:

- **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، وهو جزء من أجزاء الكتاب المعروف بالمسالك والممالك لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري المتوفى سنة (478هـ/1113م)، وقد نشره البارون دوسلان في باريس سنة 1965م، وقد وصف فيه صاحبه بدقة أهم الطرق والمدن المغربية .
- **كتاب وصف إفريقيا الشمالية** عن نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي عبد الله محمد الشريف المعروف بالإدريسي،المتوفى سنة (564هـ/1166م) وهو من المصادر الجغرافية المهمة لكونه يحتوي على معلومات وافية عن الطرق البرية والبحرية والمراسي والمدن بالمغرب والأندلس، وهي معلومات استقاها المؤلف من مشاهداته في رحلاته وأسفاره.
- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي المتوفى سنة 621هـ/1224م، وهو مصدر مهم أيضا كون مؤلفه عاصر الكثير من الأحداث التي ذكرها، والمتعلقة بأخبار المغرب الإسلامي وسير بعض ملوكه.
- **أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر عن ذلك من شجون الكلام** للسان الدين بن الخطيب(717-776هـ/1313-1374م) المؤرخ والوزير الغرناطي الشهير، وهو مؤلف مهم جدا مكون من ثلاث أقسام أهمها القسم الثاني الخاص بالأندلس الذي تطرق فيه إلى تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى عصره (القرن الثامن الهجري)، ونشره ليفي بروفنسال، إضافة إلى القسم الثالث الخاص ببلاد المغرب الإسلامي (من الفتح الإسلامي إلى بداية عهد الموحدين)، وحققه الأستاذان المغربيان أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، ونشر بالدار البيضاء سنة 1964م .

- **الإحاطة في أخبار غرناطة** لنفس المؤلف، وهو مؤلف هام جدا لأنه يحتوي على تراجم للعديد من العلماء المشهورين إضافة إلى بعض السلاطين والوزراء بالأندلس ، إضافة إلى كتاب **اللمحة البدرية في الدولة النصرية** لنفس المؤلف (لسان الدين بن الخطيب) والذي تحدث فيه عن مدينة غرناطة وتاريخ ملوكها وصفات أهلها وعاداتهم بالإضافة إلى كتب أخرى لنفس المؤلف .
- **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** لصاحبه أبي زكريا يحيى بن خلدون (ت780هـ/ 1378م)، وهو أخو عبد الرحمان بن خلدون، ويعد هذا الكتاب كذلك من المصادر الهامة والأساسية في دراسة التاريخ الزياني لكون صاحبه عمل كاتبا للرسائل في ديوان السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني(760-791هـ/1359-1389م)، مما مكّنه من الإطلاع على الوثائق الرسمية للدولة الزيانية، وقد نشره المستشرق ألفريد بيل في جزئين (1903-1911)، كما حقق الدكتور عبد الحميد حاجيات الجزء الأول منه سنة 1980 ولقد أفادني هذا المصدر في معرفة أصل قبيلة بني عبد الواد إضافة إلى دور سلاطين بني زيان والعلماء في الحياة الثقافية .

- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** لبرهان الدين إبراهيم بن علي ابن محمد بن فرحون اليعمري المالكي المتوفى سنة(799هـ/1403م) وقد ترجم فيه للعديد من علماء المذهب المالكي، و أفادني كثيرا في التعريف بالعلماء المالكية لاسيما علماء المغرب الأوسط و الأندلس، وإضافة إلى هذا الكتاب اعتمدت كذلك على هامشه **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** لأبي العباس أحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ/ 1624م) والذي ترجم فيه لحوالي ثمان مائة عالم وفقيه مالكي.
- **كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** لعبد الرحمان بن خلدون (732-808هـ/1332-1406)، وهو كتاب مهم لأن صاحبه أدى دور هام في الشؤون السياسية بالمغرب و الأندلس على حد السواء، فكان كتابه هذا استنباطا من تجاربه الخاصة أثناء عمله وتجواله في خدمة الملوك والسلاطين، سواء الحفصيين أو الزيانيين أو

المرينيين أو النصريين بغرناطة وهو في سبعة أجزاء، اعتمدت بصفة كبيرة على جزئيه 4 و7 وكذلك المقدمة التي أفادتني في الفصل الثاني عندما تطرقت لأهم العلوم التي كانت تدرس بكل من المغرب الأوسط والأندلس وكذا مناهج التعليم المتبعة بالقطرين .

- **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان لأبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني المتوفى سنة (889هـ/1494م) ، حققه محمود بوعياد سنة 1985م، وهو من أبرز وأهم مصادر الدولة الزيانية، جاء على شكل تاريخ مختصر شمل أهم مراحل الدولة العبد الوادية ما عدا ما يسيء إلى سمعتها من أخبار، وقد ألفه في عهد السلطان أبي عبد الله محمد المتوكل (866-873هـ/1462-1468م) الذي أعجب به كثيرا، وكان الهدف من تأليفه هو إثبات شرف هذا السلطان وشرف بني زيان.
- **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، وهو الآخر مصدر هام ترجم فيه صاحبه لمائة واثنين وثمانون عالم وولّي، ويحتوي على معلومات هامة عن الحياة العلمية والثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان.
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** لأحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ/1631م) وهو كتاب يحتوي على قسمين كبيرين، خصّ صاحبه القسم الأول للتعريف بالأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى غاية سقوط غرناطة، أما القسم الثاني فخصّه للتعريف بابن الخطيب حتى وفاته، وهو كتاب هام جدا لدراسة التاريخ الأندلسي، وقد أفادني كثيرا لاسيما وأنه يحتوي على الكثير من رسائل لسان الدين بن الخطيب والكثير من نثره وشعره.

وبالإضافة إلى هذه المصادر وغيرها، اعتمدت كذلك على العديد من المراجع باللغتين العربية والفرنسية، وعدة رسائل جامعية إضافة إلى عدة مقالات عن الموضوع المدروس.



أولا: الأوضاع السياسية بالمغرب الأوسط

1 . المغرب الأوسط قبل العهد الزياني

2 . دولة بني عبد الواد

2 . 1 . أصل بني عبد الواد

2 . 2 . تأسيس الدولة الزيانية

ثانيا: الأوضاع السياسية بالأندلس

1. قبل القرن السابع الهجري

2 . دولة بني نصر (بني الأحمر)

أولا: الأوضاع السياسية بالمغرب الأوسط:

1. المغرب الأوسط قبل العهد الزياني:

يراد بلفظ المغرب البلاد الإسلامية الواقعة من حدود برقة شرقا حتى ساحل المحيط الأطلسي غربا[1]، و قد ظهر هذا المصطلح في زمن الفتنة الكبرى التي قامت بين علي ابن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان، و لم يكن يقصد به ما هو عليه الآن وإنما قُصد به غرب العالم الإسلامي في تلك الفترة، و الذي كان يشمل مصر والشام[2]، و بعد توسع رقعة الدولة الإسلامية نتيجة الفتوح، أُطلق اسم المغرب على الأقاليم الواقعة غرب مصر، و هو ما يضم حاليا أقطار المغرب العربي، كما كانت تضاف إليه الأندلس و مصر[3] لكونها القاعدة السياسية و العسكرية و الثقافية لهذه المنطقة في تلك الفترة[4].

و بلاد المغرب في معظمها عبارة عن هضبة كبيرة تخترقها سلسلتان جبليتان تختلف أسماؤها من منطقة لأخرى، و يلي الجبال جنوبا نطاق صحراوي شاسع[5].

و قُسمت بلاد المغرب جغرافيا إلى ثلاث أقاليم كبرى و هي:

- **المغرب الأدنى:** و الذي كان يسمى إفريقية، عاصمته الأولى القيروان التي بناها عقبة بن نافع سنة 50- 55هـ/668- 672م، ثم تونس[6].
- **المغرب الأقصى:** يمتد من واد ملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ، كانت تسكنه في الأغلب قبائل المصامدة ، برغواطة ، صنهاجة ، مطغرة ، أوربة،...

([1]) حسين مؤنس، **المغرب و الأندلس**، مكتبة الأسرة، مصر، 2003، ص24.

([2]) موسى لقبال، **المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج**، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص14.

([3]) إسحاق اليعقوبي، **البلدان**، تحقيق محمد أمين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص180 أحمد بن أبي راس الناصر، **عجائب الأسفار و لطائف الأخبار**، تقديم و تحقيق محمد غالم، ج1، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية و الثقافية، وهران، (دت)، ص61.

([4]) لخضر عبدلي ، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962 هـ/ 1236- 1554م)** رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004- 2005، ص 18.

([5]) رضا كحيلة، **المغرب في تاريخ الأندلس و المغرب**، جامعة القاهرة، 1997، ص16

([6]) ابن الأثير الجزري، **الكامل في التاريخ**، ج3، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، ص 230.

– **المغرب الأوسط:** يتوسط المغربين الأدنى و الأقصى، و هو في الأغلب ديار زناتة كما يقول ابن خلدون[1] و قاعدته تلمسان[2]، و قد فتحت أجزاء منه في عهد أبي المهاجر دينار (55هـ/672م) الذي قاد حملة كبرى سنة 59هـ/ 676م ووصل إلى تلمسان، أين حفر عيون سميت باسمه (عيون أبي المهاجر)[3].

و استُكمل الفتح بمجيء عقبة بن نافع للمرّة الثانية ثم زهير بن قيس البلوي فحسّان بن النعمان ثم موسى بن نصير [4]، هذا الأخير انتهى في عهده الفتح الإسلامي لبلاد المغرب[5] ليبدأ عهد جديد،وهو عهد الولاة.

و نتيجة للسياسة القاسية لبعض الولاة، عرف المغرب الإسلامي قيام عدة ثورات بربرية، أهمها ثورة ميسرة و خالد بن حميد الزناتي سنة 122هـ/ 739م و ثورة ورفجومة بأرض الزاب[6] سنة 138هـ/ 756م [7] و غيرها.

و لم يكن المغرب الأوسط بمنأى عن هذه الأحداث إذ عرف هو الآخر ثورات مناهضة لسياسة الولاّة لعل أهمها ثورة أبي قرة بن دوناس المغيلي اليفريني سنة

([1]) قال عنها عبد الرحمن بن خلدون: " هذا الجيل في المغرب جيل قديم العهد ، معروف العين و الأثر و هم آخذون من شعائر العرب في سكنى الخيام، و اتخاذ الإبل، و ركوب الخيل، و التغلب في الأرض ... ونسبهم يعود إلى شانا أو جانا بن يحي بن صولات بن ورماك بن ضري بن رحيك بم مادغيس بن بربر أنظر: عبد الرحمان بن خلدون ، **العبر**، ج7، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2003، ص ص 3-4، ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب** ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، 1962 ص495، لخضر عبدلي ، المرجع السابق، ص19.

([2]) عبد الرحمان بن خلدون، **المقدمة** ، دار الجيل ، بيروت، (دت)، ص ص 65-66.

([3]) ابن عبد الحكم، **فتوح مصر و المغرب** ، نشره عبد المنعم عامر، القاهرة، 1961، ص197.

([4]) محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، **المؤنس في أخبار إفريقية و تونس**، ط2، دار المسيرة لبنان، مؤسسة سعيدان، تونس، 1993، ص ص 37- 54.

([5]) ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص ص 112- 113.

([6]) يطلق إقليم الزاب على بسكرة و أعمالها: يبتدئ غربا من تخوم المسيلة و يمتد شرقا إلى إقليم الجريد بتونس وهو منطقة رملية شديدة الحرارة، أنظر: حسن الوزّان، **وصف إفريقيا**، ج2، ط2، ترجمة محمد حجي محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1983، ص138.

([7]) عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 333.

148هـ/ 766م الذي كان رئيسا لمغيلة و بني يفرن نواحي تلمسان[1]، و ثورات أخرى، كان من بين نتائجها قيام الدولة الرستمية سنة 144هـ/ 761م بزعامة عبد الرحمان بن رستم الإباضي، الذي اتخذ تيهرت [2] عاصمة له[3]. وكذلك قيام دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، و التي زحف مؤسسها إدريس الأول إلى تلمسان سنة 174هـ/ 790م[4] بعد ما خلُص له المغرب الأقصى، و قد تلقاه أمير زناتة و تلمسان محمّد بن خزر بن صولات المغراوي، و دخل في طاعته، فملك إدريس تلمسان واختط مسجدها ووضع منبره، ثم رجع إلى المغرب الأقصى، و ترك محمد بن خزر المغراوي أميرا على تلمسان [5]، و بعد مقتل إدريس سنة 175هـ/ 791م، قدم أخوه سليمان بن عبد الله إلى المغرب، و دخل تاهرت حيث طلب الأمر (الحكم) هناك، لكن البربر لم يصدقوه أنه أخو إدريس فسار إلى تلمسان التي بايعه أهلها[6].

و في سنة 199هـ/ 805م نهض إدريس الثاني أو الأصغر الذي خلف والده إدريس الأكبر إلى تلمسان بعد أن استدعاه ابن عمه محمد بن سليمان ليستعين به على أعدائه[7]، و بعد وفاة إدريس الثاني اقتسم بنوه أعمال المغرب بإشارة من أمه كنزة[8]

(1) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق ،ج7، ص ص 14- 15.

(2) تيهرت مدينة بالمغرب الأوسط، تقع في سفح جبل يقال له جبل جزّول، و بالقرب منها نهر مينة، نزلها عبد الرحمان بن رستم الإباضي سنة 144هـ/762م، و بايعه أهلها ، أنظر: عبيد الله البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب**، نشر دوسلان، باريس، 1965، ص ص 66- 69 ، أبو عبد الله المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط2، دار صادر، بيروت، 1909، ص228.

(3) محمد بن عميرة، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص ص 118-119.

(4) تذكر بعض المصادر أن إدريس الأوّل دخل تلمسان في سنة 173هـ/ 789م و ليس سنة 174هـ/ 790م، أنظر: أبو عبد الله التنسي، **تاريخ دولة الأدارسة**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984، ص35.

(5) ابن خلدون ، **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص90، التنسي، المصدر السابق، ص35.

(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص 90، التنسي، المصدر نفسه، ص 65.

(7) التنسي ، المصدر نفسه، ص ص 65- 66، لخضر عبدلي ، المرجع السابق، ص24.

(8) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص90.

الأمر الذي أضعف كثيرا دولة الأدارسة، و جعلها تسقط بأيدي الفاطميين[1] الذين تمكنوا من الاستيلاء على بلاد المغرب الإسلامي، والقضاء على الدويلات المستقلة به[2]، و قد ولّوا أمر المغرب الأقصى لموسى بن أبي العافية، الذي نهض إلى تلمسان سنة 319هـ/ 930م، و أخرج بني سليمان منها[3].

و قد تخوف الأمويون في الأندلس من امتداد نفوذ الفاطميين إليهم، إذ أصبح لا يفصل بينهم سوى مضيق جبل طارق، ممّا جعل عبد الرحمان الناصر (300-350هـ/ 912- 961م) يعمل على اصطناع رؤساء القبائل ببلاد المغرب [4]، و كذلك الأمر بالنسبة لولده الحكم المنتصر، و الذي دعى له محمد بن الخير بن محمد بن خزر[5]، الذي تولى أمر تلمسان سنة 360هـ/ 971م، و كانت له حروب مع بني زيري قُتل في إحداها، فصارت بذلك تلمسان خاضعة لحكم صنهاجة [6]، ثم لم يلبث أن استقل زيري بن عطية ببلاد زناتة، إلى أن طرده المنصور بن أبي عامر، و عقد للمعز بن زيري على أعمال المغرب سنة 396هـ/ 1005م، و الذي استعمل على تلمسان ابنه يعلى، و بقي الأمر على هذه الحالة إلى أن ذهب أمرهم على يد المرابطين[7] الذين دخلوا المغرب الأوسط بقيادة يوسف بن تاشفين سنة 468هـ/ 1074م، فأخضعوا

([1]) عن الدولة الفاطمية أنظر: ابن خلدون، **العبر**،المصدر السابق، ج3، ص ص 209- 212، شهاب الدين النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج28، تحقيق محمد محمد أمين، محمد حلمي، محمد أمين، مركز تحقيق التراث القاهرة، 1992، ص ص 63- 344.

([2]) ابن خلدون ، **العبر** ، المصدر نفسه، ج4، ص ص 37- 45.

([3]) نفسه، ج7 ، ص 91.

([4]) نفسه، ج4، ص 169، عبد العزيز فيلالي ، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1982، ص ص 139- 140.

([5]) محمد بن الخير بن محمد بن خزر الزناتي المتوفى سنة 360هـ/971م، تولى أمر زناتة بعد وفاة يحلى ابن محمد ، و هو أحد أبرز أمراء زناتة، أنظر: تقي الدين المقريزي، **المقفى الكبير**، تراجم مغربية و مشرقية من الفترة العبيدية، ط1، تحقيق محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص ص 25-53.

([6]) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 91.

([7]) لخضر عبدلي ، المرجع السابق، ص ص 25-26.

تلمسان، تنس[1]وهران،جزائر بني مزغنى، ووصلوا إلى حدود بني زيري سنة 475هـ/ 1082م[2]، وبقي المغرب الأوسط خاضعا لهم إلى أن أخضعه الموحدون لنفوذهم سنة 547هـ/ 1153م، بعدما أسقطوا دولة المرابطين[3]، وبقي الأمر على حاله حتى ضعف أمر الموحدين، و توزعت بلاد المغرب الإسلامي ثلاث دول، دولة بني حفص[4] بالمغرب الأدنى ودولة بني مرين[5] بالمغرب الأقصى ودولة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط[6].

(3) تنس مدينة قديمة، كان بها سور حصين، وكانت مقصدا للأندلسيين، أنظر:ابن حوقل، **صورة الأرض**،ج1، دار صادر، بيروت، 1928، ص 77، أبو عبد الله الإدريسي، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**، تحقيق إسماعيل العربي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 151 .

([2]) لسان الدين بن الخطيب، **أعمال الأعلام**، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص ص225-265 .

([3]) أبو بكر بن علي الصنهاجي (البيدق)، **أخبار المهدي بن تومرت**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974، ص ص100-102، عبد العزيز سالم،المرجع السابق،ج2، ص ص684-685.

([4]) ينتسبون إلى أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي، أحد العشرة من أصحاب المهدي ، وقد كانت لهم مكانة كبيرة (بني حفص) في الدولة الموحدية، إذ تقلدوا مناصب هامة في الدولة، و يعد أبو زكرياء الحفصي المؤسس الحقيقي للدولة الحفصية، أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر،1948، ص ص 103-104، ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج7 ص 197، لخضر عبدلي ، المرجع السابق ص29.

([5]) هم فخذ من الطبقة الثانية من قبيلة زناتة، و هم ينتسبون إلى مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن حديج ابن فاتن بن يادر بن يخفت بن عبد الله بن ورتانيص بن المعز بن إبراهيم بن ساحيك بن واسين، و هم إخوة بنو يلومي و مديونة أنظر:اسماعيل بن الاحمر، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، 1962، ص ص 8-10 ، ابن خلدون،**العبر**، المصدر السابق، ص 196.

(8) Georges Marçais, **Tlemcen**,édition du tell,Algérie,2003, p 33 .

2. دولة بني عبد الواد:

1.2 . أصل بني عبد الواد:

يعود بنو عبد الواد في الأصل إلى قبيلة زناتة الكبرى، و هم عدة بطون: منهم بنو ياتكين بنو وللّو، مصوجة، بنو ورسطيف و بنو القاسم[1] ، و من هذا الأخير ينحـــدر بنو عبد الواد، و إن كانت المصادر تتفق على هذا فإنهم يختلفون في نسب القاسم، إذ يروى أن القاسم نزل على بطن بني عبد الواد، و تزوج منهم و نسل ذرية كبيرة[2]، و بذلك يرفعون نسبه إلى آل البيت، من ذرية على بن أبي طالب، و لكن عبد الرحمان بن خلدون ينفي ذلك، و يقول أنّه مجرّد زعم اتفق عليه بنو القاسم، و حتى يغمراسن بن زيان (633-681هـ/ 1236- 1283م) أوّل سلاطين بني عبد الواد، لما رفعوا نسبه إلى آل البيت، أنكر ذلك و قال بالزناتية ما معناه: " إن كان هذا صحيح فينفعنا عند الله أما الدنيا فنلناها بسيوفنا"[3].

و كان بنو عبد الواد قبل الملك يستوطنون المناطق الجنوبية من المغرب الأوسط و يجوبون الصحراء بمواشيهم، و يتردّدون ما بين فكيك و مديونة إلى جبل بني راشد و مصاب[4]، و بقوا على تلك الحال حتى تغلب الموحدون على أعمال المغرب الأوسط، فكان بنو عبد الواد سبّاقين إلى طاعتهم، و من أخلص أوليائهم و أنصارهم فاتخذهم الموحدون حماة لقطر تلمسان وبلاد زناتة[5].

([1]) يحيى بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**،ج1، تحقيق عبد الحميد حاجيات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر،1980،ص186 .

([2])عن نسب القاسم أنظر: أبو عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، تحقيق محمود بوعياد المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985،ص110، يحيى بن خلدون،المصدر نفسه، ص186.

([3]) ابن خلدون، **العبر** ، المصدر السابق، ج7، ص86، وفي رواية أخرى قال: " أما الدنيا والملك فنلناهما بسيوفنا لا بهذا النسب، وأما نفعه في الآخرة فمردود إلى الله " انظر:ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق ص73.

([4]) لخضرعبدلي، المرجع السابق، ص ص29-30.

([5]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص198.

2.2. تأسيس الدولة الزيانية:

استغل بنو عبد الواد ضعف الموحدين نتيجة انشغالهم بقمع الثورات المناهضة لهم كثورة بني غانية[1]، و انشغالهم بحرب القشتاليين بالأندلس إضافة إلى ثورات القبائل كثورة علوان الغماري سنة 595هـ/ 1198م، ثورة أبي قصبة عبد الرحمان 597- 600هـ/ 1200- 1203م و غيرها [2].

أمّا الحادث البارز و الذي كان له تأثير مباشر في ضعف الموحدين هو انهزامهم في معركة حصن العقاب بالأندلس ضد النصارى سنة 609هـ/1212م[3]، و التي كانت بداية لنهاية الوجود الإسلامي بالأندلس، إذ استولى المسيحيون بعدها على عدد من المدن والحصون و عاثوا فيها فسادا[4].

و نتيجة لضعف الدولة الموحدية صار شيوخ القبائل المحالفة يتدخلون في شؤون الحكم، ووصل الأمر بهم إلى حد تغيير الخلفاء، و في هذه الظروف بسط بنو عبد الواد نفوذهم على ضواحي المغرب الأوسط، و لما شعر الوالي الموحدي[5] بخطرهم اعتقل جماعة من أعيانهم ، فتشفع فيهم إبراهيم بن إسماعيل اللمتوني، أمير المستخدمين في جند تلمسان، و لما ردّت شفاعته ثار على الوالي الموحدي أبو سعيد عثمان و أطلق سراح شيوخ بني عبد الواد، و كان هدفه إحياء الدولة اللمتونية من جديد، فأراد

([1]) بنو غانية من أعقاب علي بن يحيى المسوفي الذي كان مقربا من علي بن تاشفين، و تزوج امرأة من القصر المرابطي تدعى غانية، فولدت له ولدان محمد و يحي الذين تربيا في بلاط المرابطين، و لما كبرا عُينا ولاّة بالأندلس، و توفي يحي زمن ظهور الموحدين، أما محمد فقد استولى على عدة جزر بالأندلس ، و بعد وفاته خلفه ابنه إسحاق الذي رفض الدخول في طاعة الموحدين، و أوصى بذلك بنيه من بعد، و كانت لبنيه حروب طويلة مع الموحدين، أنظر: عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شرحه صلاح الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص ص 195-196، عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام** ، ج1، ط1، المطبعة العربية ، الجزائر، 1953، ص ص 371-373.

([2]) عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص ص 816- 819.

([3]) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 235.

([4]) ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس** تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصورة للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972، ص 117.

([5]) كان والي تلمسان آنذاك أبو سعيد عثمان بن يعقوب المنصور، أخو الخليفة الموحدي إدريس المأمون (624-630هـ/ 1227- 1232م)، أنظر: التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص 112.

التخلص من بني عبد الواد، و دبّر خطة لقتل أشياخهم، لكن أمره انكشف، و اعتقل هو و أصحابه و أثناء ذلك دخل جابر بن يوسف شيخ بني عبد الواد تلمسان، و دعا للمأمون الموحدي سنة 627هـ/ 1229م[1]، و بايعته أحواز تلمسان ما عدا ندرومة فزحف إليها و حاصرها، و قُتل بها سنة 629هـ/ 1232م[2]، فعُين بعده ابنه الحسن ثم ترك هذا الأخير الأمر لعمّه عثمان في نفس السنة 629هـ/ 1232، ثم عُزل و عُين مكانه أبو عزة زيدان بن زيـــــان[3] ، و بعــــد وفاته قُـــدّم أخــوه يغمــــراسن ابن زيان[4] سنة 633هـ/ 1236م، و الذي استقل بالحكم، و علا به صيت الدولة العبد الوادية[5]، إذ اتخذ الآلة و رتّب الوزراء والجند واتّخذ الكتاب، و بعث في الجهات العمال، و لبس شارة الملك و السلطان[6].

ثانيا:الأوضاع السياسية بالأندلس:

1. قبل القرن السابع الهجري:

يطلق اسم الأندلس على القطر الواقع شمال عُدوة المغرب، و هي شبه مثلث تحيط به المياه من جهاته الثلاث، فمن الجنوب بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ومن الغرب بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)، و مـــن الشمـــال بحـــر الأنقليشيـــن(بحر الشمال) ولذلك سميت بالجزيرة [7]، أما سبب تسميتها بالأندلس، فقد اختلف المؤرخون في ذلك، فمنهم من قال أنها سميت على الأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح الذي

(1) التنسي ، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص 112، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص 199.

(2) نفسه، ص 113.

(3) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص93، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص200.

(4) يغمراسن بن زيان (633- 681هـ/ 1236- 1283م) أوّل سلاطين بني عبد الواد ، و مؤسس دولتهم قال فيه عبد الرحمان بن خلدون: " كان من أشدهم بأسا، و أعظمهم في النفوس مهابة، و جلالة" ، أنظر: ابن خلدون ، **العبر** ، المصدر نفسه ، ج7، ص93.

(5) يحيى بن خلدون ، المصدر السابق، ص 200.

(6) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص93.

(7) ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص62، الإدريسي، المصدر السابق، ص ص 255- 258، القلقشندي **صبح الأعشى**، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ص212.

نزلها، كما نزل أخوه سبت العدوة المقابلة، و إليه تنسب سبتة[1]، و قيل نزلها شخص يسمى القندلش فعرفت به، و لما دخلها المسلمون عرّبوا الاسم إلى الأندلس[2] ، و منهم من قال أنها سميت نسبه للوندال (الفندال) الذين نزلوا بالسهل الواقع جنوب النهر الكبير، فأطلقوا اسمهم عليه (فاندلوسيا)، و لما قدم المسلمون سمّوها الأندلس [3]

أما اسم إسبانيا فقيل سميت على رجل حكمها من القوط يدعى إشبان بن طيطش الذي بنى مدينة إشبيلية، و سميت باسمه، ثم عُمّم الاسم على كامل الأندلس[4].

و كان اسم الأندلس يطلق في البداية على كامل إسبانيا، ثم أصبح مقتصرا على المناطق التي ساد فيها الإسلام من شبه الجزيرة الإيبيرية، و لما تراجع النفوذ الإسلامي بها، اقتصر الاسم على مملكة غرناطة[5].

و أوّل من دخل الأندلس من المسلمين على ما يُروى هو طريف البربري الذي تنسب إليه جزيرة طريف[6]، و هو أحد موالي موسى بن نصير، و قد جاز سنة 91هـ/710م، و عاد بغنائم كثيرة، مما جعل موسى بن نصير يعقد لوالي طنجة طارق ابن زياد للجواز إلى الأندلس[7]، فدخلها سنة 92هـ/711م، و إليه ينسب جبل الفتح

([1]) أحمد بن محمد المقري ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق محمد البقاعي، ج1، ط1، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1998 ص123.

([2]) ابن خلدون، **العبر** ، المصدر السابق، ج4، ص140.

([3]) القلقشندي، المصدر السابق، ص211، شكيب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية** المجلد الأول، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (دت)، ص32.

([4]) المقري، المصدر السابق، ج1، ص123، ابن الأثير ، المصدر السابق، ج3، ص119.

([5]) الفتح بن خاقان، **تاريخ الوزراء و الكتّاب و الشعراء بالأندلس**، تحقيق مديحة الشرقاوي ،ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد، 2001، ص6، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص262.

([6]) طريف مدينة صغيرة، أمامها جزيرة في البحر، أنظر: ابن سعيد الغرناطي، **المغرب في حلى المغرب** تحقيق خليل المنصور، ج1، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997، ص242.

([7]) المقري ، المصدر السابق، ج1، ص187.

أوجبل طارق، و تمكن طارق من الاستيلاء على قرطبة [1] و قتل ملك الروم بها لوذريق و فتح مدن عديدة[2].

و بذلك أصبحت الأندلس ولاية إسلامية يحكمها وال يُعين من قبل الخليفة أو والي إفريقية، إلى أن استطاع عبد الرّحمان بن معاوية بن هشام (الداخل) الاستيلاء على الأندلس بمساعدة موالي بني أمية، و إحياء الدولة الأموية بالمغرب بعدما اندثرت بالمشرق[3].

و عظمت الأندلس في عهد بني أمية، إذ ظهرت هيبتهم ، و راعوا أحوال الشرع كما عظّموا العلماء و الفقهاء، كعبد الرحمان الداخل صقر قريش [4] و الذي كان هو نفسه من أهل العلم ، و ابنه هشام الذي كان من أئمة العدل حتى قيل أنه كان بمنزلة عمر بن عبد العزيز[5].

و مع بداية القرن 4هـ/10م عرفت الأندلس أوج ازدهارها، سيما بعدما أعلن عبد الرحمن الناصر الخلافة سنة 300هـ/912م، و تسمى بأمير المؤمنين، و أخمد

([1]) قرطبة مدينة عظيمة مشيدة على أطراف الوادي الكبير، الجامع لأودية الأندلس : و هي قاعدة الأندلس و دار الخلافة الأموية ، و مدينة العلم و العلماء ، أنظر: ابن بسّام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، القسم الأول ، تحقيق إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب، ليبيا ، تونس، 1981، ص33.

([2]) أحمد بن عميرة الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس** ، تحقيق روحية عبد الرحمان السويفي ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1997، ص ص 15-16، الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية و المغرب** تحقيق المنجي الكعبي، نشر رفيق السفطي، تونس، (دت)، ص ص 4-7.

([3]) لسان الدين بن الخطيب، **أعمال الأعلام**، القسم الثاني، تحقيق ليفي بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2006، ص ص 32-40، أبو بكر بن القوطبة، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989، ص ص 32-40، مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها** ، تحقيق إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1989، ص ص 121-131.

([4]) الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور هو الذي أطلق على عبد الرحمان الداخل لقب صقر قريش، إذ قال يوما لجلسائه: صقر قريش عبد الرحمان بن معاوية الذي عبر البحر و قطع القفر ، و دخل بلدا أعجميا منفردا بنفسه فمصّر الأمصار ، و جنّد الأجناد، و دوّن الدواوين ، و نال ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره أنظر: **أخبار مجموعة**، المصدر السابق، ص ص 159-160، ابن الأثير ، المصدر السابق، ج4، ص ص 360-363.

([5]) ابن الخطيب، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص 10-12.

الثورات المناهضة له، و استطاع توسيع رقعة الدولة الأموية بالأندلس حتى قيل أنه لم يبق في عهده مخالف و لا نازعه منازع[1].

و لكن سرعان ما عرفت الأندلس الضعف نتيجة الصراع على السلطة، خاصة بعد وفاة المنصور بن أبي عامر الحاجب الذي استطاع بدهائه أن يغتصب السلطة من الخليفة هشام المؤيد بالله الذي تولى الخلافة سنة 365هـ/975م، بعد والده المستنصر و رغم أن أهل الأندلس كانوا يرو في المنصور بن أبي عامر أنه مغتصب للخلافة من أصحابها فإنّه كان محبوبا نظير الأعمال الجليلة التي قام بها [2]، و بعد وفاته تدهورت أوضاع الأندلس، فاستبد أمراء الولايات الأندلسية، و ظهرت دويلات الطوائف[3]، إذ انقسمت الأندلس إلى حوالي عشرين إمارة أهمها : إمارة بني عباد بإشبيلية [4] بني ذي النون بطليطلة[5] بني توجيب، و بني هود بسرقسطة[6]، العامريون في بلنسية[7]، و بني زيري في غرناطة، و إمارات أخرى[8].

([1]) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص 29-30.

([2]) من تلك الأعمال جهاده ضد النصارى ، تحقيق العدل و الأمن ، تخليد عدد من المنشآت ، أنظر: ابن الخطيب، المصدرنفسه، ص ص 59-83،ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق،ج4، ص ص 176-178 محمد لبيب البتنوني ، **رحلة الأندلس** ، دار المصري للطباعة، 1998، ص 36.

([3]) المقري، المصدر السابق، ج1، ص176.

([4]) إشبيلية : مدينة كبيرة بالأندلس، على نهر قرطبة، كانت دار ملك بني عباد، اشتهرت بزراعة القطن الذي كان يحمل منها إلى مختلف مدن الأندلس و المغرب ، أنظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص 193.

([5]) تقع مدينة طليطلة في الجنوب الغربي من مدريد، تحيط بها الغابات ، و يمر بها نهر التاج ، أنظر: علي بن سالم الورداني، **الرحلة الأندلسية**، تحقيق عبد الجبار الشريف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر الدار التونسية للنشر ، تونس، 1984، ص 53.

([6]) سرقسطة: من أهم قواعد الأندلس ، كبيرة القطر ، واسعة الشوارع ، كان بها صور حصين ، تقع على ضفة النهر الكبير المعروف بأبرة، و تسمى أيضا بالمدينة البيضاء، لكثرة جصّها و جيرها، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 278.

([7]) تقع بلنسية شرق قرطبة، تعرف بمدينة التراب ، و هي في غاية الخصب و اعتدال الهواء ، كانت تعرف بمطيب الأندلس، أنظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص 195، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 265.

([8]) عن دويلات الطوائف أنظر: ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 186- 195.

و قد استغل النصارى هذه الأوضاع بعد تفرق المسلمين و اختلافهم فيما بينهم فراحوا يغيرون على تلك الإمارات أو الدويلات الواحدة تلو الأخرى، مما جعل بنو عباد و أميرهم المعتمد بن عباد[1] يستنجدون بالمرابطين الذين لبّوا نداءهم[2] ، إذ جاز يوسف بن تاشفيين سنة 479هـ/ 1086م ودخل في حرب مع النصارى، و انتصر عليهم مع جيوش الطوائف في موقعة الزلاّقة في رجب من نفس السنة (479هـ/ أكتوبر 1086م) [3]، ليعود بعد ذلك إلى المغرب ، و سرعان ما تجددت الصراعات و عاد النصارى لعدوانهم على المسلمين، فأجاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس مرة ثانية سنة 481هـ/1088م، و بعد تخاذل جيوش الطوائف عاد إلى المغرب ناقما على أمراء الأندلس، و بعد سنتين من ذلك رجع إلى الأندلس (483هـ/1090م) ، و شرع في القضاء على أمراء الطوائف، و تمّ له ذك، و أصبحت الأندلس خاضعة للمرابطين[4].

و لمّا ظهرت دعوة الموحدين المعارضة للمرابطين، و دخولهم معهم في حرب ضدهم ، تجددت الثورات و الفتن بالأندلس [5]، ولمّا استقام الأمر للموحدين لم يغفلوا أنظارهم عن الأندلس، لا سيما بعد استنجاد الأندلسيين بهم ضد النصارى، فبعث عبد المؤمن بن علي بجيش تحت إمرة إبراهيم بن براز المسوفي سنة 541هـ/ 1147م وبعدما استولى على الكثير من المدن كإشبيلية و لبلة[6]، تحرك عبد المؤمن بنفسه إلى

([1]) المعتمد بن عباد ، صاحب إشبيلية و قرطبة و ما والاهما من جزيرة الأندلس ، أحد أكبر و أعظم أمراء الطوائف بالأندلس ، أنظر: أحمد بن خلّكان، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان،** ج1، المطبعة الميمنية، مصر،1310هـ، ص ص 27-35، أنظر كذلك : حامد محمد خليفة، **إنتصارات يوسف بن تاشفين** ، مكتبة الصحابة، الشارقة، 2004، ص ص 195- 221.

([2]) عن دور المرابطين بالأندلس أنظر: علي محمد الصلابي، **فقه التمكين عن دولة المرابطين،** ط1 مؤسسة إقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، 2006، ص ص 66-125.

([3]) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام،** المصدر السابق ، القسم الثالث، ص ص 253- 264.

([4]) نفسه، القسم الثاني، ص ص 246- 247، المقري، المصدر السابق، ج1، ص 341.

([5]) ابن خلدون، **العبر** ، المصدر السابق، ج4، ص ص 198- 199، ابن الخطيب، المصدر نفسه، القسم الثاني، ص 248.

([6]) لبلة مدينة حسنة بالأندلس ، لها سور منيع، و بها أسواق و تجارات و منافع جمّة، أنظر الإدريسي المصدر السابق، ص 265.

الأندلس سنة 555هـ/ 1160م[1]، و في سنة 591هـ/ 1195م أجاز يعقوب المنصور و استطاع أن يهزم أدفونش الثامن ملك قشتالة في معركة الأرك[2].

و بعد وفاة المنصور خلفه ابنه الناصر، و الذي بدوره أجاز إلى الأندلس سنة 609هـ/ 1212م، و التقى بجيش الأدفونش بموضع يعرف بالعِقاب بالقرب من حصن سالم غير بعيد عن مدينة جيان [3]، و قامت المعركة في صبيحة يوم الاثنين 15 صفر 609هـ الموافق لـ 16 جوان 1212م و انتهت بهزيمة المسلمين[4].

و نتيجة لذلك تصاعدت حدة هجمات النصارى على المسلمين بالأندلس، مملكة أراغون من الشرق و قشتالة من الشمال و البرتغال من الجنوب ، و فشل الموحدون في صدّ هجماتهم، و مما زاد من ضعف الموحدين تلك الثورات التي قامت ضدهم كثورة بني مردنيش بشرق الأندلس ، و ثورة أبي سعيد عثمان سعيد بن الحكم الأموي بمنرقة[5]، ولعل أهم ثورة هي ثورة محمد بن يوسف بن هود الجذامي، و الذي خرج من مرسية سنة 625هـ/1228م و استولى على مناطق واسعة من الأندلس[6].

([1]) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 265، أنظر كذلك البيذق، المصدر السابق، ص ص 148-150، يحيى بوعزيز، "**شخصية عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي و دوره في إقامة الدولة الموحدية الكبرى (487-558هـ/ 1095-1163م)**"، **أعمال وحدة البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية** جامعة وهران، 1985، ص33.

([2]) ابن خلدون ، **العبر** ، المصدر السابق، ج4، ص200.

([3]) جيّان مدينة بالأندلس، كثيرة الخصب، رخيصة الأسعار ، كثيرة اللحوم، أنظر: الإدريسي ، المصدر السابق، ص 295، القلقشندي ، المصدر السابق، ج5، ص ص 229-230.

([4]) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 235- 236.

([5]) ابن الخطيب ، **أعمال الأعمال**، المصدر السابق، القسم الثاني ، ص ص 270-277، ابن خلدون ، العبر المصدر السابق، ج4 ص 198.

([6]) ابن الخطيب ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج2، ط1، شركة طبع الكتب العربية ، مصر، 1901، ص ص90-93، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام** ، المصدر نفسه، القسم الثاني، ص ص 277- 286، ابن خلدون، **العبر** المصدر نفسه، ج4، ص ص 201-204.

2. دولة بني نصر (بني الأحمر):

كانت معظم الأندلس في النصف الأول من القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي في يد محمد بن يوسف بن هود، الذي تغلب على شرق الأندلس، و قد تصدى له محمد بن يوسف بن نصر الذي يعرف بالشيخ، و بابن الأحمر[1]، و بعدما أظهر هذا الأخير شجاعة و بأسا بويع له سنة 629هـ/1232م بضواحي جيان،ثم استولى على غرناطة، واتخذها عاصمة لملكه 635هـ/1238م[2]، وانحصرت حدود هذه المملكة في جنوب الأندلس بين نهر الوادي الكبير[3] شمالا والبحر المتوسط جنوبا، و ضمت ثلاث ولايات كبرى هي:

* غرناطة: و أهم مدنها غرناطة، لوشة، وادي آش[4].
* مالقة: أهم مدنها مالقة، رندة[5]، الجزيرة الخضراء[6]، جبل طارق[7].
* ألمرية: و أهم مدنها ألمرية، برجة، بيرة[8].

([1]) لسان الدين بن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1980 ص 32.

([2])ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص 33، ابن خلدون ، **العبر** ، المصدر السابق، ص ص 204-205.

([3]) نهر كبير بإسبانيا ، لا زال إلى اليوم يسمى بهذا الاسم (غواد لكبيير)، أنظر الورداني، المصدر السابق ص56.

([4]) وادي آش عبارة عن رصيف تجتمع فيه طرق كثيرة مشيدة بين الجبال ، أهلها أهل بادية ، أنظر: أحمد بن مهدي الغزّال، **نتيجة الاجتهاد في المهادنة و الجهاد**، تحقيق إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1984، ص 193، الإدريسي ، المصدر السابق، ص 295.

([5])رندة إحدى معاقل الأندلس الممتنعة وقواعدها السامية المرتفعة، أنظر: ابن سعيد ، المصدر السابق ص 257.

([6]) الجزيرة الخضراء، من أحسن مدن الأندلس و أطيبها ، و أجمعها لخيري البر و البحر ، أرضها أرض زرع وضرع، ابن سعيد، المصدر نفسه، ص 257.

([7]) جبل طارق يسمى كذلك جل الفتح، و يسمى جبل طارق، لأن طارق بن زياد الزناتي لما جاز إلى الأندلس بمن معه من البربر تحصنوا بهذا الجبل ، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 263

([8]) لسان الدين بن الخطيب، **كناسة الدُكان بعد انتقال السّكان**، تحقيق كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2003، ص ص 13-15.

و عرفت مملكة غرناطة تدفق العديد من المهاجرين إليها بعد أن استولى النصارى على مدنهم و حصنوهم، كبلنسية، مرسية[1]، جيان، إشبيلية، قرطبة وغيرها[2].

وواجه ابن الأحمر (مؤسس الدولة) عدة مشاكل و صعوبات لعل أبرزها الثورات المناهضة له من جهة، و إغارة النصارى على المدن و الحصون التي استولى عليها، الأمر الذي جعله يستنجد ببني مرين، و يعهد قيادة الجيش إلى قواد مغاربة عُرفوا باسم شيوخ الغزاة، و أهمهم أسرة بني يعلي و على رأسهم الشيخ عثمان بن أبي العلاء إدريس بن عبد الله[3]، و كان لشيوخ الغزاة[4] دورا كبيرا في محاربة النصارى إذ حققوا انتصارات هامة، و لكن في المقابل كانوا أيضا شوكة خطيرة على عرش بني الأحمر يحسب لها حسابها، إذ كانوا في بعض الأحيان يتدخلون في شؤون الحكم حتى وصل بهم الأمر إلى حد عزل السلطان و تعيين آخر مكانه[5].

و من أهم ملوك بني نصر (بني الأحمر) محمد بن يوسف بن نصر (635-671هـ/ 1238-1272م) أول سلاطين بني نصر، و المعروف بالشيخ[6]، و قد دعا للمنتصر العباسي، وحذا في ذلك حذو ابن هود، و لكن سرعان ما خلع الدعوة[7] ومحمد الثاني المعروف بالفقيه (671-701هـ/1272-1302م) وإسماعيل الأول ابن فرج(713-725هـ/ 1313-1324م) و يوسف الأول أبو الحجاج الغالب بالله

---

(1) مرسية: مدينة بالأندلس اشتهرت عن غيرها من المدن الأندلسية بصناعة الزجاج الذائع الصيت، الذي كان يصدر لمختلف البلدان ، أنظر: Pedro Jemenz Castillo," **El Vidro Islamico En Murcia** ", **Proccedings Of Seminar Al Andalus**, Vol III, Publications Of Kings Abdul Aziz Public Library, 1996 Pp 113-136.

(2) المقري، المصدر السابق، ج5، ص 263.

(3) ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص 21، ابن خلدون ، **العبر** ، المصدر السابق، ج4 ص205.

(4) عن مشيخة الغزاة ، أنظر: ابن خلدون ، المصدر نفسه، ج7، ص ص 433- 448.

(5) ابن الخطيب، **كناسة الدكان** ، المصدر السابق، ص ص 24-25.

(6) ابن الخطيب، **شرح رقم الحلل في نظم الدول**، تحقيق عدنان درويش، منشورات دار الثقافة، دمشق 1970 ص 319، شمس الدين الذهبي ، **سير أعلام النبلاء**، ج17، تحقيق خزي سعيد ، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (دت) ص105.

(7) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص ص 59- 62.

(733-755هـ/1333- 1354م)[1]، و الذي وقعت في عهده معركة طريف التي انهزم فيها المسلمون أمام النصارى سنة 741هـ/ 1340م[2]، أما آخر سلاطين بني نصر فهو محمد أبو عبد الله ، الذي حاصر الإسبان عاصمته غرناطة، و اضطر إلى تسليمها سنة 897هـ/ 1492م، مقابل عدة شروط لم يحترمها المسيحيون، و بسقوط غرناطة انتهى الحكم الإسلامي بالأندلس الذي دام أكثر من ثمانية قرون[3] .

(1) ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص 19.

(2) المقّري، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، ج1، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي، القاهرة ، (دت)، ص ص 203- 207.

(3) المقري ، **نفح الطيب**، المصدر السابق ، ج5، ص 410، أنظر كذلك محمود السيد: **تاريخ العرب في بلاد الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2003، ص ص 107-120.

الفصل الأوّل

عوامل ازدهار الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط والأندلس في عهد بني زيان

أولا: دور السلاطين

1- سلاطين المغرب الأوسط

2- سلاطين الأندلس

ثانيا: دور المؤسسات التعليمية

1- المدارس

2- المساجد

3- الكتاتيب القرآنية

4- الزوايا

ثالثا: دور المراكز الثقافية

1- تلمسان

2- غرناطة

رابعا: عوامل أخرى

عرفت الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط والأندلس خلال الفترة المدروسة (من القرن السابع الهجري الى القرن العاشر الهجري) ازدهارا كبيرا وذلك راجع إلى عدة عوامل أهمها:

أولا- دور السلاطين:

1- سلاطين المغرب الأوسط:

لقد كان معظم سلاطين بني زيان يولون اهتماما بالغا للجانب الثقافي فحرصوا على بناء المدارس، وجلبوا إليها أكابر العلماء للتدريس بها، والإنفاق على طلبتها ومن هؤلاء يغمراسن بن زيان الذي كانت له رغبة كبيرة في أهل العلم فعمل على استقدامهم الى تلمسان، وقابلهم بما هم أهل له، كما فعل مع أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت 680هـ/1281م)[1]، إذ لمّا علم بقدومه إلى تلمسان خرج إليه بنفسه، وقال له :" ما جئتك إلا راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج"[2] ، كما أكرم العلماء الوافدين إليه لاسيما الأندلسيين منهم أبو بكر بن خطاب المرسي (ت636هـ/1239م)،الذي كان من أبرع الكُتّاب خطا وأدبا و شعرا، فعينه يغمراسن كاتبا في بلاطه[3].

وبعد وفاة يغمراسن (681هـ-1283م) تولى ابنه أبو سعيد عثمان (681-703هـ/ 1283-1303م) الحكم، وكان هو الآخر شديد الاعتناء بالعلم والعلماء، فكان مجلسه يظم الكثير منهم،أمثال الأديب المشهور أبو عبد الله محمد بن خميس(ت708هـ

([1]) أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت 680 هـ/1281م) ، من أكابر علماء المغرب الإسلامي أصله من تنس استوطن تلمسان، ودرّس بها، وانتفع به خلق كثير، كانت ترد عليه الأسئلة من مختلف الأقطار انظر: أحمد بابا التنبكتي، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج** ، هامش على كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون،ط1، مطبعة الفحامين، مصر، 1351هـ ص 35 ، ابن مريم الشريف، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986، ص67 .

([2]) التنسي، **تاريخ بني زيان** ، المصدر السابق ، ص126 ، التنبكتي ، المصدر نفسه ، ص35-37 .

([3]) يحيى بن خلدون ، المصدر السابق ، ص129،ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق ، ج7ص 93-94 التنسي، **تاريخ بني زيان** ، المصدرنفسه ،ص127.

/1308م) ، الذي عينه كاتبا له سنة(671هـ/1272م)[1] ، أما أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/1308-1318م) ، فكان هو الآخر يهتم بالجانب الثقافي، ويجتهد في استقدام العلماء ، فلما ورد عليه ابني الامام[2] احتفل بهما، وبنى لهما مدرسة سميت باسمها، وكان يكثر من مجالستهما والاستماع إليهما [3]، كما واصل ابنه أبو تاشفين عبد الرحمان الأول (718- 737هـ/1318-1337م) الاعتناء بالعلم والعلماء، فبنى مدرسة سميت باسمه " المدرسة التاشفينية " ، و كان يحرص على حضور مجالس العلم كمجلس ابني الإمام [4] ، و قد وفد عليه الفقيه أبو موسى عمران المشدالي [5]، أعرف أهل زمانه بمذهب الإمام مالك، فأكرمه وولّاه التدريس بالمدرسة التاشفينية[6] ، كما كان أبو الحسن المريني الذي استولى على تلمسان والمغرب الأوسط سنة (737هـ/1337م) مشجعا للعلم والعلماء، فكان مجلسه حافلا بهم[7]، وبنى مدرسة بجانب ضريح الولي الصالح الشيخ أبي مدين شعيب [8] .

([1])يحيى بن خلدون ، المصدر السابق ، ص208

([2]) ابني الإمام : أبو زيد عبد الرحمان و أبو موسى عيسى ابني الإمام ، من أهل برشك، إمامان مشهوران نزلا تلمسان أيام أبي حمو موسى الأول ،فأكرمهما وبنى لهما مدرسة ليدرّسا بها . أنظر: يحيى بن خلدون المصدر نفسه، ص130 ، التنسي ، **تاريخ بني زيان** ، المصدر السابق ، ص139، ابن خلدون ،**رحلة ابن خلدون**، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 2004، ص ص 46-48 التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 166.

([3]) التنسي، المصدر نفسه، ص 139

([4]) شمس الدين الذهبي ، المصدر السابق ، ص 565

([5]) أبو موسى عمران المشدالي (ت745ه-1344م) ، من كبار الفقهاء وخيار العلماء الصلحاء ، من زواوة وقصد تلمسان ، وقيل أنه لم يكن في عصره أحد مثله علما بمذهب الإمام مالك ، و حفظا لأقوال الصحابة وعرفا بنوازل الأحكام ، وصوابا في الفتوى ،أنظر: يحيى بن خلدون ، المصدر السابق ص ص130-131 التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 217.

([6]) التنسي ، **تاريخ بني زيان** ، المصدر السابق ص 141 -142 .

([7]) ابن خلدون ، **الرحلة** ، المصدر السابق ،ص 58 .

([8]) محمد بن مرزوق التلمساني ، **المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، تقديم محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 ،403.

وبالإضافة إلى تشجيع سلاطين المغرب الأوسط في عهد بني زيان للحركة الثقافية كان بعضهم علماء و أدباء، ممّا كان لهم أثر إيجابي على نشاط الحياة الثقافية أمثال أبي حمو موسى الثاني (723-791هـ/1322-1389م)، الذي كان مُلّما بالعلم ومساهما في النشاط الأدبي والفكري، وقد صنّف كتابا سماه "واسطة السلوك في سياسة الملوك "[1] كوصية لولي عهده أبي تاشفين الثاني والسلاطين من بعده[2]، وكانت له كذلك قصائد عديدة، سيما في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، و مما قاله في ذلك قصيدة مطلعها :

قِفَا بَينَ أَرجَاءِ القِبَابِ وبِالحَـــيِّ   وَحَيِّ دِيَارا للحَبيبِ بِها حَـــيِّ
وَ عَرِّجْ على نجْدٍ وسَلْعَ ورَامَـــةٍ   و سائِلْ فَدتْكَ النَّفسُ في الحَيِّ عَن مِي[3]

وقد حظي العلماء و الطلبة في عهده بعطف وتشجيع كبيرين، و نال الكُتّاب والشعراء من عطائه و كرمه، وأضحت تلمسان في عهده مركزا ثقافيا هامّا يضاهي المراكز الثقافية الأخرى بالمغرب الإسلامي، ونبغ في عهده عدد كبير من العلماء والأدباء[4] .

كما كان السلطان أبو زيّان محمد الثاني (796-801هـ/ 1364-1399م)، هو الآخر عالما، ومشجعا للعلماء، قال فيه أبو عبد الله التنسي (ت 899هـ/ 1494م): " تصرف في شبيبته بين دراسة معارف و إفاضة عوارف، وكلف بالعلم، حتى صار منهج لسانه، وروضة أجفانه، فلم تخلو خضرته من مناظرة و لا عُمّرت إلا بمذاكرة و محاضرة، فلاحت للعلم في أيامه شموس ..."[5]، و قد ألّف هذا السلطان كتابا سماه :"كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة و النفس الأمّارة "، كما نسخ

---

(1) التنسي ، **تاريخ بني زيان** ، المصدر السابق ، ص 161.

(2) عبد الحميد حاجيات ، **أبو حمو موسى الزياني** ، حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1974،ص ص 189-190.

(3) التنسي ، **تاريخ بني زيان** ، المصدر السابق ، ص 164.

(4) عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ص ص 159-160.

(5) التنسي ، **تاريخ بني زيان** ، المصدر السابق ، ص 211.

نسخا من القرآن الكريم و نسخة من صحيح البخاري ونسخا من كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى [1] للقاضي عياض[2] .

أما السلطان أبو العباس أحمد العاقل (834-866 هــ/ 1431-1462 م)، فهو الآخر كان يجالس العلماء، ويشجعهم على التصنيف، ويحضر دروسهم، ويمشي في جنائزهم، وبنى مدرسة بزاوية الحسن[3] بن مخلوف أبركان[4].

وقد حرص سلاطين بني زيان على إقامة مجالس العلم، وكثيرا ما كانت تحصل بها مناظرات، ومنازعات علمية بين العلماء، ومن ذلك ما ذكره أبو عبد الله المقّري الجد (759هــ/1358م)، بأنه حضر مجلسا بين يدي السلطان أبي تاشفين الأوّل، فذكر فيه أبو زيد عبد الرحمان بن الإمام أن أبو القاسم (تلميذ الإمام مالك) مقلّد مقيّد النظر بأصول مالك، ونازعه أبو موسى عمران المشدالي، الذي قال أن القاسم مطلق الاجتهاد، واحتج له بمخالفة القاسم لبعض ما يرويه عن الإمام مالك[5].

2-سلاطين الأندلس:

لقد اهتم سلاطين الأندلس عامة بالعلم ، وشارك العديد منهم في الحياة العلمية والأدبية عبر مختلف عهود التاريخ الإسلامي للأندلس كعبد الرحمان الداخل[6]

([1]) التنسي ، **تاريخ بني زيان** ، المصدر السابق ، ص211.

([2]) القاضي عياض: هو أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، سبتي الدار، أندلسي الأصل فقيه، أصولي عالم بالنحو واللغة، حافظا لمذهب الإمام مالك، له تصانيف عديدة، منها: كمال العلم في صحيح مسلم، كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وغيرها، توفي سنة 544هــ/1149م، أنظر أبو الفضل عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ج1، مطبعة مصطفى محمد، مصر (دت)، ص، د، جلال الدين السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت 1983، ص 470.

([3]) الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي، الشهير بأبركان، من أهل العلم والصلاح، كان معظما عند العامة والخاصة، توفي سنة 807هــ/1407هــ، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 74-92.

([4]) عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني** ، ج2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر،2002، ص 234.

([5]) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص 156، أحمد بن يحي الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج 11، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1981، ص 383 .

([6]) عن اهتمام عبد الرحمان الداخل بالعلوم انظر: أبو القاسم صاعد الأندلسي، **طبقات الأمم** ، تحقيق حياة بوعلوان ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، 1985، ص ص 158-159.

المنصور بن أبي عامر، أمراء بني عباد و بني صمادح [1] وغيرهم، وتواصل هذا الاهتمام بعد القرن السابع الهجري، فرغم الاضطرابات السياسية لم يهمل السلاطين والأمراء هذا الجانب، كمحمد بن يوسف بن هود الجذامي، الذي استولى على أجزاء كبيرة من الأندلس بعد ضعف الموحدين ، فملك مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة و ألمرية ... ، ولُقب بالمتوكل على الله، و قال فيه أحد الشعراء :

فَتَحتَ بِلادَ اللهِ دُونَ مَشقَّةٍ و مَا عَرَفَتْ أَرْبَابُهَا حَادِثًا نُكْرَا

ولاَ بُدَّ مِنْ فَتْحِ البَقِيَّةِ عَاجِلاً ويَعْجَلُ للأَشْيَاءِ خَالِقُها قَدْرُهَا [2]

وقد وردت عليه الهدية والتقليد من الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة 631هـ/ 1233م، والذي أمره بأن يكثر من مجالسة الفقهاء و العلماء و الصُلحاء ومشاورة العقلاء[3] .

كما كان سلاطين بني نصر أيضا شديدو الاهتمام والاعتناء بهذا الجانب كمحمد بن يوسف بن نصر (635-671هـ/1238-1272م)، الذي وصف بأنه كان شديد العزم، مرهوب الإقتداء، وكان يعقد مجلسا كل أسبوع ترفع إليه فيه المظالم، و يشافه طلاّب الحاجات، ويستمع لإنشاد الشعراء، في مجلس يحضره العلماء والقضاة ، وتوفي سنة 671هـ/1272م، وكان منقوشا على قبره :

هَذَا مَحَلُّ العُلاَ وَالمَجْدِ وَالكَـرَمِ قَبْرُ الإمَامِ الهُمَامِ الظاهِرِ العِلمِ

لِلّهِ مَا ضَمَّ هَذَا اللَّحْـدُ مِنْ شَرَفٍ جَمٍّ ومِنْ شِيَـمٍ عَلَوِيَّةِ الشِّيَـمِ[4]

ومحمد الثاني أبو عبد الله المعروف بالفقيه (671-701هـ/1272-1302م) الذي كان يؤثر العلماء والكتاب والشعراء، ويشارك في الحياة الأدبية، إذ كان له شعر كثير مستظرف من قبل الملوك والأمراء، ومما قاله من الشعر مخاطبا وزيره:

([1]) ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام** ، المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ص 59-170.

([2]) نفسه، ص ص 277-279.

([3]) نفسه، ص ص 280-284.

([4]) ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 49، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر نفسه، ص ص 295-298.

تذكَّر عزيزَ لَيالٍ مضَـــتْ   و إعطَائِنَا المَالَ بالرَاحَتَينِ
وقَدْ قصَدتْنَا ملُوكُ الجِهاتِ   ومَالُوا إِلَينَا من العُدْوتَيْـــنِ
وإِذا سَأَلَ السِّلمَ منَّا مُعيـــنٌ   فلَم يُحْظَ إلاّ بِخُفي حُنَيـــن[1]

أما خليفته محمد الثالث (701-707هـ/1302-1307م) فكان هو الآخر محبا للعلم والعلماء، قال فيه لسان الدين بن الخطيب: " كان من أعظم أهل بيته صيتا وهمة، أصيل المجد، مليح الصورة، عريق الإمارة ...، يقرض الشعر ويصغي إليه، و يثيب عليه، ويعرف مقدار العلم العلماء "[2] ، ومما قاله من الشعر:

واعدَنِي وعْدًا وقــد أخْلفَــا   أقلُّ شيءٍ في المَلِيحِ الوفَـــا
وحَال عن عَهدِي ولَم يَرْعَهُ   ما ضَرَّه لو أنَّه أَنصَـــــــفَا
ما بالُـــها لم تَتَعطَّفْ علــى   صَاحبٍ لها ما زال مُسْتَعطِفَا
يَسْتطْلِعُ الأنْباءَ من نَحْــوِها   وَيَرقَبُ البَــرقَ إذا هَفَـــا[3]

ولا ننسى كذلك السلطان أبو الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل (733-755هـ/1333-1354م)، الذي كان جلّة الملوك فضلا و عقلا و اعتدالا [4]، وقد استوزر لسان الدين ابن الخطيب بعد وفاة شيخه ابن الجياب، و في ذلك يقول لسان الدين بن الخطيب :" وقلّدني السلطان سرّه، واستعملني إلى الملوك واستنابني بدار ملكه، ورمى اليّ بخاتمه وسيفه، وائتمنني على صوان حضرته وبيت ماله..."[5]، كما أكرم هذا السلطان العلماء الوافدين عليه، مثل ابن مرزوق الخطيب

([1]) ابن الخطيب، **المحة البدرية**، المصدر السابق، ص 51،ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ص ص 368-369، ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة**، تحقيق محمد سيد جاد الحق،ج5، ط2، دار الكتب الحديثة، مصر، 1966، ص 10.

([2])ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر نفسه، ص 358.

([3]) نفسه، ص 359.

([4]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 67-68 ، أبو الحسن النباهي ، **تاريخ قضاة الأندلس**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، ط5 ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، 1983، ص 173 ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام** ، المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ص 304-306.

([5]) المقرى، **نفح الطيب** ، المصدر السابق، ج6، ص 64.

(710-781هـ/1311-1379م)، الذي أدناه من مجلسه، وعينه خطيبا ومدرسا بجامع غرناطة [1] ، ولما توفي أبو الحجاج (755 هـ/1354م)، خلفه ابنه محمد الخامس (755-760هـ/1354-1359م)، والذي كان بدوره محبّا للعلماء ومقربا لهم كما فعل مع لسان الدين بن الخطيب الذي قال في ذلك "... ولما مات السلطان أبو الحجاج، ضاعف ولده حظوتي، وأعلى مجلسي ..."[2]، وفي عهده دخل عبد الرحمان بن خلدون (732-808هـ/1332-1407م) الأندلس، فأكرمه هذا السلطان أحسن إكرام، وكتب إليه وزيره ابن الخطيب قبل وصوله الى غرناطة رسالة يهنئه فيها على القدوم، ومما كتبه له فيها قصيدة مطلعها:

حَلَلْتَ حُلُولَ الغَيثِ بالبلَدِ المُحَلِ ... على الطَائِرِ المَيمُونِ والرَّحبِ والسَّهلِ
يَمينًا بِمَن تَعنُو الوُجُوهَ لوَجْهِـــــه ... منَ الشَّيْخِ والطفْلِ المُـــهَدَّئِ والكَهـــــلِ
لَقَدْ نَشَأَتْ عِندِي لِلُقيَاكَ غِبْطَــــةٌ ... تُنْسِي اغْتِبَاطِي بالشَّبِيبَةِ و الأَهْــــلِ[3]

ولا ننسى كذلك السلطان محمد بن إسماعيل، الذي بويع بعد وفاة والده أبي الوليد سنة (725هـ/1325م)، ورغم أنه كان لا يزال صغيرا، إلا أن عهده عرف ازدهارا كبيرا من الناحية العلمية، إذ برز في عهده جم غفير من العلماء والأدباء منهـــم أبو عبد الله إبراهيم الساحلي (ت 747هـ/1346م)، وأبو الحسن بن الجياب (673هـ-749هـ/1274-1348م) وغيرهما، ولما توفي رثاه عدد كبير من الشعراء كأبي بكر بن شبرين (ت 747هـ/1348م)[4] الذي قال :

عَينٌ تَبكِي لِمَيّتٍ غادَرُوهُ ... في ثرَاهُ مُلقَى وقَد غَدَرُوهُ
دفَنُوهَ و لَم يُصلِّي عليــهِ ... أَحَدٌ منْهُم و لاَ غَسَّلــُوهُ
إنّمَا ماتَ يومَ مَاتَ شَهِيدًا ... فَأَقَامُوا رسْمًا و لم يَقصِدُوهُ[5]

([1]) ابن الخطيب ، **كناسة الدكان** ، المصدر السابق ، ص 160 ، ابن خلدون ، **الرحلة** ، المصدر السابق ص62 .

([2]) المقري ، **نفح الطيب** ، المصدر السابق ، ج6،ص 64

([3])ابن الخطيب،**ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**،،تحقيق عبد الله عنان،ج2،مكتبة الخانجي،القاهرة،1981،ص185، ابن خلدون **الرحلة**، المصدر السابق، ص 84، محمد بن عبد الكريم السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج4، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، (دت)، ص 152.

([4]) ابن شبرين (674هـ-747هـ/ 1275م- 1348م)من كبار أهل العلم والتصوف بالأندلس ، أخذ عن أكابر العلماء كأبي ناصر المشدالي وأبي العباس الغبريني وغيرهما، أنظر: ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص ص 174- 182.

([5]) نفسه، ص 182.

ثانيا : دور المؤسسات التعليمية :

كان لها دور فعّال في النشاط الثقافي بالمغرب الأوسط والأندلس، و حظيت هذه المؤسسات برعاية السلاطين من خلال بناء المدارس والمساجد، وجلب العلماء للتدريس بها، والإنفاق على طلبتها والقائمين عليها وتنظيم برامجها الدراسية [1].

1- المدارس :

هي من المنشآت الثقافية المستحدثة في العالم الإسلامي، وأول مدرسة بنيت في العالم الإسلامي هي المدرسة البيهقية بنيسابور أوائل القرن 5هـ/ 11 م، وبعدها قام الوزير السلجوقي قوام الدين الطوسي ببناء المدرسة النظامية ببغداد سنة457 هـ /1065م [2].

وأما ببلاد المغرب الإسلامي فقد أسست عدة مدارس رسمية مهمتها العناية بأبناء السلاطين وتكوين مستخدمي الدولة كمدرسة سبتة التي بنيت سنة 635هـ/1249 م و المدرسة الشماعية في تونس التي بنيت بين سنتي (633 - 647 هـ/1235 - 1249 م)[3]

وأما بالمغرب الأوسط فقد انشئت أول مدرسة عليا على نمط المدارس النظامية بالمشرق وتونس وهي مدرسة ابني الإمام.

- مدرسة ابني الإمام :

بناها السلطان أبو حمو موسى الأول (707 - 718هـ/1308م) مابين سنتي 707و708هـ/1308و1309م، إكراما وإجلالا لابني الإمام أبو زيد عبد الرحمن (ت743هـ/1342م)، وأبو موسى عيسى (ت749هـ/1348 م) لمّا وفدا عليه، فقاما يدرسان بها وحملت المدرسة اسميهما [4].

---

(1) لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 105.

(2) تقي الدين الجراعي، **تحفة الراكع و الساجد في أحكام المساجد**، تحقيق طه الولي، المكتب الإسلامي بيروت، 1981، ص ص 196-197، تقي الدين المقريزي ، **الاعتبار في ذكر الخطط و الآثار** ، المعروف بالخطط المقريزية، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987، ص 363.

(3) Atallas Dhina**, Les Etats De L'occident Musulman Au 13 et15 Siècles**, Office De Puplication Universitaires , Alger, (Sd), P310.

(4) التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص139.

- المدرسة التاشفينية :

بناها أبو تاشفين عبد الرحمان الأول (718-737 هــ/1318-1337 م)، الذي خلّد آثارا عديدة، حيث كان مولعا بالبناء والتشييد [1]، وسبب بنائه للمدرسة المذكورة هو ملاحظته بأن مدرسة ابني الإمام التي بناها والده لم تعد تكفي الأعداد الكبيرة للطلبة فأنشأ مدرسته بجانب المسجد الكبير بتلمسان، وأنفق عليها أموالا ضخمة ، وجلب إليها الفنانين والمهندسين لبنائها، ولما وفد عليه الفقيه العالم أبو موسى عمران المشدالي ولاّه التدريس بها [2]، فقام يدرس بها الحديث والفقه، والنحو والمنطق والجدل وغيرها من العلوم [3] ، وتعد هذه المدرسة من أروع المدارس و الآثار المخلدة بتلمسان، وقد هدمت إبّان الاحتلال الفرنسي للجزائر، عندما أقدموا على توسيع الطرق سنة 1875 م ونُقلت بعض زخارفها وآثارها لبعض المتاحف بالجزائر وفرنسا، كمتحف تلمسان ومتحف كلون بباريس [4] .

وحكى بعض من زار تلمسان آنذاك أنه كان مكتوبا على دائرة مجرى مائها الأبيات التالية :

أُنظُرْ بعَيْنِكَ بَهجَتِي وسَنَائِـــي ... وبَديعَ إتْقَانِي وحُسنَ بِنَائِـــي
وبَدِيعَ شَكْلِي واعْتَبِرْ فِيهَا تَرَى ... منْ نَشأَتِي بَل من تَدَفُق مَائِي
جِسمٌ لَطِيفٌ ذَائِبٌ سَيَلاَنُـــهَ ... صَاف كَذَوْبِ الفِضَّةِ البَيضَاءِ
قَدْ حَفَّ بِي أَزْهارُ وَشْيٍّ نمَّقَتْ ... فَغدَتْ كَمِثْلِ الرَّوْضِ غِبَّ سَمَاءِ [5]

([1]) يحيى بن خلدون ، المصدر السابق، ص216. ابن الخطيب، **شرح رقم الحلل**، المصدر السابق، ص 231.

([2]) التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص141.

([3]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج6، ص187.

([4]) عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو موسى** ، المرجع السابق، ص ص 61-62، لخضر عبدلي، المرجع السابق ص126.

([5]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج7، ص170.

- **المدرسة اليعقوبية :**

شيدها السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة 765 هـ/1363 م ، بالقرب من مسجد سيدي إبراهيم المصمودي، وسماها باليعقوبية نسبة إلى والده أبي يعقوب وقد احتفل بها أبو حمو كثيرا، وأكثر عليها من الأوقاف، ورتب فيها الجرايات وقدّم للتدريس فيها العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني[1]، الذي كان بارعا في إلقاء الدروس حتى أن السلطان أبو حمو كان يحضر مجلس إلقائه جالسا على الحصير إكراما للعلم [2].

وقد وجدت مدرسة أخرى لكنها لم تحظ بالشهرة التي حظيت بها المدارس الأخرى وهي مدرسة الحسن أبركان، والتي بناها السلطان أحمد العاقل ما بين سنتي (834-866 هـ/1431-1462 م) للعالم والزاهد أبي علي الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان قرب مسجد سيدي الحلوي[3] .

([1]) الشريف الحسني: أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني الحسني، من أكابر علماء تلمسان و المغرب الإسلامي، ولد حوالي سنة 710هـ/1310م بتلمسان و أخذ العلم بها عن جملة من علمائها كابني الإمام، ابن هدية القرشي، أبو موسى عمران المشدالي، ابن النجار، الآبلي و غيرهم و أخذ عنه الكثير من العلماء أبرزهم لسان الدين بن الخطيب، عبد الرحمان بن خلدون، أبو عبد الله بن زمرك، ابن مرزوق الحفيد، ابن عباد الرندي و غيرهم ، كان له مكانة كبيرة عند ملوك عصره كأبي عنان المريني و أبي حمو موسى الثاني، هذا الأخير الذي أكرمه أحسن إكرام، و زوّجه إحدى بناته و عينه مدرسا بالمدرسة اليعقوبية، كما كانت له أيضا مكانة كبيرة بين علماء عصره إذ كانت ترد عليه الأسئلة و الفتاوى من عدة أقطار، توفي سنة 771هـ/1369م، أنظر: يحيى بن خلدون ، المصدر السابق، ص120، التنبكتي المصدر السابق، ص ص255-262، المقري ، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج7، ص152.

([2]) التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص ص 179-180، يحيى بن خلدون ، **بغية الرواد**، ج2 نشر ألفريد بيل، مكتبة فانتانا، الجزائر، 1903-1910، ص104.

([3]) سيدي الحلوي:أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي الملقب بالحلوي، من كبار العباد العارفين، ولي القضاء بإشبيلية آخر دولة الموحدين ثم فر بنفسه منه (من القضاء) وآوى إلى تلمسان في زي المجانين أنظر:يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص127-128، لخضر عبدلي، المرجع السابق ص134.

وفي عهد الاحتلال المريني للمغرب الأوسط، والذي دام من سنة 737 هـ إلى سنة 758 هـ/1337-1359 م [1] بُنيت مدرستان كان لهما أيضا دور كبير في تنشيط الحركة الثقافية للمغرب الأوسط وهما :

- مدرسة سيدي أبي مدين [2] بالعبّاد :

شيدها السلطان أبو الحسن المريني، الذي كان يحرص على استقدام العلماء وإكرامهم كما فعل مع ابني الإمام وغيرهما، وهو الذي بنى مسجد أبي مدين وأنفق عليه مالا كثيرا [3] ، وبالقرب منه شيّد المدرسة المذكورة في سنة 748 هـ/1346 م والتي لا زالت موجودة حتى اليوم، وتعد من أجمل مدارس المغرب الأوسط، وهي تتكون من طابقين : طابق سفلي به عشر حجرات، وطابق علوي يحتوي على 8حجرات، وأغلب الظن أن الحجرات العلوية كانت تخصص للطلبة المقيمين، أي أنها عرفت النظام الداخلي كبقية المدارس[4]، كما كانت توجد بها حجرات أخرى عند المدخل، وزودت المدرسة بمرافق المياه، كالمراحيض والحمامات [5] .

([1]) عن الاستيلاء المريني، أنظر: ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص ص 203-206.

([2]) هو أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي، القطب الشيخ، و إمام العباد و الزهاد، و شيخ المشايخ والمتصوفة، و أحد كبار علماء عصره، و حفاظ الحديث، أصله من ناحية اشبيلية بالأندلس ، و توفي بتلمسان ودفن بالعباد سنة 594هـ/1197م، أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، اعتنى بنشره وتحقيقه محمد الفاسي، أدولف فور، المركز الجامعي للبحث، جامعة محمد الخامس، (د ت)، ص ص26-45 سراج الدين بن الملقن، **طبقات الأولياء**، تحقيق نورالدين شريبة، ط1، مطبعة دار التأليف، مصر، 1973 ص437، أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** ، تحقيق رابع بونار، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981، ص ص 55-65، ابن عبد الملك الأنصاري، **الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة** ، تحقيق إحسان عباس ، نشر و توزيع دار الثقافة ، بيروت، (دت)، ص ص 128-130.

([3]) ابن مرزوق ، المصدر السابق، ص 403.

([4]) ما يدل على وجود النظام الداخلي داخل المدارس ما ذكره ابن مريم في ترجمته للكثير من العلماء بأنهم سكنوا المدارس، و ما ذكره عبد الرحمان بن خلدون بأن السن التي كانت مخصصة لسكنى المدارس هي ست عشرة سنة، أنظر: ابن مريم ، المصدر السابق، ص65، ابن خلدون ، **المقدمة**، المصدر السابق، ص479.

([5]) لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص 128-129.

– **مدرسة سيدي الحلوي :**

شيدها السلطان أبي عنان المريني، بالقرب من ضريح الولي الصالح سيدي الحلوي سنة 754 هـ/1353 م [1].

أما الأندلس فلم تعرف نظام المدارس الذي كان معروفا في تلك الفترة، وذلك راجع إلى اهتمام الأندلسيين بالمساجد التي كانت تؤدي دور المدارس، فكانت تُدرّس بها جميع العلوم [2]، وقد اشتهرت بالأندلس مدرسة واحدة هي :

-المدرسة النصرية :

النصرية أو اليوسفية بغرناطة، بناها السلطان الناصر أبو الحجاج يوسف الأول (733-755 هـ/1333-1352 م) في سنة 750 هـ/1349 م [3]، هذا السلطان كان محبا للعلم ومقربا للعلماء والشعراء والفنانين، ومهتما بالعمران فازدهرت في عهده الحركة العلمية والعمرانية [4]، وشيدت هذه المدرسة بإشارة من حاجبه رضوان (760 هـ/1359م) [5] ، وعرفت هذه المدرسة شهرة كبيرة بالأندلس والمغرب الإسلامي، إذ استقطبت الكثير من طلبة العلم، وتخرج منها العديد من العلماء والأدباء [6]، قال فيها لسان الدين ابن الخطيب قصيدة، كانت منقوشة في إحدى جنباتها:

أَلاَ هَكَذَا تُبْنَى المَدَارِسُ لِلْعِلْمِ ... وتَبْقَى عُهُودُ المَجْدِ ثَابِتَةَ الرَّسْمِ
وَ يُقْصَدُ وَجْهُ اللهِ بالعَمَلِ الرِّضَا ... وتُجْنَىَ ثِمَارُ العِزِّ مِن شَجَرَةِ العِزِّ

([1]) عبد الحميد حاجيات،**أبو حمو موسى**، المرجع السابق، ص 37.

([2]) المقري ، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 181.

([3])ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق،ص 109، أحمد محمد الطوخي، **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، تقديم أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997 ص 316.

([4]) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص 304-306، ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص ص 102-104.

([5]) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص 329-334.

([6]) حسن عزوزي، "**التآليف في القراءات القرآنية و خصائصه بالمغرب و الأندلس في القرن الثامن الهجري**" **مجلة الحضارة الإسلامية**، العدد الأول، السنة الأولى ، عدد خاص حول المراكز الثقافية بالمغرب الإسلامي وهران 1993، ص246.

تُفَاخِرُ مِنِّي حَضرَةُ المُلكِ كلَّما تَقَدَّمَ خَصمٌ في الفَخَارِ إلى الخَصمْ
فَأَجْدى إذا ضَنَّ الغَمَامُ منَ الحَيَا وأَهْدَى إذا جَنَّ الظَّلامُ منَ النَجْمِ
فيا طَاعِنًا للعِلمِ بِطَلَبِ رِحْلَةٍ كُفَيْفَ اعْتِراضُ البيدِ أو لُجَجٌ أليمِ
بِبابي حَطُّوا الرَّحلَ لا تَنُو وجْهَهُ فقَد فُزْتَ في حَالِ الإقامَةِ بالغَنَمِ
فكَم من شِهابٍ في سَمَائِي ثَاقِبٌ ومِن هَالَةٍ دارَتْ على قَمَرٍ تَم
يَفِيضُونَ من نُورٍ مُبِينٍ إلى هُدًى ومِن حِكَمٍ تَجْلُو القُلُوبَ إلى حِكَمٍ
جزَى اللهُ عنِّي يُوسُفًا خيْرَ ما جزَى مُلُوكَ بني نَصرٍ عنِ الدِّينِ والعِلمِ (1)

كما نظم فيها ابن الجياب (673-749 هـ/1274-1348 م) أبيات كانت مكتوبة على بابها وهي :

يا طَالِباً العِلمَ هذا بابُهُ فُتِحَا فادْخُل تُشاهِدُ سَناهُ لاحَ شَمسُ الضحَى
واشْكُر مُجيرَكَ من حَلٍّ ومُرتَحِلٍ إذا قَرَّبَ اللهُ مِنْ مَرمَاكَ مَا نَزَحَ
وشَرُفَتْ حَضْرَةُ الإسلامِ مَدْرَسةٌ بها سَبيلُ الهُدَى والعِلمِ قدْ وَضَحَا
أعْمَالُ يُوسُفَ مَولانا ونِيَّتُهُ قد طَرَّزَتْ صُحُفًا مِيزانُها رَجَحَا(2)

ولا يزال جزء صغير من هذه المدرسة ماثلا إلى اليوم بإسبانيا، بينما هدم الجزء الأكبر في أوائل القرن الثامن عشر، وشيد مكانة بناء جديد، ونقلت آثارها إلى مختلف متاحف إسبانيا، كمتحف غرناطة الذي توجد فيه اليوم لوحة رخامية مكتوب عليها: (أمر ببناء هذه الدار للعلم جعلها الله استقامة ونورا، وأدامها في علوم الدين على الأيام أمير المسلمين أبو الحجاج يوسف بن أمير المسلمين وناصر الدّين أبي الوليد إسماعيل ابن فرج بن نصر كافى الله في الإسلام حسن صنائعه الزاكية، وتقبل أعماله الجهادية وتمّ ذلك في شهر محرم عام خمسين وسبعمائة) (3) .

(1) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص ص 176-177.
(2) نفسه، ج7، ص3.
(3) عبد الله عنان، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال**، ط2، مطبعة المدني، القاهرة، 1997 ص172.

ويُذكر أيضا أنه كانت هناك مدرسة أخرى في مالقة، لكن لم تكن لها شهرة كبيرة و درس بها عدد من العلماء والفقهاء، وكانت تتصدّر علم القراءات و التفسير، و يتجلى ذلك من خلال العدد الكبير من المفسرين والمقرئين الذين تخرجوا منها، كابن الزيات الكلاعي [1] (649-728 هـ/1248-1328م) و غيره[2].

2-المساجد:

لقد أدى المسجد دورا كبيرا في شتى المجالات، سواء الدينية منها أو الاجتماعية والثقافية والحربية ... ، وكان فضلا عن إقامة الصلاة يجتمع به الناس للذكر وتلاوة القرآن فرادى وجماعات وتدارس بعض الكتب، وأجاز الفقهاء ذلك من باب التعاون على البر والتقوى، وخلق جو من النشاط [3] ، وأدى المسجد أيضا دور الجامعة أو المعهد ففيه تلقى الدروس وتعقد حلقات البحث، وتنظم المناظرات العلمية، ويجتمع فيه أصحاب المصالح العامة والخاصة، فتُقرأ فيه البلاغات الرسمية للدولة، وتعقد فيه عقود الزواج،التجارة ... [4] .

واشتهرت بالمغرب الأوسط والأندلس عدة مساجد أدت دورا كبيرا في نشاط الحياة الثقافية وأبرزها :

2-1- مساجد المغرب الأوسط :

من أهم مساجد المغرب الأوسط، **مسجد أغادير** الذي بناه إدريس الأول، مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، إذ لما خَلُصَ له المغرب الأقصى نهض إلى المغرب

([1]) هو أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الكلاعي، المولود ببلنسية سنة 649هـ/ 1248م، و توفي سنة 728هـ/1328م ، كان عالما بالعلوم الدينية، لا سيما علوم القرآن و التي ألف فيها العديد من المصنفات أهمها : لذات السمع في القرآت السبع، و غيرها، أنظر: ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص152- 159.

([2]) حسن عزوزي، المرجع السابق، ص247.

([3]) كمال السيد أبو المصطفى، **جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوي المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الاسكندرية للكتب الإسكندرية ، 1997، ص109.

([4]) عبد العزيز فيلالي ، **تلمسان في العهد الزياني**، المرجع السابق، ج1، ص145.

الأوسط سنة 174 هــ/790 م فتلقاه أمير زناتة محمد بن خزر المغراوي، ودخل في طاعته، فملك إدريس تلمسان، واختط مسجدها، وصنع منبره[1]، الذي كان مكتوب عليه :(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-)، وجدّده (المنبر) ابنه إدريس الثاني لما دخل تلمسان سنة 199 هــ/820 م[2]، أما صومعته فبناها يغمراسن بن زيان الذي استُؤذن في كتابة اسمه عليه، فقال : علم ذلك عند ربي[3].

وكذلك **المسجد الجامع** أو **الأعظم** بتلمسان، أحد أهم مساجد المغرب الأوسط[4] بناه يوسف بن تاشفين سنة 473 هــ/1080 م، وعدّله ابنه علي بن يوسف سنة 530هــ/1335 م، وهو عبارة عن تحفة فنية رائعة، عليه مسحة أندلسية [5]، وقد أضيفت له زيادات عديدة، كالصومعة في عهد يغمراسن بن زيان بين 665و668هــ/ 1266 و 1269 م [6]، وكان لهذا المسجد دورا كبيرا في تنشيط الحياة العلمية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، إذ كان عبارة عن معهد أو جامعة يدرس فيه جل العلوم، ولا يقل أهمية عن جامع الزيتونة بتونس، والقرويين بفاس [7].

كما كانت هناك مساجد أخرى **كمسجد ابني الإمام** الذي بناه أبو حمو موسى الأول **ومسجد سيدي ابراهيم المصمودي** الذي بناه أبو حمو موسى الثاني[8].

كما أنشأ أبو الحسن المريني عدة مساجد **كجامع القصبة** الذي قال فيه ابن مرزوق الخطيب أنه كان يشتمل على محاسن لم تجتمع في مثله، من حسن وضعه و جمال

([1]) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص90.

([2]) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ج1، ص ص 22-69.

([3]) قالها بالزناتية:" يَسَنْتْ ربي" أي علمه الله، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص207، التنسي **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص125.

([4]) Georges Marçais, op cit, pp 18-20.

([5]) عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، المرجع السابق، ج1، ص 146.

([6]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص207، التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص 125.

([7]) لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص111.

([8]) نفسه ، ص ص 118-119.

شكله، وترتيب رواقاته، واعتدال صحنه، وحسن ستاره، وجامع سيدي أبي مدين **(جامع العباد)** الذي اتصف هو الآخر بالحسن، أنفق عليه أبو الحسن مالا كثيرا[1] وعيّن به ابن مرزوق الخطيب (710-781 هـ/1310-1379 م) خطيبا به [2]، كما أنشأ مسجد آخر بمدينة هنين[3] .

وإضافة إلى هذه المساجد، كانت هناك مساجد أخرى كثيرة، أدت أدوارا هامة في المجال الثقافي و العلمي، فضلا عن دورها الديني، وتذكر بعض الإحصائيات أنه كان بمدينة تلمسان وحدها حوالي 60 مسجدا [4].

2-2- مساجد الأندلس :

أدت هاته المساجد دورا كبيرا في الحياة العلمية والثقافية، قلّما نجد لها مثيلا في أنحاء العالم الإسلامي، وذلك راجع إلى كون الأندلسيين لم يهتموا ببناء المدارس وإنما كانوا يدرسون جميع العلوم في المساجد [5]، حيث كان المسجد عبارة عن مصلى ودار للإفتاء ومدرسة جامعة، يرتادها الطلبة الراغبون في العلم، والعلماء من مختلف الأقطار لإلقاء الدروس، التي كانت تسمى بحلقات العلم، إذ كان الطلبة يشكلون حلقة حول شيخهم وهذه الحلقة تضيق وتتسع بحسب المسجد وسمعته [6].

وكانت المساجد منتشرة في مختلف مدن وقرى الأندلس، و أهم تلك المساجد : **مسجد قرطبة** الذي شرع في بناءه عبد الرحمان بن معاوية (الداخل) سنة 170 هـ/786 م، وكان يريد أن يكون من أعظم المساجد وأفخمها بالأندلس ولكنه توفي قبل إتمامه، فأكمله ولده هشام (172-180 هـ/782-796 م) من بعده[7]

([1]) ابن مرزوق ، المصدر السابق، ص ص 402-403.

([2]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ص 342، ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص61.

([3]) ابن مرزوق ، المصدر السابق، ص 403.

([4]) Charles Brosslard, **les inscriptions arabe de Tlemcen**, revue africaine, N°14- 3eme année, Alger, 1858, p83

([5]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 181.

([6]) هناء الدويديري، "**قرطبة مدينة و تراث**"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، المرجع السابق، ص 23.

([7]) عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 20.

وعرف هذا المسجد زيادات عديدة من قبل سلاطين و خلفاء بني أمية كعبد الرحمن الثاني (206-238 هـ/822-852 م)[1] وعبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (300 -350 هـ/912 -961 م) الذي أعاد بناء صومعته بشكل بديع، حتى قيل بأنه ليس في بلاد المسلمين صومعة مثلها [2].

وكان هذا المسجد معظما من قبل أهل قرطبة، ووصف بأنه من عجائب الدنيا[3] وفضلا عن وظيفته الدينية، كان يتخذ لبعض المهام الكبرى، كأخذ البيعة للأمير أو الخليفة الجديد، وتقرأ على منبره الأوامر والأحكام الهامة، كما كان يعقد به مجلس قاضي القضاة [4]، وكان أيضا مركزا لجامعة قرطبة التي أسسها عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (300-350هـ/912 -961 م) به، والتي كان يدرس بها مختلف العلوم، وجعلت من قرطبة إحدى أهم المراكز الثقافية بالعالم الإسلامي [5] .

أما غرناطة فهي الأخرى كان بها العديد من المساجد التي أدت دورا كبيرا في تنشيط الحياة الثقافية [6] ، أهمها **المسجد الجامع** الذي بناه محمد بن محمد بن نصر المعروف بالفقيه، ثاني سلاطين بن نصر، وكان هذا المسجد من أعظم مساجد الأندلس قال فيه لسان الدين بن الخطيب عند الترجمة للسلطان الفقيه : "أعظم مناقبه المسجد الجامع ... على ما هو عليه من الظرف، والتمجيد والترقيش، وفخامة العمل وإحكام أنوار الفضة وإبداع ثراها، ووقف عليه الحمام بايزائه، وأنفق فيه مال الجزية ..."[7] وكان هذا المسجد المركز الرئيسي الذي تدور حوله الحياة الدينية والاجتماعية

([1])أبو مروان بن حيان القرطبي، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تحقيق عبد الرحمان علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965، ص243، البتنوني، المرجع السابق، ص54.

([2]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص ص 71-83.

([3]) الورداني، المصدر السابق، ص 68، شكيب أرسلان، **الحلل السندسية**، المرجع السابق، ص 50، عبد العزيز سالم، **المساجد و القصور في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 1986، ص ص 9-28.

([4]) عبد الله عنان،المرجع السابق، ص ص21-22، محمد عبد الله الحماد،"**التخطيط العمراني لمدن الأندلس**"، **ندوة الأندلس قرون من التقلبات و العطاءات**، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996، ص ص158-159.

([5]) هناء الدويديري، المرجع السابق، ص ص 22-24.

([6]) الغزال ، المصدر السابق، ص195.

([7]) ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص ص26-63، ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق ج1، ص ص 359-360، القلقشندي، **صبح الأعشى**، المصدر السابق، ج5، ص214.

والسياسية، وترتكز حوله الحياة الاقتصادية، إذ فيه تعقد الاجتماعات العامة، وينظر في القضايا، وتعطى الدروس، وتقرأ على منبره النشرات الرسمية و الخطابات الهامة[1].

وإضافة إلى هذا المسجد كانت بغرناطة مساجد أخرى منها **مسجد الحمراء الأعظم** الذي بناه السلطان محمد الثالث المعروف بمحمد المخلوع (702-709 هـ/1302-1309 م) حوالي سنة 705 هـ/1305 م، وكان في غاية الروعة والجمال، وحلت محله اليوم كنيسة سانتا مرية [2]، إضافة إلى **مسجد القيصارية، مسجد المنصورة مسجد المرابطين و مسجد ابن سحنون،** وغيرها من مساجد غرناطة ، ولا ننسى كذلك **المسجد الجامع** باشبيلية، الذي كان يحتوي على 7 أبواب، وله صومعة عالية وضخمة[3]، ومساجد أخرى عديدة أدت دورا كبيرا وفعال في الحياة الثقافية بالأندلس.

وقد اعتنى سلاطين بني نصر بالمساجد عناية بالغة، فكانوا ينفقون ويوقفون عليها أوقافا كثيرة، ويحرصون على تعيين أكابر العلماء للعمل بها سواء في الخطابة أو التدريس، حيث اشتهرت بها مجالس العلم والإقراء [4].

ومن مظاهر اهتمام سلاطين بني نصر بالمساجد، إرسالهم رسائل إلى ولاتهم على المدن والأقاليم، يحضونهم فيها على العناية بالمساجد، ومثال ذلك ما كتبة الوزير لسان الدين بن الخطيب إلى أحد الولاة: "...هذا ظهير كريم متضمن استجلاء لأمور الرعية ... وأمرنا أن يتوجه إلى جهة كذا، فيجمع الناس في مساجدهم ويبدأ بتقرير غرضنا في إصلاح أحوالهم... ، ويتفقد المساجد تفقدا يكسوا عاريها ويُتمم منها المآب تتميما يرضي باريها، ويندب الناس إلى تعليم القرآن لصبيانهم، فذلك أصل أديانهم ..."[5]

---

(1) الطوخي، المرجع السابق، ص57.

(2) عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 208.

(3) الغزال، المصدر السابق، ص84.

(4) النباهي، المصدر السابق، ص 172.

(5) المقري ، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص ص 109-110.

3- الكتاتيب القرآنية:

الكتاتيب القرآنية عبارة عن حجرات صغيرة مجاورة للمساجد، تُخصص لتعليم الصبيان الصغار، بدلا من تدريسهم في المساجد المخصصة للصلاة، لأن الإمام مالك -رضي الله عنه- أفتى بعدم جواز تعليم الصبيان في المساجد المخصصة للصلاة حفاظا على طهارتها [1].

وكانت هاته الكتاتيب تقوم بالدرجة الأولى على تحفيظ القرآن الكريم، ولذلك عرفت إقبالا كبيرا، إذ كان سكان المغرب الأوسط والأندلس شديدي الحرص على تحفيظ القرآن الكريم لأولادهم على غرار باقي المسلمين، نظرا لما ورد من الترغيب في ذلك من النصوص الشرعية، كقوله تعالى : ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [2] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قسمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ...) [3] .

وإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم، كان يتعلم الصبيان الكتابة والقراءة، والإعراب والشعر، وتفسير الغريب من القرآن تفسيرا موجزا إضافة لتعلم طريقة ترتيله وتجويده مستعملين في ذلك لوح مصقول ودواة للحبر، وقلم من قصب، وإناء يمحون فيه ألواحهم، ويبدأ الأطفال يوم الدراسة بحفظ القرآن من الصباح إلى الضحى، ثم يتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر، ويخصص المساء لبقية المواد كالنحو والحساب والعربية والشعر والتاريخ ... [4] .

---

(1) محمد بن سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1981، ص87.

(2) سورة الحشر، الآية 21.

(3) أبو عبد الله بن فرج القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن، (تفسير القرطبي)**، المجلد الأول، ط4، مكتبة رحاب الجزائر، 1990، ص ص 52-53.

(4) لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص 92-106.

ورغم بساطة الكتاتيب من حيث البناء والتجهيزات، إلا أنها أدت دورا كبيرا في التعليم بالمغرب الأوسط والأندلس، وعرفت مستوى رفيع من التنظيم، وحظيت بالاعتناء والاهتمام، فكانت تسند مهمة التدريس بها لقرّاء كبار[1] مقابل أجرة معينة اختلف في جوازها من عدمها في تلك الفترة [2]، وكان يشترط في المعلم عدة شروط حتى يكون أهلا لمباشرة مهنة التعليم في الكتّاب، كمعرفة الإظهار و الإدغام والإهمال والإعجام والتفخيم والترقيق وأحكام القرآن [3] .

وكانت هاته الكتاتيب تُزيّن أيام المناسبات الدينية، كمناسبة الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف، حيث كانت تضاء بالشموع، ويجتمع فيها الأطفال بشيوخهم لترتيل ما تيسر من كتاب الله العزيز، و ترديد الصلوات النبوية [4].

4- الزوايا :

لعبت الزوايا دورا لا يقل أهمية عن باقي المؤسسات التعليمية الأخرى في تنشيط الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط والأندلس، لاسيما في مجال التعليم، والزاوية أو الربط من الرباط، وهو حبس النفس للجهاد، مصداقا لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [5]، أما عند المتصوفة فيعني الرباط أو الزاوية المكان الذي يتعبد فيه فضلا عن إيواء عابري السبيل وإطعام المحتاجين [6] .

([1]) حسن عزوزي، المرجع السابق، ص 241.

([2]) الونشريسي، **المعيار**، المصدر السابق، ج11، ص17، ابن عباد الرندي، **الرسائل الصغرى**، تحقيق بولس نويا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1986، ص ص 118-119.

([3]) مبخوت بودواية، **العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة تلمسان، 2005-2006، ص 75.

([4]) حسن عزوزي ، المرجع السابق، ص242.

([5]) سورة آل عمران، الآية 200.

([6]) ابن مرزوق، المصدر السابق، ص ص 411-413.

وحظيت الزوايا باهتمام كبير من قبل سلاطين المغرب الأوسط و الأندلس من خلال العناية بها والإنفاق عليها، وإكرام شيوخها، والتبرك بهم في حياتهم وحتى بعد وفاتهم، مثلما كان يفعل السلطان يغمراسن بن زيان مع الكثير من المتصوفة [(1)]، و أبو حمو موسى الثاني الذي أوصى بدفن الشريف الحسني المتوفى(771 هـ/1369م) بالقرب من قبر والده أبي يعقوب لغرض التبرك به [(2)]، كما كان السلطان أحمد العاقل مصاحبا لأبي الحسن بن مخلوف دفين تلمسان ويكثر من زيارته[(3)]، وبنى له بزاويته مدرسة أوقف عليها أوقافا كثيرة[(4)].

والأمر نفسه يقال عن الأندلس ، إذ انتشرت بها العديد من الزوايا، وقد اهتم بها السلاطين اهتماما كبيرا، إذ كانوا يحترمون شيوخها وأولياءها الصالحين كالسلطان الغني بالله الذي كان شديد الاعتقاد في الصالحين، حتى أنه لما خُلع وفرّ إلى فاس كتب إلى ضريح الولّي الصالح أبي العباس السبتي بمراكش حتى يعاد إلى ما كان عليه [(5)] .

وكانت بمدينة غرناطة وحدها عدة زوايا، أهمها زاوية الولي الصالح أبي عبد الله بن محروق، والزاوية المعروفة برابطة العقاب وزوايا أخرى [(6)] .

([1]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص122.

([2]) نفسه، ص120.

([3]) محمد بن يوسف الزياني، **دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم و تعليق المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979، ص 46.

([4]) التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص248.

([5]) المقري ، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج9، ص 130.

([6]) ابن بطوطة ، **تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار**، تحقيق عبد المنعم العريان مصطفى القصاص،ج2، دار إحياء العلوم، بيروت، 1996، ص685.

ثالثا: دور المراكز الثقافية

أدت المراكز الثقافية بالمغرب الأوسط و الأندلس دورا كبيرا و هامّا في ازدهار الحياة الثقافية خلال الفترة الممتدة من القرن 7هـ إلى 10 هـ /13-16م و أهم تلك المراكز على الإطلاق عاصمتا القطرين خلال الفترة المذكورة: تلمسان و غرناطة.

1- تلمسان:

تُعد مدينة تلمسان من المدن القديمة بالمغرب الأوسط بصفة خاصة و المغرب الإسلامي بصفة عامة، و نظرا لقدمها ظن بعض المؤرخين أنها مدينة الجدار التي ذكرت في القرآن الكريم[1]، في قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[2]

و تلمسان عبارة عن مدينتين، إحداهما قديمة، و هي المدينة المشهورة كان عليها سور وقصور، و بها منازل عديدة، و تدعى أغادير، و مدينة حديثة أسسها المرابطون تسمى تاقرارت[3]، و فيما يخص اسم المدينة تلمسان، فهو اسم بربري مركب من كلمتين، تلم ومعناها تجمع، و سان ومعناها اثنان، أي مدينة تجمع بين التل و الصحراء، و قيل أنه مشتق من الكلمة البربرية تلشان، تل معناه لها، و شان معناها شأن، أي مدينة ذات شأن[4].

و قد لعبت مدينة تلمسان أدوار هامة في تاريخ المغرب الأوسط قبل العهد الزياني، لا سيما في عهد الأدارسة وأبناء عمومتهم السليمانيين، إذ دخلها إدريس

([1]) زكريا بن محمد القزويني، **آثار البلاد و أخبار العباد**، دار صادر ، بيروت ، (دت)، ص 172.

([2]) سورة الكهف، الآية 77.

([3]) اليعقوبي ، المصدر السابق، ص116.

([4]) يحيى بن خلدون ، المصدر السابق، ج1، ص85.

الأول مؤسس دولة الأدارسة في حدود سنة 174هـ/ 790م[1]، ثم ابنه إدريس الثاني سنة 199هـ/ 805م[2]، و لما اضمحل حكم الأدارسة أصبحت المدينة خاضعة للأمراء و الشيوخ المحليين سواء من بني يفرن أو من مغراوة، الذين استقلوا بالمدينة و أحوازها، و دعوا لبني أمية في الأندلس[3] ، و بقي الأمر على تلك الحالة ، تارة تخضع لشيوخ بني يفرن، و تارة أخرى لشيوخ مغراوة، إلى أن دخلها يوسف بن تاشفين سنة 473هـ/ 1080م، والذي بنى مدينة تاقرارت أو تلمسان الجديدة، و عرفت تلمسان في عهد المرابطين توسعا عمراني، و نموّا سكانيا، و بعد ذلك استولى عليها الموحدون بعدما أسقطوا دولة المرابطين[4] و دخلها عبد المؤمن بن علي الكومي سنة 540هـ/ 1145م [5]، و بعد ضعف الموحدين أصبحت المدينة خاضعة لسلاطين بني عبد الواد أو بني زيان الذين اتخذوها عاصمة لملكهم، و دار إقامتهم[6].

وعرفت المدينة في عهد بني زيان أوج ازدهارها، و في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية،...، إذ أصبحت مركزا تجاريا هاما تتوافد عليه السلع و البضائع من كل الأقطار[7] ، و كذلك من أهم المراكز الثقافية بالمغرب الإسلامي إضافة إلى فاس ، تونس و غرناطة[8].

فنشطت فيها الحياة الثقافية بسبب الدور الكبير الذي أداه سلاطينها، من خلال بناء عدد من المدارس و المساجد، و الحرص على جلب أكابر العلماء

([1]) ابن خلدون ، **العبر** ، المصدر السابق، ج7، ص 90.

([2]) التنسي، **تاريخ دولة الأدارسة** ، المصدر السابق، ص ص 65-66، ابن خلدون، المصدر نفسه، ص90.

([3]) ابن خلدون، **العبر**،المصدر نفسه،ج4، ص169.

([4]) البيدق، المصدر السابق، ص ص 100-102.

([5]) ابن خلدون، **العبر** ، المصدر السابق، ج7، ص91، عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، المرجع السابق ج3، ص ص 684- 685، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص25.

([6]) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**،تحقيق إسماعيل العربي،2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 ص140.

([7]) الإدريسي، المصدر السابق، ص ص 149- 150، الوزان، المصدر السابق، ص 20.

([8]) عبد الحميد حاجيات ، "**تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط**"، **مجلة الحضارة الإسلامية** المرجع السابق، ص 39.

والمدرسين للتدريس بها[1]، و نتيجة لذلك قصدها العديد من المهاجرين الأندلسيين سواء الذين فروا نتيجة تدهور الأوضاع في بلادهم، أو الذين قصدوها قصد طلب العلم، و في كلا الحالين فقد وجدوا فيها راحتهم و مبتغاهم، خاصة و أنها كانت تشبه كثيرا مدن الأندلس[2].

و نظرا لجمالها و طبيعتها الرائعة، فقد أثارت مدينة تلمسان إعجاب كل من سكنها أوحل بها، لا سيما الشعراء و الأدباء، الذين تفنن الكثير منهم في وصفها والتغني بها ، و من ذلك قول الشاعر الثغري:

تَاهَتْ تِلِمسَانُ بِحُسْنِ شَبَابِــهَا وبَدَا طِرازُ الحُسنِ في جِلبَابِها
فالبِشرُ يبدو من حُبابِ ثُغورِهَا مُتَبَسِّمًا أو من ثُغُورِ حُبابِهــا [3]

كما قال فيها الشاعر أبو عبد الله بن جمعة التلاليسي:

سقى اللهُ من صَوبِ الحَيا هاطِلاً وَبِلا رُبوعَ تِلِمسانَ التي قَدرُها استَعْلَــى
رُبُوعٌ بها كان الشَبَــابُ مُصَاحِبِــي جَرَرْتُ إلى اللّذاتِ في دارِهَا الذّيَلا
فكَم نِلتُ فيــها مــن آمانٍ قَصيــّةٍ و كم مَنَحَ الدّهْرُ الضنينَ بها النِّيَلا[4]

كما وصفها الكثير من الأدباء بأجمل الأوصاف و النعوت، و خير مثال على ذلك ما قاله لسان الدين بن الخطيب فيها: " فازت بالاعتدال، و أوصاف الكمال بأوفى نصيب، فيا لها من غادة كلما مرت عليها الأيام، استجد شبابها، و أينع جنابها، وضفا من الحسن جلبابها... فنوّرها الدهر باهر الآيات، و محاسنها رائقة الغرر و الشيات..."[5].

و قال فيها أيضا: " تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء و الريف، ووضعت في موضع شريف، كأنها ملك على رأسه تاجه، و حواليه من الدوحات حشمه

(1) التنسي ، **تاريخ بن زيان**، المصدر السابق، ص126، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص129.
(2) ابن سعيد ، **كتاب الجغرافيا**، المصدر السابق ، ص 140.
(3) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص306.
(4) نفسه، ص 311.
(5) ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص ص 85-86.

وأعلاجه، عبادها يدها، و كهفها كفها، و زينتها زيانها ...هواها المقصور بها فريد... و هواؤها الممدود صحيح عتيد، و ماؤها برود صريد..."[1].

2- غرناطة:

مدينة غرناطة أو أغرناطة و التي تعني الرمانة، إحدى أعظم وأجمل مدن الأندلس[2]، كانت تسمى بدمشق الأندلس، لشبهها بمدينة دمشق[3]، و كانت هذه المدينة إبّان الفتح الإسلامي مدينة صغيرة لا أهمية لها، تابعة لإقليم ألبيرة، الذي كان يضم عدة مدن إضافة إلى غرناطة كوادي آش،المنكب...[4]، و بعد استكمال عملية الفتح لم يعرها المسلمون اهتماما كبيرا و لكن بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس (422هـ/1029م) و استفحال الثورات و الفتن، و استيلاء البربر على ألبيرة، انتقل جل سكان هذه الأخيرة إلى غرناطة التي حلت محل ألبيرة، و لمّا استولى عليها (غرناطة) البربر هي الأخرى بزعامة زاوي بن زيري الصنهاجي 425هـ/1032م أصبحت عاصمة لبربر صنهاجة بالأندلس، إلى أن استولى عليها المرابطون سنة 483هـ/ 1089م بقيادة يوسف بن تاشفين الذي انتزعها من عبد الله بن بلقين الصنهاجي[5] ، وبعد ضعف المرابطين و سقوط دولتهم، استولى عليها الموحدون سنة 541هـ/ 1146م ليسيطر عليها فيما بعد محمد بن يوسف بن هود الجذامي سنة 628هـ /1231م الذي ثار على الموحدين سنة 625هـ/ 1228م، و استولى على مناطق واسعة من الأندلس[6]، و بدوره ثار عليه محمد بن يوسف بن نصر (ابن الأحمر) واستطاع الاستيلاء على غرناطة و مدن أخرى في

([1]) ابن الخطيب، **معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق، محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة،2002،ص ص 183-184.

([2])ابن الخطيب، المصدر نفسه،ص 113، المقري، **نفح الطيب**،المصدر السابق، ج1، ص 131.

([3])ابن الخطيب،**اللمحة البدرية**، المصدر السابق،ص ص 21-22،المقري،المصدر نفسه، ص 149.

([4]) اليعقوبي، **البلدان**، المصدر السابق، ص 193، الإدريسي، المصدر السابق، ص193.

([5]) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثالث، ص 250،**اللمحة البدرية**،المصدر السابق،ص31.

([6])ابن الخطيب،**أعمال الأعلام**،المصدر نفسه، القسم الثاني، ص ص 277- 286، ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 201-204.

حدود سنة 635هـ/ 1238م[1] و اتخذ من غرناطة عاصمة لدولته[2]، فعظمت المدينة، و أضحت أهم و أبرز مدن الأندلس على الإطلاق، و قد اعتنى بها سلاطين بني نصر عناية كبيرة، إذ شيدوا بها المساجد و القصور و الحصون[3].

و في الوقت الذي عظمت فيه مدينة غرناطة، كانت مدن الأندلس الأخرى أقل حظا منها، إذ استولى النصارى على أغلبها، كماردة سنة 627هـ/1230م، قرطبة 633هـ/ 1236م، بلنسية 636هـ/1238م، اشبيلية 646هـ/ 1248م و غيرها[4] ممّا جعل سكان هذه المدن ينحازون إلى المدن التي كانت لا تزال بيد المسلمين لاسيما غرناطة كونها عاصمة الدولة[5]، وبفضل موقعها الحصين[6] و دهاء حكامها من بني نصر استطاعت الصمود و لو لمدة أمام ضربات النصارى[7].

و من جهة أخرى عرفت غرناطة نشاطا و ازدهارا في الحياة الثقافية، و ذلك راجع إلى الدور الكبير الذي أدّاه سلاطينها النصريين في هذا المجال، من تشجيع للعلماء، و مشاركة الكثير منهم في الحياة العلمية[8]، كما سبق و ذكرنا، فبرز بها العديد من العلماء و الأدباء، الذين كانت لهم شهرة واسعة في العالم الإسلامي ويكفي غرناطة شرفا كما قال المقري صاحب نفح الطيب ولادة لسان الدين بن الخطيب بها[9] كما برز بها العديد من الأعلام إضافة إلى لسان الدين سواء الذين ولدوا ونشئوا بها

---

(1) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 204-205.

(2) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص344، حسين مؤنس، "**غرناطة تحفة من تحف الفن و عجيبة من عجائب التاريخ**"، **مجلة العربي**، العدد 89، الكويت، أفريل 1966، ص ص 82-93.

(3) المقري، **نفح الطيب**، المصدر نفسه، ج1، ص 344.

(4) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 204-205.

(5) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج5، ص 394.

(6) أبو بحر بن إدريس المرسي، **زاد المسافر و غرة محيا الأدب السافر**، تحقيق عبد القادر محداد بيروت 1939، ص25.

(7) شكيب أرسلان، **خلاصة تاريخ الأندلس**، منشورات دار الحياة، بيروت ، 1983، ص72.

(8) ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ص 295-298، ابن الخطيب **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص 368، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج6، ص ص 67-68.

(9) المقري، **نفح الطيب**، المصدر نفسه، ج1، ص 131.

أو الذين نزلوا واستقروا فيها و أبرزهم أبو سعيد فرج بن لب الغرناطي (701-782هـ/ 1302- 1381م) المفتي الشهير[1]، و الفقيه العالم أبو عبد الله الراعي الأندلسي (782-853هـ/ 1381-1450م)[2]، و شيخ المتصوفة أبو علي عمر بن المحروق[3] و غيرهم من العلماء الآخرين ممن سنتطرق لهم في الفصل الثاني، و قد احتلت مدينة غرناطة مكانة كبيرة في الحياة الأدبية بالأندلس، إذ حازت على قدر كبير من الاهتمام من قبل الأدباء و الشعراء الذين أبدعوا في وصفها و التغني بها، و مما قيل فيها من الشعر قول القاضي أبو بكر بن شبرين:

رَعَى اللهُ من غَرناطَةَ مُتَبَــوَّءً   يُسرُّ كئِيبًا أو يُجِيرُ طرِ يدا
تَبَرَّمَ منها صاحِبي عندَما رأى   مَسارِحَها بالبَردِ عُدنَ جَلِيدا [4]

و قال فيها أبو عبد الله بن زمرك:

غرناطةُ آنسَ الرحمانُ ساكِنَها   باحَتْ بِسرٍّ معانِيها أَغانِيهَا
فَخَلَّدَ اللهُ أيّامَ السُــرورِ بــها   صُفرا عَشِيتُها بِيضًا لياليِها[5]

وعلى العموم كانت غرناطة في عهد بني نصر (بني الأحمر) من أهم المراكز الثقافية التي أدت دورا كبيرا في نشاط الحياة الثقافية بالأندلس و المغرب الإسلامي بصفة عامة، و كانت تربطها علاقات ثقافية متينة مع حواضره الأخرى كفاس وتلمسان وبجاية و تونس.

([1]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج7، ص ص 51-54.

([2]) جلال الدين السيوطي، **نظم العقيان في أعيان الأعيان** ، تحقيق فليب حتي، المطبعة السورية الأمريكية في نيويورك، 1927، ص167.

([3]) ابن بطوطة ، المصدر السابق، ص669.

([4]) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص14.

([5]) حمدان حجاجي، **حياة و آثار ابن زمرك شاعر الحمراء**، ديوان المطبوعات الجامعية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (د ت)، ص194.

رابعا: عوامل أخرى:

بالإضافة إلى العوامل التي ذكرناها هناك عوامل أخرى ساهمت في ازدهار الحياة الثقافية في المغرب الأوسط و الأندلس خلال الفترة المدروسة أهمها:

الرحلات العلمية، التي كانت تعتبر شرطا أساسيا في طلب العلم، و ذلك ما عبر عنه عبد الرحمان بن خلدون بقوله: " الرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد، و الكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرجال "[1]، و لذلك كان علماء المغرب الأوسط والأندلس يتنقلون بين أرجاء المغرب والمشرق الإسلاميين للقاء أكابر العلماء و الأخذ عنهم، و أدّى هؤلاء العلماء دورا كبيرا في نشاط الحياة الثقافية في البلدان التي نزلوا بها من خلال ممارستهم لمهنة التدريس أو الخطابة أو مهام أخرى، و تذكر لنا المصادر التي اعتنت بتراجم العلماء الكثير من علماء المغرب الأوسط الذين ساهموا بقسط كبير في الحياة الثقافية بالأندلس و الكثير من علماء الأندلس ممن كان لهم أدوار ثقافية هامة بالمغرب الأوسط لعل أبرزهم: ابن خميس التلمساني (650-708هـ/1251-1308م) الذي تولى التدريس بغرناطة[2]، و ابن مرزوق الخطيب (710-781هـ/1310-1380م) الذي عيّن خطيبا بجامع غرناطة[3]، و من علماء الأندلس نذكر ابن خطاب المرسي (ت 686هـ/1289م) الذي دخل تلمسان و نزل على سلطانها يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1236-1282م) فأحسن إليه وعينه

([1]) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص588.

([2]) أبو القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، القسم الثاني، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة بيروت، تونس، 1985، ص376.

([3]) التنبكتي، المصدر السابق، ص267، ابن خلدون ، **الرحلة**، المصدر السابق، ص60، ابن الخطيب ، **كناسة الدّكان**، المصدر السابق، ص 160، ابن مرزوق، المصدر السابق، ص23، ابن مريم، المصدر السابق ص185.

كاتبا له[1]، و لسان الدّين بن الخطيب الذي كانت له مراسلات عديدة مع علماء المغرب الأوسط و سلطانه أبي حمو موسى الثاني [2].

كما ساهم المهاجرون الأندلسيون [3] تجاه المغرب الأوسط بقسط وافر في نشاط الحياة الثقافية، سواء أولئك الذين هاجروا بسبب الضعف الذي أصاب الأندلس وتكالب قوى النصارى على مدنها، أو لأسباب أخرى [4]، و الهجرات الأندلسية تجاه المغرب الإسلامي كانت قديمة، و سابقة للقرن السابع الهجري، إذ بدأت في عهد الدولة الأموية التي كانت تبحث عن قاعدة أندلسية ببلاد المغرب تقف في وجه الفاطميين[5]، و استمر تدفقهم بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس سنة 422هـ/ 1029م، و ازدادت حدتها مع بداية القرن السابع الهجري، لا سيما بعد انهزام الموحدين في معركة حصن العقاب 609هـ/ 1212م، واستقر عدد كبير منهم بالمغرب الأوسط و عاصمته تلمسان، جلهم كان من العلماء و الفقهاء و الأدباء و الصناع[6].

ولعبت الوراقة وازدهار فن النسخ كذلك دورا في تنشيط الحياة الثقافية في كلا القطرين، إذ تنافس الفقهاء و الخطاطون و الطلبة على نسخ المصاحف و الكتب المشهورة، و شارك في ذلك حتى السلاطين كأبي زيان الثاني (796هـ-801هـ/1394-1399م) [7]، و اشتهر في هذا المجال ابن مرزوق الخطيب الذي

---

(1) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص205، التنسي، **تاريخ بن زيان**، المصدر السابق، ص127.

(2) المقري، **نفح الطيب** ، المصدر السابق، ج7، ص124، ابن خلدون ، **الرحلة** ، المصدر السابق، ص ص 99-107، القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص142.

(3) سنتطرق بمزيد من التفصيل إلى الرحلات العلمية و الهجرات الأندلسية في الفصل الثالث و الرابع.

(4) محمد عمرو الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1983، ص117.

(5) عبد العزيز فيلالي، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب** ، المرجع السابق ص ص 96- 109.

(6) خالد بلعربي، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان**، ط1، مطبعة تلمسان، تلمسان2005، ص ص199-201.

(7) التنسي ، **تاريخ بن زيان**، المصدر السابق، ص 211.

عُرف بحسن الخط، و كان له دكان في القيصرية يبيع فيه السلع و ينسخ فيه المصاحف[1]، و في هذا المجال ألّف ابن مرزوق الحفيد (842هـ/1438م) رسالة سماها: " تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغط الروم"، و ذلك بعد امتناع البعض عن النسخ في الورق المستورد من البندقية، و له رسالة أخرى سماها " المومي إلى القول بطهارة الورق الرومي"[2].

كما لعبت المكتبات دورا هاما في إنعاش الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط والأندلس، و قد حظيت هي الأخرى بعناية و اهتمام السلاطين، و كان أغلبها يوجد داخل المساجد، كالمكتبتين اللتين كانتا بالمسجد الأعظم بتلمسان، الأولى شيدها أبو حمو موسى الثاني سنة(760هـ/1359م) و هدمت إبّان الحقبة الاستعمارية و فُقد ما كان بها من كتب[3]، و الثانية أقامها ابنه أبو زيان الثاني (761هـ/1359م) ، و قد أولاها عناية كبيرة، حيث أوقف عليها أوقافا كثيرة وحبس بها عدة كتب[4].

أما في الأندلس فقد حظيت هي الأخرى باهتمام السلاطين و الولاة و رجال الفكر، الذين تنافسوا في اقتناء الكتب المختلفة، وإنشاء المكتبات و التي كانت الوعاء الأساسي للاغتراف من العلوم[5].

([1]) عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، المرجع السابق، ج2، ص337.

([2]) أبو زكريا يحيى المغيلي المازوني ، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تحقيق حساني مختار، ج1، نشر مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2004، ص ص 68-81، الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص81.

([3]) لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص136، محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995، ص400.

([4]) التنسي ، **تاريخ بني زيان** ، المصدر السابق، ص 211.

([5]) محمد عبد الله الحماد، المرجع السابق، ص 168-169.

الفصل الثاني

أصناف العلوم و مشاهير العلماء بالمغرب الأوسط و الأندلس

أولا: العلوم الدينية

1- علوم القرآن

2- علوم الحديث

3- الفقه

4- التصوف

ثانيا: الحركة الأدبية بالمغرب الأوسط و الأندلس في عهد بني زيان

1- بالمغرب الأوسط

2- بالأندلس

ثالثا: العلوم الاجتماعية

1- التاريخ

2- الجغرافيا

رابعا: العلوم العقلية و الطبيعية

1- العلوم العقلية

2- العلوم الطبيعية

أولا: العلوم الإسلامية التي اقتضتها طبيعة الدين الجديد ويمكن تسميتها بالعلوم الدينية:

تتكون هذه العلوم من علمي القراءات والتفسير، وهما أوّل العلوم الإسلامية وموضوعهما القرآن الكريم ، وعلم الحديث واستنباط الأحكام الفقهية .

1- **علم القرآن:**

القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام، الناظم لشؤون المسلمين الدينية والمدنية وقد نزل منجما في نحو عشرين سنة، وكان ينزل حسب الحوادث ومقتضى الحال وحلا لما كان يعترض الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من معضلات.

أما علم القرآن فهو يشمل علمين أساسيين هما:

ــ **علم القراءات** وهو معرفة القراءات المشهورة وكيفية أداء الحروف، كما يضاف إليه فن الرسم، وهي أوضاع حروف القرآن الكريم في المصحف ورسومه(1)، وغايته ضبط نص القرآن الكريم.

ــ **علم التفسير:** علم التفسير من أعظم العلوم الدينية مقدارا، وأرفعها شأنا ومنارا لكونه رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها(2)، والتفسير هو شرح كلام الله تعالى ليفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه لفهم اللغة العربية(3) .

و قد اهتم علماء المغرب الأوسط و الأندلس خلال عهد بني زيان اهتماما كبيرا بالقرآن الكريم و علومه، فكانوا يتدارسونه في المساجد و المدارس و الكتاتيب، و من أجل المحافظة على حفظه كانوا يقرؤون عدة أحزاب يوميا بعد صلاة الصبح والمغرب(4) .

و قد برز العديد من علماء المغرب الأوسط في هذا المجال نذكر منهم:

---

(1) لقي فن رسم القرآن الكريم عناية واهتمام كبيرين وألفت فيه العديد من المصنفات، أنظر:إبراهيم بن محمد المغني، **دليل الحيران على مورد الظمآن في فن الرسم والضبط باعتبار قراءة الإمام نافع لمحمد بن محمد الشريسي الخراز** ، دار الكتب ، الجزائر ، (دت)، ص10.

(2) أحمد محمد الصاوي المالكي، **حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين**،ج1، مطبعة مصطفى محمد، مصر 1934، ص2، ابن خلدون ، **المقدمة** ، المصدر السابق، ص484-486.

(3) لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص150.

(4) عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني** ، المرجع السابق، ج2، ص 437.

- **ابن الشريف التلمساني:** عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني الحسني،أحد أكابر علماء تلمسان والمغرب الإسلامي كوالده الشريف التلمساني (710-771هـ/1310-1370م) (1) .

ولد ابن الشريف سنة 748هـ/1347م بتلمسان التي درس بها فبرز في عدد من العلوم أبرزها علم التفسير(2)، وتتلمذ على أكابر علماء زمانه كابن مرزوق الخطيب (710-781هـ/1311-1380م) ووالده الشريف التلمساني وغيرهما(3) ممّن أخذ عنهم مختلف العلوم النقلية والعقلية (4) ، اشتغل ابن الشريف في التدريس بعدة مدن كفاس وتونس وبجاية، وفي هذه الأخيرة اشتهر ذكره حيث أقبل عليه الطلبة من كل حذب وصوب(5)، كما تصدى للتدريس بغرناطة، وتوفي غريقا في البحر سنة 792هـ/1390م لمّا كان عائد منها إلى تلمسان (6) .

- **إبراهيم بن محمد المصمودي أبو إسحاق التلمساني:** برع في عدة علوم و فنون كعلوم القرآن و التصوف، و أخذ عن جملة من العلماء كالآبلي و الشريف التلمساني وغيرهم، و أخذ عنه جم غفير من العلماء أبرزهم ابن مرزوق الخطيب.

يُعد إبراهيم المصمودي من رئاسة العلم و الزهد بالمغرب الإسلامي،إذ كان مقبلا على العلم و العبادة و الاجتهاد، يحب مجالسة أهل العلم، و ممّا عُرف عنه أنه كان يقرأ القرآن الكريم و يشير بقضيب إلى محل الوقف، توفي سنة 805هـ/1405م، و حضر جنازته السلطان الواثق ماشيا على قدميه(7).

---

(1) التنبكتي ، المصدر السابق ، ص225 ،المقري ، **نفح الطيب** ،المصدر السابق،ج7، ص152،محمد بن محمد بن مخلوف ، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1349هـ ص234.

(2) عمار هلال ، **العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرون الميلاديين** (3-14هـ) ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، 1995 ،ص 31.

(3) التنبكتي، المصدر السابق، ص 151.

(4) الحفناوي، المرجع السابق، القسم الثاني ، ص ص245-246.

(5) عمار هلال، المرجع السابق، ص31.

(6) التنبكتي، المصدر السابق، ص 153.

(7) نفسه ، ص ص 51-52، ابن مريم،المصدر السابق، ص ص 64-66.

- **ابن زاغو المغراوي:** أحمد بن عبد الرحمان الشهير بابن زاغو المغراوي التلمساني أعلم الناس في وقته بعلم التفسير، ولد سنة 782هـ/1381م، و توفي سنة 875هـ/1470م، له العديد من المؤلفات في هذا العلم أهمها: مقدمة في التفسير، تفسير سورة الفاتحة، و التذييل عليه في ختم التفسير، ومؤلفات أخرى في الفقه و التصوف وغيرها(1).

وقد تصدى للتدريس بالمدرسة اليعقوبية بتلمسان، فكان يُعلّم التفسير والحديث والفقه في الشتاء والأصول والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة في الصيف (2).

واشتهر كذلك العديد من علماء الأندلس في هذا المجال أبرزهم:

- **أبو عبد الله القرطبي:** محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (578-671هـ/1183- 1273م)، من أكابر العلماء و الصالحين الزاهدين في الدنيا له مؤلفات عديدة تدل على كثرة إطلاعه وعلمه(3)، أهمها كتاب " الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمن من السنة و آي القرآن" في التفسير، الذي يُعد من أجل التفاسير و أعظمها(4)، فيه عرض لكل ما يتعلق بكل آية من تفسير الألفاظ و بيان إعرابها و ذكر ما يتصل بها من أوجه البلاغة، و من الشواهد الدّالة على المقصود منها، سواء كانت هذه الشواهد من الآيات أو الأحاديث أو من أقوال الرجال والأشعار(5) و بالإضافة إلى هذا الكتاب كان له مؤلفات أخرى منهما: كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، الإنتهاز في قراءة أهل الكوفة و البصرة و الشام و أهل الحجاز و غيرها(6).

---

(1) ابن القاضي، **درر الحجال في أسماء الرجال**،ج1، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، المكتبة العتيقة، القاهرة، تونس، 1970، ص 63، ابن مريم، المصدر السابق، ص 42، التنبكتي ، المصدر السابق، ص ص 78-79.

(2) لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص 152.

(3) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص ص 345-346.

(4) القرطبي، المصدر السابق، ص7.

(5) عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، ج6،ط3، (الأدب في المغرب و الأندلس من أوائل القرن 7 إلى أواسط القرن 10هـ) ، دار العلم للملايين، بيروت، 1997، ص 256.

(6) القرطبي، المصدر السابق، ص7.

- **أبو عبد الله الشاطبي:** محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي (ت بعد سنة 699هـ/1300م)، من أهل شاطبة(1)، كان عالما بعلم القراءات، متفننا فيها، و له معرفة بالعلوم العربية من نحو و لغة و أدب، استوطن بجاية و درس بها، و من أقواله:

جَعلتُ كِتابَ ربِّي لي بِضاعَهْ   فَكَيفَ أَخافُ فَقْرًا أو إضَاعَهْ ؟
و أَعْدَدتُ القَناعَةَ رَأسَ مالِي   و هَلْ شَيءٌ أَعَزٌ مِنَ القَنَاعَه ؟(2)

- **ابن جابر الهواري:** محمد بن أحمد بن علي الهواري (698- 780هـ/ 1299-1379م) العالم الغزير العلم، المشهور بالقصيدة المتضمنة للتورية بأسماء سور القرآن الكريم، و مطلعها:

فِي كُلِّ فاتِحَةِ القَولِ مُعْتَبَـرَة   حَقُّ الثَّناءِ على المَبْعُوثِ بالبَقَـرَة
في آلِ عِمْرانَ قِدَمًا شَاعَ مَبعَثُه   رِجالُهُم و النِساءُ اسْتَوضَحُوا خَبَرَه
مَن مَدَّ للنَّاسِ من نَعْمَاءِ مائِدَةٍ   عَمَّت فَلَيسَت على الأَنعَامِ مُقْتَصِرَه(3)

- **أبو بكر الغرناطي:** محمد بن محمد بن عاصم الأندلسي الغرناطي، ولد سنة 760هـ/ 1271م، و توفي سنة 829هـ/ 1426م، كان متضلعا في القراءات ومشاركا في المنطق و أصول الفقه، و له عدة مؤلفات أهمها : قصيدة إيضاح المعاني في القراءات الثماني و غيرها (4).

2- علم الحديث:

الحديث والسنة هو كل ما أُثر عن النّبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من قول أو فعل أو تقرير ، فالحديث يشير إلى القول ، والسنة إلى العمل أو السكوت

---

(1) شاطبة: مدينة بالأندلس يضرب بها المثل في الجمال و المنعة ، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق ص281.

(2) أبو العباس الغبريني ، المصدر السابق، ص 104.

(3) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج9، ص ص 150-170.

(4) نفسه،ج6، ص ص 13-15.

عن العمل ، وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم [1] . و لعلم الحديث أهمية كبيرة في الدين الإسلامي، و قد قيل : " إن معرفة الحديث و كتبه من مهمات أهل الفضل و حفظ السنن الواردة في المعتقدات و الأقوال و الأفعال عظيم الدرجة عند الله سبحانه و تعالى في العقبى و المآل[2]، و في كتابته فضل عظيم أيضا كقراءته، و ذلك لما يجري في ذكر الحديث من الصلاة و السلام على النبي صلى الله عليه و سلم "[3].

و قد اهتم علماء المغرب الأوسط و الأندلس في عهد بني زيان بعلم الحديث وذلك لاهتمامهم الكبير بالسنة النبوية فكانت تخصص حلقات متعددة لدراسة الحديث و علومه، معتمدين على عدة كتب أهمها: الموطأ للإمام مالك، صحيح البخاري لأبي عبد الله البخاري(ت256هـ/870م)،صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج(ت261هـ/875م) سنن أبي داود لأبي داود السجستاني (ت275هـ/889م)، جامع الترمذي لأبي عيسى محمد الترمذي (ت279هـ/892م)، جامع النسائي لأبي عبد الرحمان أحمد النسائي (ت33هـ/915م)[4]، كتاب التمهيد و الاستذكار لأبي عمر بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت462هـ/ 1070م)، المنتقى للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت474/ 1076م)، المختار الجامع بين المنتقي والاستذكار لأبي عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني[5]، عمدة سيرة النبي – صلى الله عليه و سلم – لمحمد بن إسحاق الحاوي، الروضة للكباري و غيرها من كتب الحديث الأخرى[6].

و كان بعض المحدثين يقولون للطلاب الذين يأتون يسألون الرواية:

---

(1) لخضر عبدلي، المرجع السابق ، ص 140-1420.

(2) ابن قنفد القسنطيني، **الوفيات**، جمع و تعليق هنري بيرس، المطبعة الثعالبية، الجزائر، (دت)، ص6.

(3) نفسه ، ص 64.

(4) لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص142، عثمان عبود، **المهذب في مصطلح الحديث**، القسم الثاني مطبعة وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1992، ص ص 50-59.

(5) الغبريني، المصدر السابق، ص 26.

(6) عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو موسى**، المرجع السابق، ص 39.

أَهلاً و سَهلاَ بالذِينَ أُحِبُهُم و أَوَدُّ رُؤيَتَهُم ذَوِي الإِيلاَءِ
أهلاً بقَومٍ صالِحينَ ذُو تُقَى خَيرُ الرِّجالِ و زَيْنُ كُلِّ مَـــلاءِ
يَسعَوْنَ في طلبِ الحديثِ بعِفَّةٍ و تَوقُرٍ و سكِيـــنةٍ و حَيَـــاءِ
لهُمُ المَهابَةُ و الجلاَلَةُ و التُّقَى و فضائِلُ جَلَّت عنِ الإحصـــاءِ
و مِدادُ ما تجْرِي به أَقلامُهُمُ أزكَى و أفْضَلُ مِن دَمِ الشُهــداءِ
يا طالِبِي عِلمَ النبي مُحمَّدٍ ما أَنتُم و سِواكُم بســـواءِ [1]

و قد برز العديد من علماء المغرب الأوسط في علم الحديث منهم:

- **أبو إسحاق التنسي:** إبراهيم بن يخلف المتوفى سنة (680هـ/ 1291م)، أصله من تنس واستوطن تلمسان بعدما ألّح عليه السلطان يغمراسن بن زيان، و كان من أكابر علماء المغرب الإسلامي، ترد عليه الأسئلة من مختلف الأقطار، و قد قام يدرس الحديث و غيرها من العلوم بتلمسان، فانتفع به خلق كثير، و كانت له طريقة حسنة يضرب بها المثل في تدريس علم الحديث[2].

- **المقري الجد (ت759هـ/ 1358م):** محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمان القرشي التلمساني الشهير بالمقري، المولود بتلمسان أيام السلطان أبي حمو موسى الأول (707- 718هـ/ 1307-1318م)، نشأ ودرس بتلمسان عن أكابر علمائها كابني الإمام، عمران المشدالي، ابن هدية القرشي، عبد المهيمن الحضرمي وغيرهم[3] وقد كان مشاركا في جميع العلوم بما في ذلك علم الحديث، و كانت له فتاوى و آراء عديدة في ذلك [4].

([1]) ابن قنفد، المصدر السابق، ص 68.

([2]) التنبكتي، المصدر السابق، ص 35، ابن مريم، المصدر السابق، ص 67.

(3) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق ،ج6، ص ص181-187 ، محمد بن محمد بن مخلوف ، المصدر السابق، ص232.

([4]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر نفسه، ج6، ص ص 174-175، التنبكتي، المصدر السابق، ص 249 ابن فرحون، المصدر السابق، ص 288، النباهي، المصدر السابق، ص 170، ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص 139، محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص 232.

توفي المقري الجد بفاس سنة 759هـ/1358م ، وقد خلف مؤلفات عديدة منها : كتاب القواعد، التحف والطرف، الحقائق والرقائق وغيرها[1].

- **ابن مرزوق الخطيب (710-781هـ/ 1310- 1380م):** محمد بن أحمد بن محمد ابن محمد بن محمد بن مرزوق، المشهور بالخطيب وبابن مرزوق الجد التلمساني، ولد بتلمسان سنة 710هـ/1311م[2]، وعُرف برحلاته الكثيرة في البلاد الإسلامية فأتيحت له الفرصة للأخذ عن أكابر العلماء في زمانه، والاشتغال في التدريس والخطابة بعدة مدن كالإسكندرية،القاهرة،تلمسان،غرناطة،وتونس، توفي سنة 781هـ/1380م بالقاهرة، وترك العديد من المؤلفات في مختلف العلوم نذكر منها:

تعليق على صحيح البخاري، الأربعين في الصحاح، تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام، إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب، برح الخفاء في شرح الشفاء...[3].

- **ابن مرزوق الحفيد:** محمد بن أبي بكر بن عبد الله العجيسي التلمساني، المولود سنة 766هـ/ 1365م، و المتوفى سنة 842هـ/1440م بتلمسان، له مؤلفات عديدة في علم الحديث أهمها : المتجر الربيح و المسعى الرجيح و المرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح، كتاب أنواع الدراري في مكررات البخاري...[4].

- **عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري(786-875هـ/ 1385-1472م):** أحد أكابر العلماء و الزهاد و الأولياء، برز في جميع العلوم، بما في ذلك علم الحديث، الذي قيل أنه كان آية فيه، له العديد من المؤلفات تزيد عن التسعين مؤلفا

---

(1) التنبكتي، المصدر السابق، ص 254.

(2) نفسه، ص267 ، ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص60.

(3) ابن فرحون، المصدر السابق، ص 309، ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر نفسه، ص 61، ابن الخطيب **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص 160، ابن مريم، المصدر السابق، ص 185، التنبكتي، المصدر السابق ص 270، الحفناوي، المرجع السابق، القسم الأول، ص 146.

(4) محمد بن علي الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع**، ج8، مطبعة السعادة، القاهرة 1348هـ، ص 120، نصر الدين بن داود، **علماء أسرة المرازقة ودورهم الثقافي بتلمسان من القرن7هـ-13م إلى القرن10هـ-16م**،مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، جامعة وهران 2002-2003،ص 16.

أبرزها تفسير الجواهر الحسان، المدونة، الأنوار في معجزات النبي المختار، رياض الصالحين، إتعاض الدرر، روضة الأنوار و غيرها[1].

و ممن برز من علماء الأندلس في علم الحديث نذكر:

- **أبو القاسم القرطبي:** إبراهيم بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المولود سنة 575هـ/1180م، و المتوفى سنة 642هـ/1243م، محدث الأندلس وأحد أكابر العلماء، كان بصيرا بالقراءات و العربية، ولي الخطابة بمالقة، و أقرأ بها و حدّث، وله العديد من المؤلفات في علم الحديث ككتاب غرائب أخبار المسندين، كتاب ما ورد من الأمر في شرب الخمر ...[2].

- **أبو العباس الإشبيلي:** شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرح بن أحمد بن محمد اللخمي الإشبيلي، من كبار الأئمة و الحفاظ، ولد سنة 625هـ/1227م، أخذ عن أكابر علماء المغرب و المشرق الإسلاميين، و أخذ عنه الكثير من العلماء أبرزهم شمس الدين الذهبي (ت748هـ/1347م) و غيره، توفي أبو العباس سنة 699هـ/1300[3]

و من آثاره قصيدة رائعة سميت الغرامية في ألقاب الحديث، و مما جاء فيها:

غَرَامي صَحيحٌ و الرجا فِيكَ مُعَضَّلُ   و حُزني و دَمعي مُرسَلٌ و مَسلْسَلُ
و صَبرِي عَنكُم يُشهِدُ العَقلَ أنّه   ضَعيفٌ و مَتروكٌ و ذُلّي أَجمَلُ
ولا حُسنَ إلاّ في سَماعِ حَديثَكُم   مشافَهةٌ يُملِي عَلّيَّ فأَنقُلُ
وأمري موقوفٌ عَليكَ و ليس لي   على أحدٍ إلاَّ عليكَ المُعَوَّلُ
ولو كان مَرفوعاً إليكَ لَكُنتَ لي   على رَغمِ عذالي ترِقُ و تعمَلُ [4]

([1]) ابن القاضي، المصدر السابق، ج3، ص84، السخاوي، **الضوء اللامع**، المصدر السابق، ج4، ص152 التنبكتي، المصدر السابق، ص 173 الحفناوي، المرجع السابق، القسم الأول، ص ص 68-70 ، لخضر عبدلي المرجع السابق ، ص154-155.

([2]) أبو عبد الله بن الآبار، **كتاب التكملة لكتاب الصلة**، تعليق ألفريد بل، ابن أبي شنب، المطبعة الشرقية الجزائر، 1920، ص147، الذهبي ، المصدر السابق، ج16، ص395، عمر فروخ، المرجع السابق، ص55.

([3]) المقري ، **نفح الطيب** ، المصدر السابق، ج3، ص ص 135- 136.

([4]) ابن قنفد، المصدر السابق، ص ص 7-8، المقري، المصدر نفسه، ج3، ص136.

- **أبو جعفر الثقفي:** أبو جعفر بن الزبير بن عاصم بن مسلم الثقفي المولود بجيان سنة 727هـ/ 1327م، و المتوفي بغرناطة سنة 780هـ/1379م،قال فيه لسان الدين بن الخطيب: " كان خاتمة المحدثين، و صدور العلماء و المقرئين، نسيج وحده، حسن التعلم، و الصبر على التسميع و الملازمة للتدريس ...ملازما للسنة، مهيبا، معظما عند الخاصة و العامة، إليه انتهت الرياسة في الأندلس في العربية و تجويد القرآن الكريم و رواية الحديث"[1].

و إضافة إلى هؤلاء العلماء اشتهر علماء آخرون في هذا العلم كمحمد بن يوسف بن مسدي الغرناطي (ت662هـ/1263م) صاحب المسند الغريب، و الأربعون المختارة في فضل الحج و الزيارة[2]، و محمد بن إبراهيم اليقوري الأندلسي (ت707هـ/ 1307م)، صاحب كتاب إكمال الإكمال، و ابن الشاط الإشبيلي (ت725هـ/1325م) صاحب كتاب التعريف برجال البخاري [3]. وابن وداعة النفزي (ت 738هـ/ 1338م) صاحب أربعون حديث عن أربعين امرأة من الصحابة وكتاب الضاحي في حكم الأضاحي [4] و غيرهم .

3- الفقه:

الفقه لغة هو الفهم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً**﴾[5] أي لا تفهمون، و قيل الفقه هو معرفة الأشياء الدقيقة، و اصطلاحا هو معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد[6]، و عرّفه عبد الرحمان بن خلدون بقوله: " هو معرفة أحكام الله تعالى في

(1) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص 72-76.

(2) الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص ص 53-54، المقري، **نفح الطيب** ، المصدر السابق، ج2، ص226.

(3) عمر فروخ، المرجع السابق، ص 53.

(4) ابن فرحون، المصدر السابق، ص 42.

(5) سورة الإسراء، الآية 44.

(6) أحمد بن زكري التلمساني، **غاية المرام في شرح مقدمة الإمام** ، تحقيق محند أو إدير مشنان، المجلد الأول ط1، دار التراث ، دار ابن حزم ، الجزائر، 2005، ص ص 281-282.

أفعال المكلفين بالوجوب، و الحظر، و الندب، و الكراهة والإباحة وهـي منتقـاة مـن الكتاب و السنة، و ما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام مـن تلك الأدلة قيل لها فقه"[1]، و هو يتناول جميع المسائل التي تواجه الإنسان في حياتـه فيبحث في الفرائض الدينية والأحوال الشخصية والمعاملات الاجتماعية والاقتـصادية أما أهم أصوله ، فهو القرآن و السنة[2] إضافة إلى الإجماع والقياس[3].

وقد اشتهرت عدة مذاهب في الفقه ، منها مذهب الإمام مالك، المذهب المشهور و المعتمد ببلاد المغرب الإسلامي، و الذي لقي اهتماما و إقبالا كبيرين من قبل أهله، كما لقي أهم كتبه و هو الموطأ اهتماما كبيرا من قبل علماء المغرب الإسلامي، الذين اعتنوا بشرحه و تدريسه، فضلا عن الكتب الأخرى المشهورة في الفقه المالكي كالمدونة و المختلطة لعبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون(ت240هـ/ 854م)، و كتاب التهذيب لأبي سعيد البراذعي، و كتاب التفريع لأبي القاسم بن الجلاب البصري، و كتاب الواضحة لعبد الملك بن حبيب القرطبي[4]، و كتاب ابن الحاجب الذي كان ناصر الدين المشدالي يُرغب في دراسته، و قام بشرحه جماعة من الشيوخ[5].

وفضلا عن العلماء الذين ذكرناهم في علوم القرآن و الحديث من علماء المغرب الأوسط الذين اشتهروا و برعوا في الفقه، برز علماء آخرون في هذا المجال أمثال:

- **أبو محمد بن مخلوف** المكني بأبي فراس التلمساني، المولود بتلمسان سنة (602هـ/ 1205م)، و المتوفى بالجزائر سنة(686هـ/1285م)، عالم و فقيه جليل

---

(1) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 493.

(2) نفسه، ص ص 494-499.

(3) الإجماع هو اتفاق الفقهاء المجتهدين على حكم ، أما القياس فهو إلحاق أمر بآخر في الحكم الشرعي لاتحاد بينهما في العلة ، أنظر: لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 162.

(4) الغبريني، المصدر السابق، ص ص 26-27.

(5) ابن خلدون ، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 499.

كان يلقب بخزانة مالك[1]، تولى القضاء ببجاية وبسكرة وقسنطينة والجزائر، كما اشتغل بالتدريس فأخذ عنه العلم خلق كثير أمثال أبو العباس الغبريني وغيره [2].

- **ابني الإمام:** علما تلمسان الشامخان أبو زيد عبد الرحمان (ت 741هـ/1340م) وأبو موسى عيسى (ت 749هـ/1348م)، من أكابر علماء المغرب الإسلامي إذ تخرج عليهما جم غفير من العلماء، فاشتهر ذكرهما بالمغرب كما بالمشرق، إذ كانت لهما رحلة إلى المشرق الإسلامي في حدود سنة 720هـ/1320م، أين ناظرا الشيخ تقي الدين بن تيمية، و ظهرا عليه، و كان ذلك من أسباب محنته، و نظرا لعلمهما ومكانتهما الكبيرة، فقد كانا مقربين من السلاطين، كأبي الحسن المريني الذي أكرمهما وضمهما إلى مجلسه، و أبي حمو موسى الأول الذي بنى لهما مدرسة سميت باسمهما[3].

- **أحمد بن يحي بن علي الونشريسي** المتوفى سنة 914هـ/ 1509م، و الذي انكب على تدريس كتب الفقه المالكي المشهورة كالمدونة و فرعي ابن الحاجب، كما كان مشاركا في علوم أخرى إضافة إلى الفقه، و من أهم مؤلفاته: كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب، و تعليق على ابن الحاجب الفرعي، و كتاب الفروع في مسائل الفقه و غيرها من المؤلفات الأخرى[4].

أما بالأندلس فلقي الفقه أيضا اهتماما بالغا، إذ برز فيه العديد من الفقهاء الذين اشتهروا في الأفاق، و عن مدى اهتمام الأندلسيين بهذا المجال يقول المقري صاحب نفح الطيب: " و للفقه (عند الأندلسيين) رونق ووجاهة... و سمة الفقيه عندهم جليلة حتى أنهم كانوا يُسمون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه، وقد يقولون للكاتب و النحوي و اللغوي فقيه، لأنه عندهم أرفع السمات"[5].

([1]) الغبريني، المصدر السابق، ص ص 91-92.

(4) لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص164.

([3]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130، ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق ص58، التنبكتي المصدر السابق، ص 166، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج6، ص ص 181- 182، الحفناوي المرجع السابق، القسم الثاني ، ص ص 209-212.

([4]) الجفناوي، المرجع نفسه، ص ص 62-63.

([5]) المقري، **نفح الطيب** ، المصدر السابق، ج1، ص 181.

و كان بعض الفقهاء و المحدثين يقولون لمن سألهم الرواية:

كُلُّ العُلومِ سِوى القُرآن زَندقةٌ   إلاَّ الحَديثَ و إلا الفِقهَ في الدِّينِ
و العلمُ مَنبعُهُ ما قال حَدَّثنا   و ما سِوى ذلكَ وساوِسُ الشَياطِينِ[1]

و ممن اشتهر من الأندلسيين في مجال الفقه نذكر:

- **ابن محرز البلنسي:** أبو بكر محمد بن أحمد الزهري البلنسي، المعروف بابن محرز أحد رجال العلم و الفصاحة بالأندلس، و اشتهر بالخصوص في الفقه، أخذ العلم بمسقط رأسه ببلنسية ثم مرسية و إشبيلية و غرناطة[2]، بعدها ارتحل إلى بجاية بعد سنة 640هـ/1241م، و استوطنها ، فكان معظما عند أهلها و محترما، و كانت تقرأ عليه هناك كتب الحديث و الفقه و اللغة و الأدب، إلى أن توفي هناك في حدود (655هـ/ 1256م)[3].

- **ابن جزى الكلبى:** أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن جزى الكلبي، المولود سنة 715هـ/ 1315م، فقيه و أديب، أخذ العلم عن والده أبو القاسم بن جزي أحد شيوخ لسان الدين بن الخطيب[4]، و عن علماء آخرين، ولي القضاء بعدة مدن، كبرجة، وادي آش وحسنت سيرته في ذلك ، و كان له شعر كثير ، منه قصيدة مشهورة مطلعها:

أَقولُ لِعَزمي أو لِصالِحِ أعمالي   ألاَ عِمْ صَباحاً أيُّها الطَلَلُ البَالي
أَمَا واعِظي شَيبٌ سَمَا فوق لِّمَتي   سُمُوَّ حُبابِ الماءِ حالا على حالٍ
أنارَ به لَيلُ الشَّبابِ كأنَّهُ   مصابِيحُ رُهبانٍ تَشُبُّ لِقِفالٍ
نَهانِي عن غَيِّي و قال مُنُبِّهاً   ألستَ ترى السَّماءَ و النَّاسَ أحوالِي
أَشَيخا و تَأتِي فِعلَ من كان عُمرَهُ   ثلاثين شَهراً في ثَلاثَةِ أحْوالِ[5]

([1]) ابن مريم، المصدر السابق، ص 310.
([2]) المقري ، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص 230.
([3]) الغبريني ، المصدر السابق، ص ص 241-243، التنبكتي، المصدر السابق، ص 229.
([4]) ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص 13، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج9، ص 131.
([5]) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص 48-52.

- **أبو عبد الله الراعي الأندلسي:** شمس الدين محمد بن إسماعيل الغرناطي الأندلسي الشهير بالراعي، ولد بغرناطة سنة 782هـ/1381م، كان فقيها عالما، أخذ عن جملة من العلماء أبرزهم أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني(ت 854هـ/ 1450م) وغيره[1]، ارتحل إلى القاهرة، فتصدى هناك للتدريس، وتوفي حوالي (853هـ/1450م)[2] و من أقوله:

عَليكَ بِتَقْوَى اللهِ ما شِئتَ و اتَّبِعْ   أَئِمةَ دينِ الحَقِّ تَهْدى و تَسعَدِ
فَمَالِكُهُمْ و الشَافِعِيُّ و أَحمَدُ   و نُعمَانُهُمْ كلٌّ إلى الخيرِ يَرشَدِ
فتابِع لمن أحْبَبتَ مِنهُم و لا تَمِلْ   لِذي الجَهلِ و التَّعصُبِ إن شئتَ تحمَدِ
وحُبُّهُم دِينٌ يَزينُ و بُغضُهُمْ   خروجٌ عنِ الإسْلامِ و الحَقِّ يبعَدِ
فلَعنَةُ ربِّ العَرْشِ و الخَلقِ كُلُّهُم   على من قلاهُم و التَّعَصُّبَ يَقصَدِ[3]

و له الكثير من المؤلفات منها: شرح ألفية ابن مالك، شرحين على الأجرومية و كتاب القواعد، إنتصار الفقير السالك لمذهب الإمام الكبير مالك، إختصار على شرح شيخه ابن مرزوق على مختصر الشيخ خليل[4].

- **ابن علي القلصادي:** علي بن محمد بن علي القرشي البسطي الشهير بالقلصادي، من كبار الأئمة المشهورين بالأندلس، أخذ عن أكابر شيوخ المغرب و الأندلس والمشرق[5] و أخذ عنه خلق عظيم، توفي سنة 891هـ/1486م، و ترك مؤلفات عديدة ، و في مختلف العلوم، أهمها كتاب أشرف المسالك إلى مذهب مالك، شرح مختصر خليل

(1) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص 279.
(2) السيوطي، **نظم العقيان**، المصدر السابق، ص 167.
(3) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص ص 279- 280.
(4) نفسه، ج3، ص ص 280-282، السيوطي، **نظم العقيان**، المصدر السابق، ص167.
(5) أبو الحسن القلصادي، **رحلة القلصادي**، تحقيق محمد أبو الأجفال، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1978، ص ص 83-133، السيوطي، المصدر نفسه، ص 131.

مختصر الضروري في علم المواريث، شرح فرائض التلقين وفرائض ابن الحاجب و مؤلفات أخرى[1].

4- التصوف:

إن تعريف التصوف أمر عسير لأنه أمر قلبي، فلا يمكن وصفه بتعريف عام شامل جامع يتفق عليه الجميع، و قد عرّفه الجُنيد[2] بقوله: " التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة" و قال أيضا: " الصوفية هم القائمون مع الله تعالى، بحيث لا يعلم قيامهم إلا الله، " أما الروذ باري و هو تلميذ الجنيد فقد أجاب على سؤال من هو الصوفي ؟ بقوله: " الصوفي من لبس الصوف على الصفا، و أطعم نفسه طعام الجفا، و نبذ الدنيا وراء القفا، و سلك سبيل المصطفى "[3].

و عرّفه عبد الرحمان بن خلدون بقوله: " هو العكوف على العبادة، و الانقطاع إلى الله تعالى، و الإعراض عن زخرف الدنيا، و كان هذا عاما عند الصحابة والسلف فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني و ما بعده، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية، ثم صار علما بعد ما دونت فيه كتب، كرسالة القشيري (ت465هـ/1072م)[4]، و كتاب الإحياء (إحياء علوم الدين) لأبي حامد الغزالي (ت505هـ/1109م)[5].

و التصوف نوعان: تصوف عملي يستمد أصالته من الإسلام، فصاحبه لا ينقطع عن الحياة العملية، و تصوف فلسفي، ينقطع صاحبه عن الحياة العملية، و أهم مظاهره

([1])القلصادي، المصدر السابق، ص ص 40-46، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 141-143 ، السخاوي **الضوء اللامع**، المصدر السابق، ج4، ص 330.

([2]) الجنيد البغدادي، من أقطاب الصوفية الكبار، توفي حوالي 297هـ/881م، أنظر: عبد الحكيم عبد الغني قاسم، **المذاهب الصوفية و أقطابها**، مكتبة مديولي، 1999، ص 24.

([3]) عبد المنعم حنفي، **معجم مصطلحات الصوفية**، ط1، دار المسيرة، بيروت، 1980، ص157، عبد الرزاق قسوم، **عبد الرحمان الثعالبي و التصوف**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978، ص ص 51-53.

([4]) رسالة القشيري: اشتملت على تراجم لرجال التصوف ، مؤلفها أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة 465هـ/ 1072م، الغبريني، المصدر السابق، ص 58.

([5]) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 517-518.

الشطحات و الرقصات و البخور و المزامير[1]، و لذلك كان هناك متصوفة معتدلة انقطعوا للعبادة من صلاة وصيام و تلاوة القرآن، و استحسن الفقهاء ذلك، و اعتبروا اجتماعهم اجتماعا على طاعة مستحبة[2]، و كان لهم شيخ برأسهم و يقتدون به، و ذلك ما عبّر عنه عبد الواحد بن عاشر (990هـ/ 1583م) في متنه عند حديثه عن مبادئ التصوف بقوله:

يَصحَبُ شيخا عارفَ المسالِكِ يَقِيهِ في طريقِهِ المَهالِـكَ
يُذكِـــرُه اللهَ إذا رءاهُ و يوصِلُ العَبدَ إلى مولاهُ[3]

ومن جهة أخرى كان هناك متصوفة متطرفة، يجتمعون في كثير من الليالي في إحدى البيوت، و يفتتحون المجلس بشيء من الذكر، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الغناء والضرب بالأكف و الشطح إلى آخر الليل، و اعتبر الفقهاء ذلك بدعة لم تكن في زمن الرسول – صلى الله عليه و سلم–[4].

و قد عرف التصوف انتشارا واسعا ببلاد المغرب الإسلامي، إذ برز العديد من المتصوفة أشهرهم القطب الغوث أبي مدين شعيب الذي اشتهر أمره ببجاية، فاستدعاه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580- 595هـ/1184-1199م)، و في الطريق إليه توفي ودفن بالعباد قرب تلمسان 594هـ/1198م[5].

و في عهد بني زيان اشتهر عدة متصوفة كان لهم احتراما كبيرا من قبل العامة والخاصة **كأبي إسحاق الطيار** الذي كان من كبار الأولياء، و معلمي القرآن الكريم توفي قبل المائة السابعة، و دفن بالعباد[6]، و **أبي عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق**

---

(1) عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق، ص 55.

(2) كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص107.

(3) عبد الواحد بن عاشر، **المرشد المعين على الضروري من علوم الدين**، نشره الشاذلي النيفر، منشورات الشروق، باتنة، 1990، ص 26، الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص ص 117-123.

(4) كمال السيد، أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 107.

(5) الغبريني، المصدر السابق، ص ص 60-61.

(6) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص106.

المولود سنة 629هـ/1232م، و الذي كان من الصُلحاء و الأولياء المشاهير، متمكنا في الحديث و الفقه و التصوف، كان مستجاب الدعاء، توفي سنة 681هـ/ 1282م ودفن قرب يغمراسن بن زيان، بوصية من هذا الأخير تبركا به[1].

و اشتهر كذلك **محمد بن عمر بن عثمان الهواري المغراوي**، الذي استقر بوهران فانتفع به خلق كثير، و كانت له كرامات عديدة، منها ما ذُكر أنه دعا على مدينة وهران بقوله:" إني بعتك لنصارى مالقة و جالقة"، فاحتلها الإسبان، و ذلك بعدما قتلوا ولده ظلما، توفي سنة 843هـ/ 1439م، و قد خلف مؤلفات عديدة أهمها: السهو والتنبيه للفقراء أولي الفضل النبيه[2]، وبرز أيضا تلميذه **إبراهيم بن محمد التازي** الذي أخذ عن أكابر علماء المغرب و المشرق الإسلاميين، و كان هو الآخر عالما زاهدا ومن كبار المتصوفة المنقطعين عن زخرف الدنيا، و قال في ذلك:

فَمَا الدُّنيا و زُخرُفُها بِشَيء   وما أيامُها إلاَّ عَــــوارُ
و لَيسَ بِعاقِلٍ من يَصطَفِيها   أَتَشْرِي الفَوزَ و يحَكَ بالتَّبارْ

و إضافة إلى التصوف كان التازي إماما في علوم القرآن و الحديث و الفقه وعرف بحسن الصوت في تجويد القرآن الكريم، و قد قُدّم لصلاة التراويح بمكة المكرمة، و توفي سنة 866هـ/1461م[3].

و اشتهر كذلك في هذا المجال **محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب** المعروف بالسنوسي، عالم تلمسان و صالحها، الذي أخذ عن عدة علماء كأبي الحسن التالوتي عبد الرحمان الثعالبي، إبراهيم التازي، أبي الحسن القلصادي، و غيرهم ، و قد عرف بالزهد فكان لا يقبل هدايا السلطان، و لا يحضر الولائم الفاخرة، و كان ينهى عن ضرب المعلمين للصبيان، و ضرب الدّواب[4].

([1]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص ص 114-115.

([2])ابن صعد الأنصاري، **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تحقيق يحيى بوعزيز منشوراتANEP، الجزائر 2002، ص ص 48-55، محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص ص 37-41 التنبكتي، المصدر السابق، ص ص 303-304، بن عود المزاري، "**أولياء و علماء وهران**"، **مجلة جمعية الجغرافيا و الآثار لوهران**، اتحاد أكاديمية وهران، 1977-1978، ص ص 3-4.

([3])ابن صعد،المصدر نفسه،ص ص 143-183، التنبكتي، المصدر نفسه ، ص ص 54-57، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 58-61.

([4]) الحفناوي، المرجع السابق، القسم الأول، ص ص 179-184.

و إضافة إلى هؤلاء اشتهر علماء آخرون في مجال التصوف، و قد سبق التعريف بعضهم، و سنتطرق إلى آخرين في مجالات أخرى.

و أما بالأندلس فقد عرف التصوف كذلك انتشارا، و كان للأوضاع السياسية دورا في ذلك، فبعد أن تدهورت الأحوال بالأندلس بعد أن استولى النصارى على الكثير من المدن، أقبل الناس على التصوف بعدما وجدوه تعزية و سلوة عن الحياة المحيطة بهم(1)، فأصبح التصوف بمثابة الهروب من الواقع وجو الفتن و الحروب(2) وأدى ذلك إلى انتشار ظاهرة الكرامات الصوفية، و تقديس الأولياء(3) في حياتهم وبعد مماتهم، و حتى السلاطين و الأمراء كانوا يتبركون بهم، و يلتمسون دعاءهم كما كان عامة الناس يقصدون أضرحة الأولياء، و يأخذون منها التراب(4) اعتقادا منهم في شفاء بعض الأمراض، و قضاء بعض الحاجات.

و اشتهر العديد من المتصوفة بالأندلس نذكر منهم:

- **محي الدين بن عربي:** أبو عبد الله محمد بن علي المرسي ، ولد بمرسية سنة 560هـ/1065م، و أخذ عن علماء الأندلس ثم ارتحل إلى المشرق، و أجازه أكابر علمائها كابن عساكر(5)و غيره.

و قد اختلف العلماء و عامة الناس في ابن عربي، فمنهم من نعته بالعارف بالله وقطب وولي من أولياء الله الصالحين، مثل الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط وكمال الدين الزملكاني و البلقيني و فخر الدين الرازي و ابن السبكي و غيرهم، في حين نعته البعض الآخر بالإلحاد و الزندقة كابن الخياط، الحافظ الذهبي و ابن تيمية

---

(1) الطوخي، المرجع السابق، ص 344.

(2) عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق، ص ص 19-20.

(3) أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ج3، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، (دت)، ص 69.

(4) الطوخي، المرجع السابق، ص 344.

(5) ابن عساكر: تقي الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الحسن الدمشقي الشافعي ، من أكابر العلماء و المحدثين، ولد سنة 499هـ/1105م، و توفي سنة 551هـ/ 1177م، من مؤلفاته تاريخ دمشق فضل أصحاب الحديث و غيرها، أنظر: السيوطي، **طبقات الحفاظ**، المصدر السابق، ص ص 475-477.

وغيرهم[1]، و ذلك نظرا لبعض أقواله التي كان ظاهرها الإلحاد و باطنها الإسلام منها مثلا قوله:

يا مَنْ يَرانِي و لا أَرَاهُ كَمْ ذا أراهُ و لا يَرانِي

و لما سُئل عن كيفية التجرؤ و القول بأن الله لا يراه ؟ أجاب بقوله :

يَا مَنْ يَراني مُجْرِمًا و لا أَراهُ آخِـــذًا
كَم ذا أَراهُ مُنعِمًا و لا يَرانِي لائِذًا[2]

توفي ابن عربي سنة 640هـ/ 1142م[3]، و ترك مؤلفات عديدة أهمها: مطالع أهلة أسرار العلوم، عنقاء مغرب في صفة ختم الأولياء و شمس المغرب، الفتوحات المكية، كشف المعنى في تفسير الأسماء الحسنى، الرسالة الملقبة بمشاهد الأسرار القدسية، و مطالع الأنوار الإلهية و غيرها[4]، كما كان له شعر كثير منه قوله:

حَقيقَتِي هِمْتُ بها و ما رآها بَصَرِي
ولَوْ رَآها لَغَدَا قَتيلَ ذاكَ الحَـــوَرِ
فَعندَما أَبصَرتُها صِرتُ بِحُكمِ النظرِ
فَبِتُّ مسْحورًا بها لَو كانَ يُغْني حَذَرِي [5]

- **ابن سبعين المرسي:** أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر المشهور بابن سبعين، و الملقب بقطب الدين، من أهل مرسية ، ولد سنة 614هـ/1118م فيلسوف و متصوف مشهور[6]، درس العربية و الآداب بالأندلس، و التصوف بسبتة[7]، ثم ارتحل إلى بجاية أين لقي جملة من العلماء، و أخذ عنه الكثير من الطلبة

([1]) أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، ج3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (دت)، ص ص 74-75.
([2]) المقري ، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص 310.
([3]) ابن الملقن، المصدر السابق، ص 470.
([4]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ص ج2، ص316.
([5]) الغبريني، المصدر السابق، ص 160.
([6]) ابن الملقن، المصدر السابق، ص 442.
([7]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص 334.

هناك[1]، و بعدها انتقل إلى المشرق أين عظم صيته، و كثر أتباعه، و هو الآخر تباينت الآراء حوله كابن عربي، فهناك من عدّه من أكابر العلماء والفقهاء و الحكماء و هناك من رأوا عكس ذلك ووصلـوا إلى حد تكفيـره[2]،و ذلك راجـع إلى بعـض أقواله غير المفهومة، و قد قال في ذلك ابن دقيق العيد[3]: " جلست معه من الضـحى

إلى الظهر، و هو يسرد كلاما تعقل مفرداته و لا تفهم مركباته"[4].

توفي ابن سبعين بمكة المكرمة سنة 669هـ/1270م، و ترك العديد من المؤلفات أهمها: كتاب الدرج، السفر، الأبوبة اليمنية، الكد، الإحاطة، إضافة إلى رسائل كثيرة في الأذكار و الوصايا و المواعظ[5]، كما خلف طريقة صوفية تعرف بالسبعينية ومذهب في التصوف الفلسفي يعرف بالوحدة المطلقة[6].

- **أبو الحسن الششتري:** أبو الحسن علي النميري الششتري، صوفي شهير وأديب شاعر من تلامذة ابن سبعين[7]، قال فيه المقري صاحب النفح: " عروس الفقهاء وإمام المتجردين و بركة لابسي الخرقة، من أهل العلم و العمل"[8]، توفي بالشام سنة 668هـ/1269م بمكان يقال له الطينة، و ممّا يُذكر عنه أنه لما وصل إلى ذلك المكان سأل عن اسم البلدة ؟ فقيل له الطينة فقال لهم: حنّت الطينة إلى الطينة و بها توفي، وقد خلف مؤلفات عديدة منها: المقاليد

---

(1) الغبريني، المصدر السابق، ص 209.

(2) نفسه، ص 209، المقري، المصدر السابق، ج2، ص 335، التنبكتي، المصدر السابق، ص 184.

(3) ابن دقيق العيد: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي المنفلوطي المصري المالكي الشافعي، (625-702هـ/1231-1302م)، من أكابر علماء عصره، كان إماما محدثا فقيها أديبا نحويا، و له اليد الطولى في الفروع و الأصول، لم يضاهيه أحد في عهده في علم الحديث و غيره، له عدة مؤلفات أهمها: الإلمام شرح العمدة، و غيرها، أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج17،ص ص126-127،ابن كثير الدمشقي،**البداية والنهاية**،ج14، ط6، مكتبة المعاريف، بيروت، 1985، ص 27.

(4) الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 89.

(5) المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص 340.

(6) أبو الوفا الغنيمي، **مدخل إلى التصوف الإسلامي** ، ط3، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، (دت)، ص ص 208-209.

(7) الغبريني، المصدر السابق، ص 210.

(8) المقري ، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص ص 325-326.

الوجودية في أسرار الصوفية، الرسالة العلمية، المراتب الإيمانية والإسلامية و الإحسانية ،كما كان له شعر كثير، الكثير منه في الموشحات و الأزجال الصوفية[1].

واشتهر كذلك متصوفة آخرون **كأبي البركات بن الحاج البلفيقي** (ت771هـ/1369م) الزاهد الذي كان لا يحضر سوقا و لا وليمة و لا مجلس والٍ أو حاكم، و ترك العديد من المؤلفات أهمها : كتاب الإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح، و ديوان شعر سمي العذب و الأجاج من كلام أبي البركات ابن الحاج[2] ،واشتهر كذلك الصوفي **ابن عباد الرندي** (733-792هـ/ 1332-1390م) الذي اشتهر بكتاب التنبيه الذي وضعه على حكم ابن عطاء الله السكندري[3](ت709هـ/1309م) و الرسائل الصوفية الكثيرة و التي قيل أنه لا مثيل لها في التراث الصوفي[4].

([1]) الغبريني، المصدر السابق، ص 210، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص ص 325-326 التنبكتي، المصدر السابق، ص 202.

([2]) ابن الخطيب ، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص 102، المقري، **نفح الطيب**، المصدرنفسه ، ج7 ص21، التنبكتي، المصدر السابق، ص 254-255.

([3]) ابن عطاء الله السكندري (ت709هـ/1309م)، تاج الدين أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري الزاهد الكبير و تلميذ أبو العباس المرسي، أنظر:ابن الملقن، المصدر السابق، ص 421.

([4]) ابن عباد ، المصدر السابق، ص7، التنبكتي، المصدر السابق، ص 279.

ثانيا: الحركة الأدبية بالمغرب الأوسط و الأندلس في عهد بني زيان

1- بالمغرب الأوسط:

عرف الأدب [1] شعرا[2] و نثرا اهتماما و إقبالا كبيرين من قبل أهل المغرب الأوسط في عهد بني زيان، لا سيما و أنّ السلاطين كان لهم ميل و مشاركة في هذا الجانب [3]، و قد أقبل الأدباء و الطلاب على دراسة كتب الأدب المشهورة ككتاب الجُمل للخونجي، العقد الفريد لابن عبد ربه، كتاب الإيضاح لأبي علي الفاسي، كتاب سبويه، العمدة لابن رشيق، المعلقات السبع، كتاب الأغاني[4] و غيرها.

وقد نبغ الكثير من الأدباء و الشعراء ونذكر منهم:

- **ابن الخطاب المرسي (ت688هـ/1287م)**:محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي، من أهل مرسية حيث درس بها ثم انتقل إلى غرناطة، وهناك استعمل في الكتابة السلطانية، ليرجع مرة أخرى إلى مرسية ثم غادرها بعد أن اختلت أمورها وقصد مدينة تلمسان ونزل على سلطانها يغمراسن الذي أحسن إليه وقربه من مجلسه وجعله كاتبا له[5]، فصدرت عنه الكثير من الرسائل إلى سلاطين بني مرين و بني حفص ، كما كان له الكثير من الشعر ، منه قوله:

اقْنَعْ بما أوتيتَ تَنَلْ الغِنَى ... و إذا دَهَتــكَ مُصيبَةٌ فَتَصَبَّـــرِ
واعْلَم بِأنَّ الرزقَ مَقسُومٌ فلَوْ ... رُمنا زِيــادَةَ ذرَّةٍ لم نَقــدَرِ
و اللهُ أَرحَمُ بالعِبادِ فَلا تَسَلْ ... أَحَدًا تَعِشْ عَيشَ الكِرامِ و تُؤْجَرِ

([1]) الأدب هو الإجادة في فني المنظوم و المنثور ، أنظر: ابن خلدون،**المقدمة**،المصدر السابق، ص 612.

([2]) الشعر فن من الفنون، يوجد في سائر اللغات، و عند العرب هو كلام مفصل قطعا قطعا متساوية في الوزن متحدة في الوزن الأخير من كل قطعة، و كل قطعة تسمى بيت، وله فوائد كثيرة ،منها تخليد المآثر ، أنظر: ابن خلدون ، المصدر نفسه، ص630، التنسي، **نظم الدر**، القسم الأدبي، تحقيق محي الدين طالب، منشورات دحلب الجزائر، (دت)، ص ص 57-75.

([3]) عبد الحميد حاجيات، "**تلمسان مركز الإشعاع الثقافي**"،المرجع السابق، ص39.

([4]) الغبريني، المصدر السابق، ص 27، عبد الحميد حاجيات، المرجع نفسه، ص 49.

(5) التنسي ، **تارخ بني زيان** ، المصدر السابق ، ص127 ، يحيى بن خلدون ، المصدر السابق ، ص129،ابن مريم ، المصدر السابق ، 227.

توفي سنة 688هــ/1287م، و بموته انقرض علم الكتابة كما قال التنسي(1) .

- **ابن خميس التلمساني (ت 708هــ/1309م)** : محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحميري الحجري الرعيني التلمساني،المكنى بأبي عبد الله والمشهور بابن خميس، ولد بتلمسان حوالي 650هــ/1251م ونشأ بها فقيرا (2) .

كان ابن خميس من كبار الأدباء والشعراء إذ لقب بشاعر المائة السابعة(3)، كما أثنى عليه الكثير من العلماء كابن دقيق العيد لما وقف على إحدى قصائده المشهورة(4) .

ونظرا لعلمه وأخلاقه ولاه السلطان أبو سعيد بن يغمراسن(5) ديوان الإنشاء، ثم لم يلبث أن ترك تلمسان وقصد المغرب الأقصى(6)، ثم أجاز إلى الأندلس ودخل غرناطة أيام حكم السلطان النصري الثالث أبو عبد الله المخلوع الذي عينه مدرسا للعربية بجامعها(7)، وبقي على تلك الحال إلى أن حلت النكبة بالوزير أبو عبد الله بن الحكيم فقُتل وقُتل معه ابن خميس سنة 708هــ/1309م ، وقد خلّف ديوان شعر ضخم(8)،وممّا قاله من الشعر :

تِلِمسَانُ جادَتكِ السَّحابُ الدَّوائِحُ   و أَرسَتْ بِواديكِ الرِّياحُ اللَّواقِحُ
وسَحَّ على سَاحاتِ بَابِ جِيادِها   مُلِثٌّ يُصانِي تُرْبَها ويُصافِحُ(9)

---

(1) التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص 128، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص129،ابن خلدون **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص ص 93-94، ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص276.

(2) يحيى بن خلدون، المصدر نفسه،ج1، ص109، فرحات الشريف خوالد، **أبو عبد الله بن خميس التلمساني(650-708هــ) حياته وأدبه**، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الأردن، 1993، ص ص29-30.

(3)يحيى بن خلدون ، المصدر نفسه ، ص 109.

(4) محمد بن محمد بن مخلوف ، المصدر السابق ، 215.

(5) تولى أبو سعيد الحكم بعد وفاة والده يغمراسن سنة681هــ/1283م،واستمر حكمه إلى غاية 703هــ/1303م في عهده حاصر يوسف بن يعقوب المريني تلمسان، وتوفي أبو سعيد أثناء الحصار،أنظر:التنسي،**تاريخ بني زيان**،المصدر السابق،ص130.

(6) عمر هلال ، المرجع السابق ، ص30.

(7) الحفناوي ، المرجع السابق ، القسم الثاني ، 376.

(8) فرحات الشريف ، المرجع السابق ، 66-125.

(9) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص86-87، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق ، ج8 ص312.

و برز كذلك **أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري التلمساني**، صاحب القصائد الرائعة في وصف تلمسان منها قوله:

تَاهَت تِلِمسانُ بِحُسنِ شَبابِهَا و بَدَا طِرازُ الحُسْنِ في جِلْبابِهَا
فالبِشْرُ يَبدُو مِن حُبابِ ثُغورِها مُتَبَسِّمًا أو مِن ثُغُورِ حُبابِها[1]

كما كان هناك شعر خاص بمناسبات معينة، كمناسبة المولد النبوي الشريف والتي كان يحتفل بها احتفالا بهيجا سيما في عهد أبي حمو موسى الثاني[2]، فكان الشعراء ينشدون قصائد المدح في النبي – صلى الله عليه و سلم– ثم يمدحون السلطان و مما أنشده يحيى بن خلدون بالمناسبة قوله:

أَخَلِيفَةُ الرَّحمانِ و المَلِكُ الذي تَعنُوا لِعِزِّ عُلاهُ أمْلاكُ البَشَـرْ
للهِ مَجلسُكَ الذي يَحكِي علا بك مالكي أُفُقَ السَّماءِ لمن نَظرْ
أمَا ترى فيه النُّجومَ زَوَاهِرا وَجهَ الخليفَـةِ بَينَهُـنَّ القَمرْ[3]

و شارك السلاطين أيضا في نظم الشعر في مثل هذه المناسبات و غيرها ، كأبي حمو موسى الثاني الذي كان له شعر كثيرا، احتلت المولوديات جانب هام منه[4].

و قد صنف أبو عبد الله التنسي(ت889هـ/1404م) كتابا حول ذلك سماه " راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر و قيل فيه من الأمداح و ما يوافق ذلك حسب الاقتراح".

و مما قاله أبو حمو الثاني بمناسبة المولد النبوي الشريف:

بِمَولِدِهِ قد أشْـرَقَ الكَـونُ كلـه و كلّ سَنَـى شَمـسٌ و بدرٌ و دُري
سلامٌ على مـن بالبَقِيـعِ و بالحِمـى سلامٌ علـى البَدرِ المُنيـرِ التُهَـامي
سلامٌ من المُشتاقِ موسى بن يوسُفَ[5] على خَيرِ خَلَقِ اللهِ هادٍ " و مَهدِي "[6]

([1]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق،ج8، ص 306، التنبكتي، المصدر السابق، ص 285.

([2]) عن طريقة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، أنظر: التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص ص162-178.

([3]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص 305.

([4]) عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو** ، المرجع السابق، ص ص 293-381.

([5]) يعني نفسه، فهو أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن.

([6]) التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص ص 167-168.

و قال أيضا:

فَشَهرُ رَبيعٍ آتي بِرفِيعٍ نبيٌّ شَفيعٌ لِمَن أَنْبَأ[1]

كما اشتهر أيضا فن الموشحات الذي ظهر بالأندلس ثم انتقل إلى المغرب والمشرق الإسلاميين، و ممّن نبغ من أدباء المغرب الأوسط في هذا المجال، ابن أبي جمعة التلاليسي الذي كان طبيبا و شاعرا، و كذلك الشاعر و الأديب أبو عبد الله محمد بن البناء(ت608هـ/1211م) و الذي كانت له قصائد عديدة في هذا الفن ، منها قوله:

من أطْلَعَ فَوقَ مايِسِ الريحانِ بَدرَ الأُفُــــقِ
يَهتزُ مُنعِما على كُثبــانٍ تَحتَ الغَسَــقِ
من نَمَّقَ خدَّهُ بروضٍ أَنفٍ بادي القَطــفِ
و طَرَّزَهُ بسالفٍ مُنعَطِفٍ رَقمَ الصُحفِ[2]

2- **بالأندلس:**

إن ما يلاحظ عن الحركة الأدبية بالأندلس أنها كانت عامة بين معظم المثقفين، إذ نجد أن أغلب السلاطين و الأمراء و الوزراء، و الفقهاء و المتصوفة و الأطباء كان لهم مشاركة فيها [3].

1- النثر الأدبي:

بلغ اهتمام الأندلسيين بهذا الفن درجة عالية، إذ عدّوه من أنبل العلوم، و به يتقربون إلى مجالس السلاطين و الأمراء[4]، وقد نبغ الكثير منهم في هذا الفن، و بلغوا فيه درجة عالية، فكان منهم الوزراء و الكتاب و العمال و غيرهم ممن استعمل في أمور الدولة، سواء بالأندلس أو البلدان التي نزلوا بها، أين كانوا يحظون بمنزلة رفيعة، حتى قيل لا يستعمل بلدي (محلي) ما وجد أندلسي"، و هذا دليل على رفعة شأنهم في مجال

([1]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 138.
([2]) نفسه، ج1، ص124.
([3]) أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، المرجع السابق، ج3، ص99.
([4]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 182.

الأدب [1]، وما يلاحظ على أدباء الأندلس إكثارهم من استعمال الصور البيانية والمحسنات البديعية في كتاباتهم، و إطلاق العنان لخيالهم، مع الإكثار من وصف الطبيعية و جمالها، و هذا يظهر جليا في فن المقامات التي برع فيها الكثير من أدباء الأندلس[2].

و كان لوصف المدن أيضا مكانة في النثر الأدبي الأندلسي، سواء كانت تلك المدن أندلسية كغرناطة، مالقة، ألمرية... أو غير أندلسية مثل فاس سبتة، تلمسان، و التي أبدع الأندلسيون في وصفها و الإشادة بها[3].

و اهتم الأندلسيون كذلك بعلم النحو اهتماما كبيرا، و في ذلك يقول المقري صاحب نفح الطيب: " و النحو عندهم في نهاية من علو الطبقة، حتى أنهم في هذا العصر كأصحاب عصر خليل و سيبويه، و هم كثيرو البحث فيه و حفظ مذاهبه...، و كل عالم لا يكون متمكن من علم النحو، فليس عندهم بمستحق للتمييز، و لا سالم من الازدراء"[4].

و اشتهر الكثير من الأدباء في الأندلس نذكر منهم:

- **ابن عصفور الإشبيلي (597-669هـ/1200- 1270م):** أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي الإشبيلي المعروف بابن عصفور [5]، لغوي و شاعر مشهور، وصف بحامل لواء العربية بالأندلس في عصره[6]، له العديد من المؤلفات منها: كتاب الممتع في التصريف، المفتاح، الهلال، المقرب و هي كلها في النحو وكتب أخرى[7].

([1]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج4، ص ص 4-5.

([2]) نفسه، ج7، ص312، ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص ص 85-86.

([3]) المقري، المصدر نفسه، ج1، ص182

([4]) نفسه، ج1، 181-182.

([5]) الغبريني، المصدر السابق، ص 266.

([6]) يوسف فرحات، يوسف عبيد، **معجم الحضارة الأندلسية**، دار الفكر العربي، بيروت، 2000 ص293.

([7]) الغبريني، المصدر السابق، ص ص 267-268.

- **ابن مالك (صاحب الألفية):** جمال الدّين محمد بن عبد الله بن مالك، المالكي حين كان بالمغرب الشافعي بعد انتقاله إلى المشرق، ولد سنة 600هـ/1202م بجيّان وتوفي بدمشق سنة 672هـ/ 1273م[1]، كان ابن مالك بحرا في النحو و الصرف وله في ذلك تآليف عديدة أهمها كتاب الألفية أو ما عرف بألفية ابن مالك، و هو كتاب مشهور بالمغرب و المشرق، كتبت عليه الكثير من الشروحات، و قيل فيه الكثير من الأشعار منها قول الشاعر:

أَلْفيَةُ ابن مَــالِك مُشْرِقَةُ المَسالِك
و كم بها من مَشْغَلٍ علا على الأرَائِك

و قيل أيضا:

ياعَائبًا أَلفيَةَ ابن مَالك و غائِبًا عن حِفظِها و فَهْمِهَا
أمَا تَراها قَدْ حوَتْ فَضائِلَ كثيرةٍ فلا تَجِر في ظُلْمِها[2]

- **أبو حيان الغرناطي:** محمد بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الغرناطي، المولود سنة 654هـ/ 1256م، من أصل بربري، من أكابر علماء النحو، أخذ عنه الكثير من الأدباء أمثال إبراهيم بن هشام الأنصاري[3]، و غيره[4]، توفي بالقاهرة سنة 745هـ/ 1246م، و ترك العديد من المؤلفات منها:البجر المحيط في التفسير،إتحاف الأديب بما في القرآن من غريب، غاية الإحسان في النحو و غيرها[5]، كما كان مطلعا على لغات

([1]) محمد بن علي الصبان، **حاشية العلامة الصبّان على شرح العلامة الأشموني على ألفية ابن مالك في النحو و الصرف**، المكتبة الأزهرية، مصر 1343هـ، ص8.

([2]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص ص 335-363.

([3]) ابن هشام الأنصاري (709-761هـ/ 1309- 1360م) جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري المصري، من أكابر علماء اللغة و النحو، له العديد من المؤلفات في ذلك منها: قطر الندى و بل الصدى أوضح المسالك في ألفية ابن مالك.... و له قصيدة بانت سعاد و غيرها أنظر: ابن هاشم الأنصاري، **شرح قطر الندى وبل الصدى** ، تحقيق ح الفاخوري، وفاء الباني، ط1، دار الجيل، بيروت، 1988، ص ص 5-8.

([4]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص ص 141-144.

([5]) يوسف فرحات، المرجع السابق، ص 301.

أخرى كالفارسية و التركية و الحبشية ، و ألّف فيها كتب عديدة[1]، و له أيضا قصائد كثيرة، و من شعره قوله:

أَمَا أَنَّهُ لَولا ثلاث أحِبُها   تَمَنيتُ أن لا أُعَدَّ من الأَحْيــا
فَمِنْها رَجائِي أن أَفُوزَ بتَوبَةٍ   تُكَفِرُ لي ذَنبًا و تُنجِحُ لي سَعيًا
و مِنهُن صوني عن كلِّ جاهِلٍ   لَئيمٍ فلا أَمشِي إلى بابِه مَشْيًا
و مِنهُنَّ أَخْذِي بالحَديثِ إذِ الوَرَى   نَسُوا سَنَّةَ المُختارِ و اتَّبعُوا الرَأْيَا[2]

- **ابن الحكيم اللخمي:** محمد بن عبد الرحمان بن الحكيم اللخمي ذي الوزارتين، أديب مشهور، دخل غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد الثاني (671-701هـ/ 1272-1302م) فعينه كاتبا في ديوان الإنشاء، و لما توفي السلطان المذكور، و عين مكانه أبو عبد الله محمد المخلوع (701-708هـ/ 1302-1308م) قلده هذا الأخير الوزارة و الكتابة، فسمي بذي الوزارتين، و قد عرف ابن الحكيم بشغفه الكبير في اقتناء الكتب توفي سنة 708هـ/1308م قتيلا[3].

- **لسان الدين بن الخطيب (710-776هـ/1310-1375م):** محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، أبو عبد الله لسان الدّين، ويعرف بابن الخطيب ذي الوزارتين، ولد بمدينة لوشة وانتقل إلى غرناطة أين درس على أكابر علمائها واشتغل بها في عدة مناصب كديوان الإنشاء والوزارة والسفارة في عهد السلطان أبي الحجاج (ت755هـ/1354) ثم ولده محمد الخامس الغني بالله [4]، كما كانت له علاقات جيدة مع سلاطين بني مرين لاسيما مع أبي سالم المريني ممّا جعله يتعرض للمؤامرة فحوكم واتهم بالزندقة والإلحاد وأهدر دمه، وممن اتّهمه بذلك القاضي أبو الحسن النباهي

---

(1) أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، المرجع السابق، ص ص 94- 95.

(2) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص 172.

(3) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص ص 279-301، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص300.

(4)ابن الأحمر،**مشاهير الشعراء والكتاب في المشرق والمغرب(نثر فوائد الجمان في نظم فحول الزمان)**، تحقيق محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت،1986،ص 58، المقري ، **نفح الطيب** ، المصدر السابق ،ج6 ص64 ابن الخطيب ، **مثلى الطريقة في ذم الوثيقة**، تحقيق عبد المجيد تركي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1983،ص 12، التنبكتي ، المصدر السابق ، ص264.

وتلميذه أبو عبد الله بن زمرك، ولما توفي أبو سالم المريني وخلفه أبو العباس أغروه به فقبض عليه وسجنه، ثم قُتل وأُحرق ومُثل بجتته سنة 776هـ/1375م [1].

لقد كان لسان الدّين بحق موسوعة علمية وأدبية وعقل الأندلس وثمرة حضارته والدليل على ذلك مؤلفاته الكثيرة التي فاقت الستين في شتى المجالات (الأدب، التاريخ التراجم، السياسة، الطب، الفقه، علم الكلام...) نذكر منها : الإحاطة في أخبار غرناطة، رقم الحلل في نظم الدول،كناسة الدكان بعد انتقال السكان،الكتيبة الكامنة والدر الفاخرة واللجج الزاخرة،التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى،مفاضلة مالقة وسلا خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف،الكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة....[2]

2- الشعر:

2-1- الشعر العادي: لا يكاد يذكر اسم الأندلس و الأندلسيين إلا و يتبادر إلى الذهن ذلك الاهتمام الكبير بالشعر، إذ كان له عندهم حظ كبير، و للشعراء مكانة رفيعة عند السلاطين[3]، ووصف الأندلسيون بأنهم أشعر الناس و لا ينازعهم في ذلك أحد[4] وبرز العديد من الشعراء الذين اشتهروا في مختلف عهود الأندلس لا سيما في عهد بني الأحمر الذين اهتموا بهذا الجانب، و كان الكثير من سلاطينهم شعراء كأبي عبد الله محمد الثاني (671-701هـ/ 1272- 1302م) ومحمد الثالث (701-708هـ/ 1302-1308م) و غيرهما[5].

و إضافة إلى تشجيع السلاطين و الأمراء للشعراء، كان أيضا لجمال الطبيعة من اعتدال في الهواء و كثرة الأمطار، والأنهار الكثيرة و الجبال[6] أثر كبير على الشعراء

(1)ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق ،ج7، ص ص404-405 ، الشوكاني ، المصدر السابق ، ص192، المقري **نفح الطيب** ، المصدر السابق ، ج6، ص 99.

(2) المقري، المصدر نفسه ، ج8،ص ص282-286 ، التنبكتي ، المصدر السابق ، ص ص264-265، محمد بن محمد بن مخلوف ، المصدر السابق ، ص230.

(3) المقري، المصدر نفسه، ج1، ص182.

(4) نفسه، ج4، ص7.

(5) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص 359-369.

(6) أبو حامد الأندلسي، **تحفة الألباب و نخبة الإعجاب**، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1989، ص 62، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 4.

إذ فتنوا بها، و أبدعوا في وصفها، و التغني بمناظرها الجميلة، و أضحى ذلك من أهم المواضيع التي طرقها الشعراء[1]، وفاقوا فيها شعراء المشرق، و ارتبط أيضا هذا النوع من الشعر (وصف الطبيعة) بوصف المدن و الإشادة بجمالها و عمرانها[2] واشتهر شعراء كثيرون في هذا المجال **كأبي سعيد الغرناطي** (610-685هـ/1212-1286م) الذي كانت له قصائد رائعة في وصف الطبيعة و مدن الأندلس، و مما قاله في وصف أحد الأنهار:

كأنَّما النَّهرُ صفحةٌ كُتِبتْ أَسطُرُها و النَسيمُ يُنشِئُهـــــا
لمَّا أبانَت عن حُسنِ مَنظَرِها مَالَتْ عليها الغُصُون تَقرَؤُها[3]

كما كان للأوضاع السياسية أيضا أثر على الشعراء، فبعدما تسلط النصارى على أغلب المدن الأندلسية مع مطلع القرن السابع الهجري، فانحصرت رقعة الأندلس في مملكة غرناطة جنوبا[4]، و التي هاجر إليها أغلب الشعراء و الأدباء، و في ذلك قال أبو بكر بن شبرين (ت 747هـ/ 1346م) نزيل غرناطة:

رَعَى اللهُ من غَرناطَةَ مُتَبَوَّءً يُسِرُ كَئِيبا أو يُجِيرُ طَرِيدا[5]

و نتيجة لتدهور الأوضاع السياسية كانت أغلب مواضيع الشعر تصب في وصف تلك الحالة، لا سيما رثاء المدن التي استولى عليها النصارى، و الاستنجاد بسلاطين المغرب لرد تلك الهجمات، و من ذلك ما قاله أبو عبد الله بن الأبار

([1]) ابن الأبار القضاعي، **ديوان ابن الأبار**، قراءة و تعليق عبد السلام الهراس، ط2، الدار التونسية تونس ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 35.

([2]) فوزي سعيد عيسى، **دراسات في أدب المغرب و الأندلس**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000 ص5، ليفي بروفنسال، **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، (دت)، ص 38.

([3]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص395.

([4]) المصدر نفسه،5، ص394.

([5]) النباهي، المصدر السابق، ص 153، ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 684.

(ت658هــ/1260م) للسلطان الحفصي أبو زكرياء بعدما سقطت بلنسية سنة 636هــ/1238م:

نادتكَ أندلُسُ فَلَبِّ نِداءَها واجْعَلْ طواغيتَ الصَّليب فِدائَها

صَرَخَتْ بِدَعْوَتِكَ العَلِيَّةِ فأجِبْهَا من عاطِفاتِكَ ما يَفي حَوبَاءَها[1]

و من أشهر ما قيل في مثل هذا النوع من الشعر ما قاله الأديب الشاعر أبو البقاء صالح بن شريف الرندي (ت684هــ/1285م):

لِكُلِّ شَيءٍ إذا ما تَمَّ نُقْصَانُ فلا يُغَرُّ بِطِيبِ العَيشِ إنْسَانُ

هي الأُمُورُ كما شاهَدتَها دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ ساءَتْهُ أزْمانُ

و هذه الدَّارُ لا تُبقِي على أَحَدٍ و لا يَدُومُ على حالٍ لها شَانُ[2]

و إضافة إلى وصف الطبيعة و رثاء المدن، تناول الشعراء في قصائدهم مواضيع أخرى كمدح النبي – صلى الله عليه و سلم– وصحابته و السلاطين[3].

و من جهة أخرى كان للمرأة الأندلسية دور و أثر في الأدب خاصة الشعر منه من ناحيتين:

– أولا: ما عُرفت به من جمال حرّكت به نفوس الأدباء و الشعراء للتغني بها.

– ثانيا: من خلال مشاركة الكثير منهن في الحركة الأدبية[4] كالأدبية الشاعرة أم السعد بنت عصام الحميري المعروفة بسعدونة (ت 640هــ/ 1239م) ، و عائشة الأندلسية الصامتة (ت 705هــ/ 1305م) و غيرهن[5].

([1])محمد بن أحمد بن الشماع، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري،الدار العربية للكتاب،تونس،1974، ابن الأبار، **ديوان ابن الأبار**، المصدر السابق، ص 33.

([2]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص ص 373–374.

([3])ابن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الإغتراب**، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، القاهرة 1967، ص ص 172–177،المقري، المصدر نفسه، ج8، ص ص 44–46 ج9، ص ص 138–139.

([4]) أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، المرجع السابق، ص 201.

([5]) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص 315–316، الذهبي، المصدر السابق، ج17 ص ص 134–135.

2-2- الموشحات و الأزجال:

هما فنان أندلسيان خالصان، نشئا و ترعرعا بالأندلس، و منها انتقلا إلى المغرب و المشرق، و هما نوعان من فنون الشعر، يطلق عليهم أيضا اسم الشعر الدوري، من خصوصياتهما أنهما لا يلتزمان بقافية موحدة، بل تتعدد فيهما القوافي[1].

- **الموشح:** هو كلام منظوم على وزن مخصوص، بقواف مختلفة[2]، و عرّفه عبد الرحمان بن خلدون بقوله: " ...استحدث المتأخرون منهم (الأندلسيين) فنّا سموه الموشح ينظمونه أسماطا أسماطا،وأغصانا أغصانا، يكثرون منها من أعاريضها المختلفة، و يُسمون المتعدد منها بيتا واحدا، و يشمل كل بيت على أغصان" [3]، و هو يتكون من عدة أجزاء و هي : المطلع، الدور، القفل و الخرجة[4]، واسمه مأخوذ من الأشاح أو الوشاح بكسر الواو، و هو حلي للنساء، و من هذا الاسم يتضح أن هناك صلة بين هذا الفن و المرأة ، فكأنما الموشح هدية ينظمها الشاعر ليقدمها إلى المرأة[5] و قد اختلف فيمن استحدث هذا الفن، فقيل مقدم بن معافى القبري، و قيل محمد بن محمود القبري، أما الزمان فهو آخر القرن الثالث الهجري و بداية القرن الرابع الهجري (القرن التاسع الميلادي)، ببلدة قبرة بين قرطبة و غرناطة[6].

و قد استحسن الأندلسيون هذا الفن، و أقبلوا عليه منذ الوهلة الأولى، و برع فيه الكثير من الشعراء[7]، **كابن سهل الإسرائيلي الإشبيلي (605-649هـ/ 1208-1253م)** صاحب

([1]) فوزي سعد عيسى، المرجع السابق، ص ص 151-159، زيغرد هونكة، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ط2، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1969، ص ص 422-424.

([2]) عبد الإله ميسوم، **تأثير الموشحات في التروبادور**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981 ص 77.

([3]) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 643-644.

([4]) محمد زكريا عنان، **ديوان الموشحات الأندلسية**،ط2، دار المعارف الجامعية ، الاسكندرية، ص 23.

([5]) عبد الإله ميسوم، المرجع السابق، ص ص 78-79.

([6]) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 644، عبد الإله ميسوم، المرجع نفسه، ص 20.

([7]) محمد بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، مكتبة النهضة المصرية 1951، ص 425، ابن خلدون ، المصدر نفسه، ص 644، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8 ص309.

الموشحة المشهورة " هل درى ظبي الحمى"[1]، **و ابن الجنان الأنصاري (ت655هـ/1161م)** صاحب الكثير من الموشحات، سيما في مدح النبي – صلى الله عليه و سلم– و منها قوله:

اللهُ زادَ محمــدًا تكريمـــــــــا
و حَبَاهُ فَضلا مِنْ لَدُنْهُ عَظيمَا
و اخْتَصَهُ في المُرسَلينَ كَريمَا
ذا رأفةٍ بالمومِنِينَ رَحيمَا صلُّوا عليه و سَلِّمُوا تَسْلِيمَا[2]

و برز كذلك في هذا الفن لسان الدين بن الخطيب الذي كانت له موشحات عديدة لعل أهمها تلك خصها للسلطان محمد الخامس (755–760هـ/1354–1359م) ومطلعها:

جادَكَ الغَيثُ إذا الغَيثُ هَمَا يا زَمانَ الوَصْلِ بالأنْــدَلُسِ
لَمْ يكُنْ وَصْلُكِ إلاَّ حُلُمَا في الكَرَى أو خِلْسَةَ المُخْتَلِسِ [3]

– **الزجل:** هو الآخر من فنون الشعر،ابتكره الأندلسيون، شبيه بالموشح، لكنه يكتب باللهجة العامية[4]، ظهر بعد انتشار الموشحات لسلاستها و سهولتها ، فنسجت العامة على منوالها بلهجتهم العامية المزيجة باللغة اللاتينية[5].

([1]) أبو مدين شعيب، **الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974، ص ص 107–108.

([2]) الغبريني، المصدر السابق، ص ص 302–306، عمر فروخ، المرجع السابق، ص 198.

([3]) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 649، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8 ص211.

([4]) الطوخي، المرجع السابق، ص 358، روجي غارودي، **الإسلام في الغرب**، ترجمة ذوقان قرقوط ط1، دار دمشق للطباعة و النشر، 1995، ص 118.

([5]) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 651.

و لقي هذا النوع هو الآخر إقبالا و استحسانا من قبل الأندلسيين، لأنه يحررهم من ثقل قيود الشعر الفصيح من أوزان ووحدة قافية و قيود الإعراب كما أنه يتتبع النغمات الموسيقية شأنه شأن الموشح[1].

وفي أغلب الأحيان كانت المواضيع التي يتناولها الزجل غير محتشمة و ليس فيها أي تحفظ، فكانت أغلب القصائد تدور حول المرأة و الخمر[2].

والحقيقة أن الحديث عن الحركة الأدبية في المغرب الأوسط والأندلس قد يطول، ولكن حاولنا أن نذكر المهم من الأهم، كما أن أدباء الفترة كثيرون فاكتفينا بذكر النزر القليل منهم، والذين كانت لهم شهرة واسعة في هذا المجال .

([1]) أحمد أمين، **ظهر الإسلام** ، المرجع السابق، ، ص ص 198-199.

([2]) ابن خلدون ، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 651.

ثالثا: العلوم الاجتماعية:

عرفت الفترة الممتدة من القرن 7 إلى 10 هجري (13-16م)اهتماما بالعلوم الدينية بالدرجة الأولى، و في المقابل تناقص العناية بالعلوم الأخرى سواء كانت اجتماعية أو طبيعية [1]، و كان ذلك جليا من خلال العدد الكبير من علماء الدّين الذين برزوا في تلك الفترة، و حتى العلماء الذين برعوا في شتى العلوم و الفنون، كانوا فقهاء و محدثين، و لهم مشاركة في علوم أخرى كالأدب، التاريخ و الطب...

1- **التاريخ:**

عرّفه عبد الرحمان بن خلدون بأنه " من الفنون التي تتداوله الأمم و الأجيال و تشد إليه الركائب و الرحال، ... و هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام و الدول والسوابق من القرون الأول ... و في باطنه نظر وتحقيق و تعليل للكائنات و مباديها دقيق، ....فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، و جدير بأن يعد من علومها و خليق"[2] و هو من العلوم التي لم يغفلها علماء المغرب الأوسط، إذ برز الكثير منهم في هذا المجال في عهد بني زيان، و صنفوا كتبا تعد اليوم من المصادر الأساسية لدراسة تاريخ بني زيان، و أهمهم **يحيى بن خلدون (ت780هـ/1378م)** أخو عبد الرحمان بن خلدون، و الذي ألف كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، و هو من المصادر الأساسية لكون صاحبه عمل كاتبا في ديوان السلطان أبي حمو موسى الثاني[3]، و كذلك العالم **شمس الدين بن مرزوق الخطيب (711-781هـ/1311-1379م)** صاحب كتاب المسند الصحيح الحسن في ذكر مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن، و الذي خصّه للتعريف بالسلطان أبي الحسن المريني، و تخللته ذكر بعض الأحداث التاريخية عن بني مرين و بني زيان[4]، كما برز **أبو عبد الله محمد بن عبد**

([1]) التنسي، **تاريخ دولة الأدارسة**، المصدر السابق، ص 14.

([2]) ابن خلدون ، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 3-4.

([3]) ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص ص 98-99.

([4]) ابن مرزوق، المصدر السابق، ص ص 1-4، ابن مريم ، المصدر السابق، ص ص 141- 143 الحفناوي، المرجع السابق، القسم الأول، ص ص 141-143.

الجليل التنسي المولود حوالي 830هـ/1426م، و الذي نشأ بتلمسان في بيت صلاح وعلم و تتلمذ على أبرز علمائها كابن مرزوق الحفيد (766-842هـ/ 1362-1438م) و أحمد بن زاغو التلمساني المتوفى سنة 845هـ/1441م و غيرهم[1]، وكان له مكانة كبيرة بين علماء عصره، و له جواب مطول حول قضية يهود توات التي أحدثت ضجة كبيرة في تلك الفترة[2]، كما كان له أيضا مكانة رفيعة في بلاط السلطان المتوكل الزياني (866-873هـ/1462-1468م) فخصّص كتابا للثناء عليه، و ذكر شرفه و شرف بني زيان، سمّاه نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان[3] ، و لا ننسى كذلك العلامة **عبد الرحمان بن خلدون (732-808هـ/ 1332- 1407م)** صاحب كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، أحد أهم مصادر تاريخ المغرب الإسلامي لا سيما و أن صاحبه كان له دور في الشؤون السياسية بالمغرب و الأندلس[4].

كما أُلفت كتب أخرى في هذا المجال ككتاب زهر البستان في دولة بني زيان لمؤلف مجهول عاصر السلطان أبا حمو موسى الثاني، و كتاب النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب **لأبي عبد الله بن صعد التلمساني المتوفى سنة 901هـ/1495م**[5].

أما بالأندلس فكان للأحداث السياسية و العسكرية التي عرفتها، و التي نتج عنها سقوط عدة مدن بأيدي النصارى، عامل على اهتمام الأندلسيين أكثر من أي وقت

([1])ابن القاضي، المصدر السابق، ص 143،التنسي، **تاريخ دولة الأدارسة**، المصدر السابق، ص 15.

([2]) أصل المشكلة أن الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي قام يحارب اليهود في توات بعدما أنشئوا معبدا كبيرا و بيعا صغيرة، و عارضه قاضي توات عبد الله العصنوني، و قام جدل حاد بينهما، فراسل كل طرف أكابر علماء فاس و تلمسان و تونس، منهم التنسي الذي كان مؤيدا للمغيلي، أنظر : أنظر محمد بن عبد الكريم المغيلي، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر 1968 ص71.

([3]) التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص 107.

([4]) ابن خلدون ، **الرحلة**، المصدر السابق، السخاوي، **الضوء اللامع**، المصدر السابق، ج4، ص ص 145-160.

([5]) عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، المرجع السابق، ج2، ص 468.

مضى بتدوين تلك الأحداث[1]، و اعتبروا ذلك واجب مقدّس تجاه مدنهم، فأضحى علم التاريخ من أنبل العلوم[2]، كما اهتم مؤرخو الأندلس بالتأريخ لسلاطينهم، و ذكر أعمالهم، و الترجمة لعلمائهم و أدبائهم، و الوافدين إلى بلادهم[3]، و برز العديد من الأندلسيين في هذا المجال **كأبي سعيد الغرناطي (610-685هـ/1214-1286م)** المؤرخ المالكي صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب،و الطالع السعيد في تاريخ بني سعد، و كتاب تاريخ غرناطة[4]، **و ابن خاتمة الأنصاري الألميري** الذي دخل غرناطة سنة 750هـ/ 1349م[5] صاحب كتاب مزية ألمرية على غيرها من البلاد الأندلسية وكتاب تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، وهو كتاب عن وباء الطاعون الذي اجتاح الأندلس بين عامي 748-750هـ / 1347-1349م[6]، و اشتهر كذلك القاضي **أبو الحسن النباهي المولود سنة 713هـ/1313م** بمالقة صاحب كتاب تاريخ قضاة الأندلس[7]، و ابن **الأبار القضاعي (ت658هـ/ 1260م)** صاحب كتاب التكملة لكتاب الصلة،و هو تكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال، كتاب اعتاب الكتاب و هو ترجمة لكُتّاب مشارقة و مغاربة ، و كتاب الحلة السيراء في أشعار الأمراء[8] وغيرها.

كما ألف **لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1375م)** العديد من الكتب في التاريخ منها: الإحاطة في أخبار غرناطة، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، طرفة العصر في دولة بني نصر ، بستان الدولة، كناسة الدّكان بعد انتقال السكان، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام و ما يجر عن ذلك من شجون الكلام

([1]) الطوخي، المرجع السابق، ص 362.

([2]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 182.

([3]) أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، المرجع السابق، ج3، ص 274.

([4]) ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، المصدر السابق، ص3، المقري، **نفح الطيب** ، المصدر السابق، ج2 ص ص 346-395.

([5]) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص 114-129.

([6]) عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس** ، ط1، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1969، ص ص 182-183.

([7]) النباهي، المصدر السابق، ص 3، المقري ، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 233.

([8]) المقري، المصدر نفسه، ج5، ص ص 346-350، الغبريني، المصدر السابق، ص ص 257-261.

وغيرها[1]، كما كان الأمير النصـــري **أبـــو الوليـــد إسماعيـــل بـــن محـــمد(ت 810هـ/1407م)** مشاركا في هذا العلم، و له عدة كتب أهمها : نثر الجمان في شعر من نظمني و إياه الزمان، حديقة النسرين في أخبار بني عبد الواد و بني مرين وشارك في كتابة كتاب بيوتات فاس الكبرى[2].

2- **الجغرافيا:** كان لعلم الجغرافيا أيضا حظ، و ذلك راجع لاعتياد علماء المغرب الأوسط والأندلس الرحلة، سواء لطلب العلم [3]، و التي كانت من بين دوافعها الاكتشاف والتعرف على مدن جديدة[4]، أو رحلة الحج و زيارة الأماكن المقدسة[5] و في تلك الرحلات كانوا يدونون أخبار المدن و الأماكن التي يمرون بها، و قد كان للأندلسيين طريقة حسنة مستظرفة لإظهار محاسن المدن، منها طريقة المناظرة بين المدن، فكل مدينة تفتخر بنفسها و تظهر مزاياها، و من تلك المناظرة التي كتبت عن مالقة و مرسية و بلنسية و غرناطة[6]، و قد كتب الكثير في الجغرافيا من بينهم **ابن سعيد الغرناطي (ت 685هـ/ 1286م)** و الذي سبق ذكره صاحب كتاب الجغرافيا[7]،وإبراهيم بن **الحاج النميري المولود سنة 713هـ/ 1313م** صاحب كتاب فيض العباب و إجالة قداح الآداب في الحركة إلى قسنطينة و الزاب[8]، كما كتب **لسان الدين بن الخطيب** عدة كتب تضمنت معلومات جغرافية ككتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، خطرة الطيف و رحلة الشتاء و الصيف، معيار الاختبار في ذكر المعاهد و الآثار، و مفاخرة مالقة و سلا[9]، و غيرها.

([1]) ابن الأحمر، **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصورة للطباعة والوراقة،الرباط، 1972،ص5، المقري، **نفح الطيب** المصدر السابق، ج8، ص ص 282-286.

([2]) عمر فروخ، المرجع السابق، ص 81.

([3]) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 598.

([4]) القلصادي، المصدر السابق، ص 59.

([5]) المصدر نفسه، ص 59.

([6]) أبو بحر صفوان، المصدر السابق، ص ص 124-128.

([7]) المقري ، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص ص 346-395.

([8]) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص 193-210، الطوخي، المرجع السابق، ص 368.

([9]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص ص 282-286.

رابعا: العلوم العقلية و الطبيعية:

1- **العلوم العقلية:** قال عنها عبد الرحمان بن خلدون بأنها طبيعية بالنسبة للإنسان ما دام له فكر، و هي غير مختصة بملة معينة، بل ينظر فيها أهل الملل كلهم، و تسمى أيضا بعلوم الفلسفة و الحكمة، و من أهم علومها علم المنطق[1].

و رغم أن الفترة عرفت إقبال العلماء على العلوم الدينية بالدرجة الأولى، إلا أنه كان لهذه العلوم حظ بالمغرب الأوسط، من خلال بروز عدد من العلماء في هذا المجال لعل أبرزهم و أشهرهم شيخ العلوم العقلية في عصره **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي المولود سنة 681هـ/ 1280م**، أصله من آبِلة و نشأ بتلمسان، ثم ارتحل إلى المشرق، ليعود إلى تلمسان بعلم غزير[2]، ثم فرّ إلى فاس بعدما أراد أبو حمو موسى الأول إكراهه على العمل (قيادة بني راشد)، حيث تصدى هناك للتدريس، ثم عاد إلى تلمسان بعدما استولى عليها أبو الحسن المريني، و حضر معه موقعة طريف والقيروان[3]، و توفي بفاس سنة 757هـ/1356م، و قد قال فيه يحيى بن خلدون: "فاق أهل زمانه في العلوم العقلية، و لا أعرف بالمغرب و إفريقية فقيها كبيرا إلا و له عليه مشيخة"[4]، كما قال فيه لسان الدين بن الخطيب أنّه " رحلة الوقت في القيام على الفنون العقلية"[5].

و رغم علمه الغزير إلا أنه لم يترك مؤلفات ، و كان يقول في ذلك : " إنما أفسد العلم كثرة التآليف، و أذهبه بنيان المدارس"[6]، و من أقواله أيضا: " لولا انقطاع

---

(1) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 529-541.

(2) ابن خلدون ، **الرحلة**، المصدر السابق، ص ص 40-41.

Bouali Sid Ahmed , **“un maître maghrébin méconnu du 13 siècle – al- abili''**, **bulletin de société de géographie d’archéologie d’Oran** , 1977-1978, PP 8-21.

(3) التنبكتي، المصدر السابق، ص 245، الحفناوي، المرجع السابق، القسم الأول ، ص 94.

(4) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 120.

(5) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص 145.

(6) ابن مريم، المصدر السابق، ص 217.

الوحي لنزل فينا أكثر مما نزل في بني إسرائيل ، لأننا أتينا أكثر مما أتوا" (يشير إلى افتراق المسلمين على أكثر مما افترق عليه بنو إسرائيل "[1].

و اشتهر كذلك **أبو الفضل محمد بن محمد المشدالي (820-865هـ/ 1418-1460م)** الذي كان عالما بالعلوم النقلية و العقلية، و من مؤلفاته شرح الجمل للخونحي[2]، و كذلك العالم **محمد بن عبد الكريم المغيلي المتوفى سنة 909هـ/ 1404م،** صاحب التآليف العديدة منها شرح الجمل للخونجي في المنطق و غيرها وكانت له مناظرة مع العالم المصري جلال الدين السيوطي حول هذا العلم (المنطق) الذي يقرّه المغيلي و ينكره السيوطي، و حاجه المغيلي في الموضوع بقصيدة جاء فيها:

سَمِعتُ بِأَمرٍ ما سَمِعتُ بمِثلِهِ و كُلُّ حَديثٍ حُكمُهُ حُكْمُ أصلِهِ
أيُمكِنُ أنَّ المرءَ في العلمِ حُجَةٌ و يَنهَى عنِ الفُرقَانِ في بَعضِ قولِهِ
هَلِ المَنطِقُ المَعنِيُّ إلاَّ عِبارَةٌ عَنِ الحَقِّ أو حَقيقَةٌ حينَ جَهلِهِ

وردّ عليه السيوطي أيضا بقصيدة جاء فيها:

عَجِبتُ لنَظْمٍ ما سَمِعتُ بمِثلِهِ أتاني عن حبرٍ أُقِرُّ بفَضلِهِ
تَعَجَّبَ منِّي حينَ أَلَّفتَ مُبدِعًا كِتابا جَموعًا فيهِ جَمٌّ بنَقلِهِ
أُقَرِرُ النهي عن علمِ مَنطِقٍ و ما قالَهُ من قال منْ ذَمِّ شَكلِهِ[3]

أما في الأندلس فلم تحظى العلوم العقلية باهتمام كبير لا سيما الفلسفة التي كانت من العلوم غير المرغوب فيها[4]، و في ذلك يقول المقري: " و كل العلوم لها عندهم حظ و اعتناء إلا الفلسفة و التنجيم، ...فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم زنديق... فإن زل في شبهه رجموه بالحجارة و حرقوه

([1]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج6، ص ص 227-228.

([2]) جلال الدين السيوطي، **نظم العقيان**، المصدر السابق، ص 160.

([3]) المغيلي، المصدر السابق، ص ص 11-12، التنبكتي، المصدر السابق، ص 332، ابن مريم ، المصدر السابق، ص ص 256-257.

([4]) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 568-574.

قبل أن يصل أمره إلى السلطان ، أو يقتله السلطان تقربا للعامة"[1]، و قال ابن سعيد الغرناطي: ... الفلسفة علم ممقوت في الأندلس، لا يستطيع صاحبه إظهاره و تخفى تصانيفه"[2] ، و قد تعرض الكثير من الفلاسفة للاضطهاد و حتى القتل بسبب هذا العلم[3]،و مع مجيء الموحدين الذين كانوا متفتحين على نظريات المعتزلة و الأشاعرة في المجال الاعتقادي، و على الحكمة من الفلسفة و المنطق... تغيرت نوعا ما النظرة تجاه الفلسفة[4]، وقد اشتهر عدة فلاسفة أبرزهم **ابن سبعين** (ت669هـ/1270م)[5] الذي سبق التعريف به، و **ابن منظور القيسي (ت750هـ/1349م)** صاحب كتاب : السحم الواقفة و الضلال الوارقة في الرد على ما تضمنه المظنون من اعتقادات الفلاسفة"[6] و غيرها.

2- **العلوم الطبيعية:** علم الطبيعيات كما عرّفه عبد الرحمان بن خلدون هو " علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة و السكون ، فينظر إلى الأجسام (إنسان حيوان، نبات، جماد) وما يتكون في الأرض من العيون و الزلازل و في الجو من السحاب و البخار و الرعد..." [7]

و نظرا لأهميتها فقد لقيت تشجيعا من قبل سلاطين بني زيان من خلال تشجيع العلماء على العمل و الاختراع، فاعتني بدراسة الطب و الصيدلة و علم النجوم وغيرها و قد برز العديد من العلماء الذين كانت لهم مشاركة في هذه العلوم **كأبي عبد الله محمد**

([1]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 181.

([2]) نفسه، ج4، ص27.

([3]) ابن خلّكان، المصدر السابق، ج2، ص 4، ابن سعيد، **المغرب في حلى الغرب** ، المصدر السابق، ص 27 ، البنتوني، المرجع السابق، ص 46.

([4]) عبد الحميد حاجيات،"**ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين**"،**مجلة كلية الآداب** ، العدد الأول، المجلد الثاني، نوفمبر2000، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، ص104.

([5]) الطوخي ، المرجع السابق،ص371.

([6]) نفسه، ص 371.

([7]) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 542- 543.

ابن النجار (ت 794هـ/ 1348م) والذي كان عارفا بعلوم النجوم(1)، **وأبي عبد الله الشريف التلمساني(710هـ- 771هـ/ 1310م- 1370م)** الذي كان بارعا في عدة علوم وله مشاركة في الطب والفلاحة(2)، وكذلك العالم **سعيد بن محمد بن محمد العقباني(720-811هـ/1320 - 1409م)** العالم والفقيه الذي كانت له أيضا مشاركة في العلوم الطبيعية(3)، ولا ننسى كذلك العالم **أبو الحسن علي بن أحمد** الشهير بابن الفحام مخترع المنجانة الشهيرة الذكر بالمغرب(4)، والتي ازدان بها قصر أبي حمو موسى الثاني(5) وعلماء آخرين.

أمّا في الأندلس فبرز أيضا عدد من العلماء في هذا المجال، كانت لهم شهرة كبيرة لا سيما في مجال الطب والصيدلة اللذين عرفا تقدما كبيرا، وبخاصة مجال الجراحة الذي برز فيه أطباء أندلسيون كان لهم السبق في ابتكار الإسفنجة المخدرة(6) ومن أشهر أطباء الأندلس خلال الفترة المدروسة(ق 7- 10هـ/ 13 -16م) **أبو سعيد بن عتبة (ت638هـ / 1240م)**(7) **وعبد الله أحمد المالقي** المعروف بابن البيطار (ت646هـ/ 1247م) الذي قام برحلة لمعاينة الأعشاب ودراستها، وكانت له العديد من المؤلفات منها الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، المغنى في الأدوية المفردة...(8)، والطبيب **أحمد بن محمد الكزى** شيخ الاطباء بغرناطة الـــذي كـــان

---

(1) يحيى بن خلدون ، المصدر السابق، ص ج1، ص 119، الحفناوي، المرجع السابق، القسم الثاني، ص ص564- 565.

(2) عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو** ، المرجع السابق، ص 179.

(3) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 123، ابن مريم، المصدر السابق، ص 107، التنبكتي المصدر السابق، ص 125.

(4) يحيى بن خلدون، المصدر نفسه،ج1، ص 119.

(2) التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق،ص ص162-163.

(6) البنتوني، المرجع السابق، ص45، الطوخي، المرجع السابق، ص372،عثمان مهملات، "**فضل المسلمون على الطب**"، **مجلة العربي**، العدد 504، الكويت، نوفمبر، 2000، ص ص92-98.

(7) ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، المصدر السابق، ج1، ص ص282-285 .

(8) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج4، ص ص179-180 ، يوسف فرحات، المرجع السابق ص225.

حيــًّا سنة 690هــ/ 1293م، والذي كان يدرس الطب بغرناطة(1)، كما صنّف **لسان الدين بن الخطيب** عدة كتب في هذا المجال أهمها كتاب اليوسفي في صناعة الطب، عمل من طبّ لمن حبّ، الكلام على الطاعون المعاصر وغيرها(2)، كما اشتغلت بعض النساء الأندلسيات في هذا المجال **كأم الحسن** ابنة الطبيب **أبي جعفر أحمد الطنجالي (ت750هــ/ 1349م)** وغيرها.

وعرف كذلك علم الفلك تقدما وبرز فيه عدد من العلماء الذين كانت لهم كتب عديدة فيه **كأبي بكر بن عبد الملك القضاعة** (ت707هــ/ 1356م) صاحب كتاب تَرَحُلُ الشمس ومعرفة الأوقات، **وأبي يحيى بن رضوان الوادي آشي** (ت 707هــ/ 1356م) صاحب منظوم في علم النجوم ورسالة في الإسطرلاب وغيرهم(3).

وما يمكن قوله قي الأخير عن الحياة العلمية والأدبية في كل من المغرب الأوسط والأندلس خلال الفترة المدروسة أنها كانت مزدهرة بفضل العوامل التي ذكرناها وما العدد الكبير من العلماء الذين برزوا في هذه الفترة في مختلف العلوم والفنون والذين ذكرنا قلة منهم إلاّ دليل على ذلك الازدهار.

---

(1) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص 87 .

(2) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص 283.

(3) الطوخي، المرجع السابق، ص ص 370-375.

الفصل الثالث

العوامل المساعدة على تمتين الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس في عهد بني زيان

أولا : الهجرة الأندلسية تجاه المغرب الأوسط

1- دوافعها :

1-1 تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية بالأندلس .

1-2 العلاقات السياسية والتجارية بين المغرب الأوسط والأندلس .

1-3 الازدهار الحضاري للمغرب الأوسط في عهد بني زيان .

2- مراحل الهجرة الأندلسية :

2-1 . المرحلة الأولى (قبل سقوط غرناطة) .

2-2 . المرحلة الثانية (بعد سقوط غرناطة) .

ثانيا : سهولة الإتصال بين المغرب والأندلس .

1- القرب الجغرافي .

2- دور الموانئ .

2-1 . موانئ الأندلس .

2-2 . موانئ المغرب الأوسط .

ثالثا : الوحدة المذهبية (المذهب المالكي بالمغرب الأوسط والأندلس) .

أولا : الهجرة الأندلسية تجاه المغرب الأوسط

1. دوافعها :

1-1. تدهور الأوضاع السياسية و الاجتماعية بالأندلس : كان لتدهور الأوضاع السياسية بالأندلس أثر مباشر على توالي الهجرات الأندلسية تجاه المغرب الأوسط بصفة خاصة، و المغرب الإسلامي بصفة عامة، لاسيما بعد ضعف الموحدين(1) وانهزامهم في معركة حصن العقاب(609هــ/1212م)، تلك المعركة التي كانت بداية نهاية الوجود الإسلامي بالأندلس(2)، و نتيجة لذلك الضعف توالت الفتن و الثورات ضد الموحدين، سواء من المسلمين كثورة بني مردنيش(3)، و ابن هود الجذامي 625هـ/ 1228م بألمرية (4)، أو من قبل المسيحيين الذين استغلوا تلك الأوضاع فراحوا يُصعدون من حدّة هجماتهم و ضرباتهم على المدن الإسلامية، فسقطت الكثير من المدن بأيديهم، وعاثوا فيها فسادا، كماردة التي سقطت سنة 627هـ / 1228م،قرطبة 633هـ/ 1236م، بلنسية 636هـ / 1238م، اشبيلية 646هـ / 1248م(5) و غيرها من المدن الأخرى، و نتيجة لذلك هجر الكثير من الأندلسيين تلك المدن هروبا من اضطهاد النصارى، إلى المدن التي كانت لا تزال بأيدي المسلمين سيما غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس و التي كانت تحت حكم بني نصر(بني الأحمر) و استطاعت الصمود في وجه ضربات النصارى(6)، في حين فضل الكثير من الأندلسيين عدم البقاء

---

(1) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج5، ص 285.

(2) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 235- 236.

(3) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق،ج4، ص 198، ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ص 270-277.

(4) ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، المصدر السابق ،ج2 ، ص ص 90-93 ، ابن خلدون، المصدر نفسه، ج4 ص ص 201- 204.

(5) ابن خلدون المصدر نفسه، ص ص 204- 205.

(6) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج5، ص 394، شكيب أرسلان، **خلاصة تاريخ الأندلس**، المرجع السابق، ص 72.

بالأندلس، و الجواز إلى بلاد المغرب الإسلامي و حتى إلى المشرق الإسلامي، نظرا لتوقعهم بعدم صمود غرناطة، و أن سُلطان المسلمين بالأندلس قد أوشك أمده على الانتهاء، خاصة و أن دول المغرب الإسلامي الثلاث(بني مرين، بني زيان، بني حفص) كانت تعاني هي الأخرى الضعف والصراع المتواصل فيما بينها، و لم يعد الأندلسيون ينتظرون منها الكثير، سيما بعد انهزام بني مرين و بني الأحمر في وقعة طريف[1]، ضد المسيحيين المتكونين من القشتاليين والأرجونيين و البرتغاليين، و التي انتهت بهزيمة كبرى للمسلمين سنة 741هـ / 1340م، و استشهد فيها عدد كبير من المسلمين، كان من بينهم الكثير من علماء المغرب و الأندلس[2]، و كان من نتائجها انكسار شوكة بني مرين، الأمر الذي زاد من تشجيع الأندلسيين على ترك بلادهم و الهجرة نحو أماكن آمنة.

كما كان للأوضاع الاجتماعية بالأندلس أيضا دور في هجرة الكثير من الأندلسيين نحو بلاد المغرب الإسلامي، بسبب الظلم و ثقل أعباء الضرائب، و حتى الصراع العنصري بين طبقات المجتمع الأندلسي [3]، و الذي نتج عن ازدحام غرناطة بالسكان نتيجة الهجرات المتوالية إليها من المدن الأندلسية الأخرى التي سقطت في أيدي الإسبان[4]، فارتفعت الأسعار ارتفاعا مذهلا، لم يستطع الكثير من السكان تحملها ممّا دفعهم إلى الهجرة و ترك غرناطة، و نتيجة للصراع الدائم الذي كان قائما بين المسلمين و المسيحيين بالأندلس، كانت الضرائب مرتفعة جدا و ذلك لتغطية نفقات

([1]) تعرف هذه المعركة في المصادر الإسبانية بمعركة "سالادو" "Battalla de salado" و سمّاها ابن الخطيب بالوقعية العظمى، أنظر إبن الخطيب، **كناسةالدُكان**، المصدر السابق، ص 38.

([2]) المقري، **أزهار الرياض**، المصدر السابق، ج1، ص ص 203- 207، ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر نفسه، ص ص 35- 40، ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق،ج4، ص ص 310- 311.

([3]) عز الدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجرى**، ط1، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1983، ص88.

([4]) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق،ج4، ص ص 204-205.

الحرب، فكان المواطن الغرناطي يدفع مثلا في القرن 9 هـ / 15م ضريبة أكثر بثلاث مرات ما كان يدفعه المواطن القشتالي[1].

2-1. العلاقات السياسية و التجارية بين المغرب الأوسط و الأندلس :

لقد ربطت الأندلس في عهد بني نصر علاقات سياسية متميزة مع دول المغرب الإسلامي، و ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى تدهور الأوضاع السياسية بالأندلس بعد استيلاء النصارى على عديد المدن ممّا جعل بني نصر يستنجدون بهم، لاسيما ببني مرين الذين أجازوا مرات عديدة إلى الأندلس، و كان لهم دور هام في الجهاد هناك وما يؤكد تميز العلاقات بينهما تلك الرسائل العديدة المتبادلة بين الجانبين[2]، ولما حقق بنو مرين انتصارات عديدة ضد النصارى في الأندلس أصبح لديهم نفوذ كبير، ممّا جعل سلاطين بني نصر يتخوفون منهم، لاسيما في عهد السلطان محمد الفقيه (671-701هـ/ 1272-1302م) ثاني سلاطين بني نصر[3] الذي استدعى يعقوب بن عبد الحق المريني، و لكن سرعان ما خشي (محمد الفقيه) أن يحصل له مثلما حصل للمعتمد بن عباد مع يوسف بن تاشفين[4]، ممّا جعله يفكر في طريقة للخلاص من السلطان المريني[5]، فعمل على توثيق علاقاته السياسية مع بني زيان، و سلطانهم آنذاك يغمراسن بن زيان، و تمثلت تلك العلاقات في تبادل الهدايا و الرسائل و الأموال و طالب بنو نصر من بني زيان ضرورة التعاون معهم لضرب المرينيين، و اتفقا الطرفان على مهاجمة يغمراسن بن زيان لحدود بني مرين حتـــى يصـــرف يعقـــوب

---

(1) الطوخي، المرجع السابق، ص ص 258- 264.

(2) ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص ص 67- 166.

(3) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج7، ص105.

(4) يوسف بن تاشفين : أحد أهم ملوك المرابطين، كان له دور كبير في الجهاد بالأندلس، إذ انتصر على النصارى في معركة الزلاقة (479 هـــ/ 1086م)، كما قضى على امراء الطوائف و أخضع الأندلس لحكم المرابطين، أنظر ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثالث، ص ص 233- 252، ابن خلدون، **العبر**، المصدر نفسه، ج4، ص ص 189- 190.

(5) ابن خلدون، **العبر**، المصدر نفسه،ج7، ص 105.

ابن عبد الحق المريني عن الجواز إلى الأندلس(1)، و بالفعل راح يغمراسن بن زيان يُغير على حدود الدولة المرينية ، بالرغم من طلب يعقوب المريني من يغمراسن عقد صلح سنة 679هـ/ 1281م رفضه يغمراسن فخرج يعقوب لقتاله و هزمه عند وادي تافنة(2)، و لم تقتصر العلاقات السياسية بين بني نصر و بني زيان على عهد يغمراسن ابن زيان، بل تواصلت لاسيما في عهد أبي حمو موسى الثاني المولود بغرناطة سنة 722هـ/ 1322م(3)، و ما يدل على ذلك تلك الرسائل العديدة التي تلقاها من الوزير لسان الدين بن الخطيب(4) و التي كثيرا ما كان يرفقها بقصائد تهنئة، و من ذلك تلك القصيدة التي بعثها له مع رسالة سنة 774هـ/ 1373م و مطلعها :

وقفَ الغَرامُ على ثَناءِ لِسانِـــــي   رَعْيا لِمَا أَولَيتَ من إِحسَـــانِ
فكأنَّما شُكْري لَمّا أَولَيتُـــــــهُ   شُكرَ الرِّياضِ لِعارِضِ النِيسانِ
أنا شِيعةٌ لكَ حَيثُ كُنتَ قَضِيَّةٌ   لَمْ يَختَلِفْ في حُكْمِهَا نَفْسَـــانِ
و لقد تَشَاجَرَتِ الرِّمَاحِ فَكُنتَ في   مَيدانِ نَهرِكَ فارِسَ الفُرسَـانِ(5)

و كان أبو حمو موسى الثاني يُمد في كل سنة أهل غرناطة بالزرع والمال والخيل و قد عبر لسان الدين بن الخطيب عن ذلك بقوله :

لقد زار الجزيرةَ مِنكَ بَحـرٌ   يَمُدُّ فليس نعرفُ منه جَزرًا
أعَدتَ لنا بعهدكَ عهدَ موسى   سَمِيُّك فهي تَتلُوا منهُ ذِكْـرًا
أَقَمتَ جِدارَها و أَفَدتَ كَنزًا   و لو شِئتَ اتخَذتَ عليهِ أَجرًا(6).

---

(1) خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 116.

(2) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 336- 337.

(3) ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر و التوزيع، بور سعيد، 2001، ص 76.

(4) المقري،**نفح الطيب**، المصدر السابق، ج7، ص299.

(5) نفسه، ج8، ص ص 192- 193.

(6) مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر (دت) ص 448.

و عموما فإن العلاقات السياسية بين بني نصر و بني زيان كانت متميزة، لكن لم تكن بمستوى علاقات بني نصر ببني مرين و ذلك راجع لإغفال بني زيان أمر الجهاد في الأندلس، نظرا لانشغالهم بثورات القبائل من جهة، و هجمات الحفصيين والمرينيين من جهة أخرى.

أما العلاقات التجارية بينهما (بني زيان و بني نصر) فكانت متميزة جدا، وساهمت بدور كبير في تمتين الروابط الثقافية بينهما، و قد ساعد على قوة العلاقات التجارية احتواء الدولتين على مراسي هامة كألمرية، مالقة بالأندلس و هنين، ووهران... بالمغرب الأوسط [1]، و التي كانت تتم عبرها عملية التبادل التجاري و كانت الأندلس المصدر الرئيسي للدولة الزيانية لأغلب ما كان يصنع بها، كالمصنوعات الفخارية العطور و الورق[2] و غيرها من المواد الأخرى، في حين كان الأندلسيون يأخذون من المغرب الأوسط بعض المنتجات الزراعية لاسيما القمح[3].

و قد كان لتلك العلاقات سواء السياسية أو التجارية بين القطرين أثر مباشر على الهجرة الأندلسية تجاه المغرب الأوسط، إذ راح الأندلسيون يتوافدون على مدنه(المغرب الأوسط)، لاسيما عاصمته تلمسان التي أحسن سلاطينها استقبالهم وإكرامهم[4] لاسيما يغمراسن بن زيان الذي أصدر قرارا (ظهيرا) يمنح المهاجرين الحق في السكن و تملك الأراضي الزراعية جاء فيه : "و اطّلع يغمراسن على أغراضهم (الأندلسيين) السديدة في اختيار حضرته السعيدة للسكن على سائر البلاد فلاحظ منهم النية واعتبرها و أظهر عليهم مزايا... فبوّأهم من اهتمامه الكريم وإنعامه العميم جناتا ألفافا، و وطأهم جناب احترامه تأنيسا لقلوبهم المنجاشة... وأضفى عليهم من جنن حمايته، ما ينفع عنهم طواف الاضطهاد"[5].

---

(1) سيتم التعريف بالمراسي التي لعبت دور في تمتين الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس ص106-115.

(2) أبو زكريا المازوني، المصدر السابق، ص ص 81- 82، خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 182.

(3) الطوخي، المرجع السابق، ص 93.

(4) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 129.

(5) خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 243.

1-3: الازدهار الحضاري للمغرب الأوسط في عهد بني زيان :

عرف المغرب الأوسط في عهد بني زيان ازدهارا حضاريا في شتي المجالات سيما المجال الثقافي، و الذي سبق التطرق إليه، و ذلك الازدهار راجع بالدرجة الأولى إلى اهتمام السلاطين الزيانيين بهذا الجانب، و اشتراكهم فيه كأبي حمو موسى الثاني وغيره[1].

و كانت العاصمة تلمسان من أهم المراكز الثقافية التي يقصدها العلماء والأدباء من مختلف الأقطار[2]، نظرا لاحتوائها على العديد من المؤسسات التعليمية والثقافية كما سبق الإشارة إلى ذلك، و ازدهارها في فن النسخ و الوراقة، إذ تنافس العلماء والطلبة على نسخ المصاحف و الكتب المشهورة، و شارك في ذلك حتى السلاطين الزيانيين، كأبي زيان الثاني (796-801هـ/ 1394-1399م) الذي نسخ نسخا من القرآن الكريم، و نسخة من صحيح البخاري و نسخة من كتاب الشفا للقاضي عياض[3]، و ما يدل على ازدهار فن النسخ تأليف العلماء في هذا المجال كأبي عبد الله ابن مرزوق الحفيد الذي كتب رسالة سنة 842هـ/1238م سماها : " تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغط الروم". و ذلك بعد امتناع البعض عن النسخ في الورق المستورد من البندقية[4]. و له كذلك رسالة أخرى سماها: " المومي إلى القول بطهارة الورق الرومي"[5]. كما وجدت بتلمسان عدة مكتبات ساهمت هي الأخرى في إنعاش الحياة الثقافية بها، كالمكتبة التي شيدها أبو حمو موسى الثاني

(1) التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص 164.

(2) عبد الحميد حاجيات،" **تلمسان مركز الإشعاع الثقافي**"، المرجع السابق، ص ص 35- 43.

(3) التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص 211.

(4) أبو زكريا المازوني، المصدر السابق، ص ص 68- 81.

(5) الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص 81.

بالمسجد الأعظم سنة 760هـ/ 1359م [1]، و المكتبة التي أقامها ابنه أبو زيان الثاني بنفس المسجد[2].

أما الجانب الاقتصادي فعرف هو الآخر ازدهارا بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، لاسيما في فترات الأمن و السلم، و ذلك راجع إلى الموقع الهام لدولة بني زيان و عاصمتها تلمسان التي قال فيها يحيى بن خلدون:" وسط بين الصحراء و التل، لدنة الهواء، عذبة الماء، كريمة المنبت"[3]، وكانت الفلاحة النشاط المميز و الرئيسي للمجتمع الزياني، خاصة زراعة الحبوب كالقمح الذي كان مردوده يكفي لعدة سنوات إضافة إلى زراعة القطن و قصب السكر و الأشجار المثمرة كالزيتون و التفاح و التين و الكروم... [4]، و قد عبر الإدريسي[5] عن ازدهار الفلاحة في وصفه لتلمسان بقوله: "... و غلاّتها و مزارعها كثيرة، و فواكهها جمة، و خيراتها شاملة، و لم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة فاس أكثر من أهلها أموالا و لا أرفه منهم حالا "[6].

و اهتم الزيانيون كذلك بتربية مختلف أنواع الحيوانات، و عملوا على استخراج المياه و جلبها عن طريق القنوات لاستغلالها في الزراعة[7].

و فيما يخص الصناعة فهي الأخرى عرفت تطورا و ازدهارا فاشتهرت عدة حرف و صناعات، حتى أنه كانت توجد في تلمسان شوارع سميت باسم الحرفة أو الصناعة التي تمارس فيها، فكان هناك شارع السراجين، شارع الفخارين، طريق المعصرة، طريق الصابون...، و اشتهرت بصفة خاصة صناعة النحاس و النقش عليه، و ما يدل على رقي الحرف و الصناعات في العهد الزياني، رغم طابعها

---

(1) لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 136.

(2) التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص211.

(3) يحيى بن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص85.

(4) شاوش، المرجع السابق، ص ص 321– 322.

(5) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المدعو بالشريف الإدريسي، لنسبه الشريف، إذ ينحدر من إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة، ولد سنة 493 هـ/ 1100م بمدينة سبتة، و توفي بها سنة 560 هـ/ 1165م أنظر الإدريسي، المصدر السابق، ص ص 6– 7.

(6) الإدريسي، المصدر نفسه، ص ص 149– 150.

(7) شاوش، المرجع السابق، ص 483.

التقليدي، وجود تلك المنجانة (الساعة) العجيبة الصنع، التي اخترعها العالم الرياضي أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الفحام في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني(1).

كما عرف الجانب التجاري أيضا رقيا نظرا للموقع الهام للمغرب الأوسط والذي يربط بين الشرق و الغرب و الشمال و الجنوب، و كانت مدنه عبارة عن ملتقى تلتقي فيها البضائع، لاسيما عاصمته تلمسان(2)، و ساعد على ذلك وجود مراسي هامة لعبت دورا كبيرا في العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط و الأندلس و الجمهوريات الإيطالية كميناء هنين، وأرشكول، ووهران(3)، فغذت تلمسان بمثابة المستودع الذي تتدفق عليه البضائع من مختلف الجهات، وأهم تلك البضائع الأدوات الحديدية، الأقمشة الزجاج و التي كان يأتي بها التجار الأوربيون، و يأخذون الحبوب و الزيوت والجلود أما من بلاد السودان الغربي فكان يجلب منه الذهب و العبيد الذين كانوا ينقلون لأوربا و بعض الحيوانات الغريبة عن بلاد المغرب الإسلامي كالزرافة مثلا، و كان يُصدر إليه الملح و الخيل و المنسوجات(4)، و عُرف تجار تلمسان بالإخلاص و الصدق في تجارتهم، و الحرص على تزويد مدينتهم بالمؤن و المواد التي تحتاجها(5)، وقد اشتهرت عدة أسر مارست التجارة على غرار أسرة المقري (الإخوة أبو بكر محمد، عبد الواحد و علي) الذين أسسوا شركة تجارية للتجارة مع بلاد السودان الغربي(6).

و لقد شجع هذا الازدهار الذي عرفه المغرب الأوسط في عهد بني زيان في المجال الثقافي و الاقتصادي المهاجرين الأندلسيين على النزول بأراضي المغرب

---

(1) التسني، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص ص 162- 163، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1 ص56.

(2) الإدريسي، المصدر السابق، ص ص 149- 151.

(3) البكري، المصدر السابق، ص ص :77- 80، الزياني، المصدر السابق، ص ص 25- 31، الوزان المصدر السابق، ص ص 9- 31.

(4) Atallah Dhina, op cit. pp365- 371.

(5) الوزان، المصدر السابق،ص 21.

(6) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2، ص: 138.

الأوسط و عاصمته تلمسان[1] التي كانت تشبه كثيرا مدن الأندلس لكثرة مياهها وبساتينها و صناعها، فوجد الأندلسيون فيها تعويضا عما تركوه في مدن الأندلس[2].

2. مراحل الهجرة الأندلسية تجاه المغرب الأوسط في عهد بني زيان :

من خلال تتبع مسار الهجرة الأندلسية تجاه دولة بني زيان يمكن تقسيمها إلى مرحلتين أساسيتين :

2-1. المرحلة الأولى : و هي الممتدة من قيام دولة بني زيان (633هـ/1235م) إلى غاية سقوط غرناطة (897هـ/1492م)، و في هذه الفترة عرفت دولة بني زيان نوع من الاستقرار و التطور النسبي في مجالات عدة، و في المقابل تدهور الأحوال بالأندلس، و سقوط الكثير من المدن و الحصون بيد النصارى[3]، ونتيجة لاشتداد ضربات النصارى للمسلمين بالأندلس، كان عدد المهاجرين نحو المغرب الأوسط كبيرا، و في هذه الفترة أو المرحلة كان أغلب المهاجرين يستقرون بالعاصمة تلمسان و التي تكونت بها جاليات أندلسية عديدة اشتهر ذكرها، كأسرة بني وضاح التي رحلت من شرق الأندلس، وكان لها مكانة كبيرة لدى السلطان يغمراسن بن زيان، و أسرة بني ملاح القادمة من قرطبة، و التي اشتهرت بالعلم و الأدب، و اختص بعض أفرادها بوظيفة صك النقود، و منهم من تقلد وظيفة الحجابة[4]، و منصب صاحب الأشغال لدى السلطان يغمراسن كعبد الرحمان بن محمد بن الملاح[5]، و كان لبعض الأسر دور في دفع الحركة العلمية و التعليمية بالمغرب الأوسط، كأسرة العقباني[6] التي أنجبت عدد

---

(1) حنفي هلايلي، **الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16 و 17**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة وهران، 1999-2000، ص ص 119-120.

(2) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، المصدر السابق،ص 140.

(3) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 204-205.

(4) نفسه، ج7، ص 93.

(5) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205.

(6) نسبة إلى عقبان و هي قرية شمال الأندلس، شاوش، المرجع السابق، ص 401.

من العلماء،لاسيما في مجال العلوم الدينية، أبرزهم سعيد العقباني (ت811هـ /1408م) و قاسم بن سعيد العقباني (ت 854هـ/1450م) و غيرهم[1].

و لا تزال إلى يومنا هذا بتلمسان و ندرومة و مدن أخرى أسر ذات أصول أندلسية، تعرف بنسبتها إلى الحرفة التي كانت تمارسها في ذلك العهد، كفخّار، حصّار سقّال، بنّاي، هدّام، نقّاش، نجّار...، أو تعرف بنسبتها إلى المكان الذي كانت تقطنه قبل الهجرة، كقرموني نسبة إلى مدينة قرمونية غرب الأندلس، و غرناطي نسبة إلى غرناطة، و شقرون نسبة إلى جزيرة شقر شرق الأندلس، و مالقي نسبة إلى مالقة وغيرها[2].

و تواصلت الهجرة الأندلسية تجاه المغرب الأوسط في عهد بني زيان، و بلغت أوجها في عهد السلطان عبد الواحد بن أبي عبد الله (814-827هـ/1411-1424م)[3]، وعهد السلطان أحمد العاقل(834-862هـ/1431-1459م)، هذا الأخير استقبل المهاجرين بحفاوة كبيرة، و أنزل كل واحد منهم بالمكان الذي يليق به، فالعلماء والوجهاء أنزلهم بالعاصمة تلمسان، و أنزل التجار و الحرفيين في درب خاص بهم عرف بدرب الأندلسيين[4].

و لم تقتصر الهجرة نحو تلمسان فقط، بل قصد الكثير من الأندلسيين مدن أخرى كهنين، ندرومة، تنس، الجزائر، بجاية[5]، و مدن أخرى.

2-2. **المرحلة الثانية** : و هي المرحلة التي أعقبت سقوط غرناطة بيد الإسبان (897هـ/1492م)، وهو من أفجع ما حصل للمسلمين بالأندلس بصفة خاصة، ولجميع

---

(1) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 64.

(2) شاوش، المرجع السابق، ص 401.

(3) تولى الحكم سنة 814ه/1411م بمساعدة الحفصيين، أنظر التنسي: **تاريخ بني زيان**، المرجع السابق ص ص 243-245.

(4) ابن مريم، المرجع السابق، ص 127.

(5) الغبريني، المصدر السابق، ص ص :37-40، عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، ج1 ص175.

المسلمين بصفة عامة، لأنه أنهى الحكم الإسلامي بالأندلس[1]، و ترجع أسباب السقوط إلى عدة عوامل أبرزها :

الصراع الداخلي الذي كان قائمًا بين الأسرة الحاكمة في غرناطة، كالصراع الذي قام بين السلطان المستعين بالله سعيد بن محمد بن يوسف و ابنه أبي الحسن علي، حيث ثار هذا الأخير على والده، و أخرجه من غرناطة، و النزاع الذي حصل بين أبي الحجاج يوسف و أخيه أبي عبد الله محمد المعروف بالزغل[2] (888-892هـ/1483-1487م) وصراعات أخرى كثيرة نشبت بين أفراد الأسرة الحاكمة في غرناطة، و في مقابل ذلك عرفت مملكتي قشتالة و أراجون إتحادا تجلى من خلال زواج فرديناند ملك أراغون بإيزابيل ملكة قشتالة عام 1469م، و راح يعملان على إنهاء الوجود الإسلامي بالأندلس[3].

و من أسباب سقوط غرناطة كذلك تخلي بني مرين عن أمر الجهاد في الأندلس نتيجة الضعف الذي عرفوه جراء الصراعات الداخلية و الهجمات الخارجية ، و استغل النصارى ذلك الضعف والتفرق بين المسلمين، فحاصروا غرناطة سنة 896هـ /1491م، و لما طال الحصار[4] وتأكد السلطان أبو عبد الله محمد آخر سلاطين بني نصر أنه لا يستطيع الدفاع عن المدينة أرسل في طلب الصلح مقابل شروط [5] منها :

---

(1) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص348.

(2) علي حسن الشطاط، **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة 2001، ص 63.

(3) إيرفينج جورج، **سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس**، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 207.

(4) دام الحصار سبعة أشهر، عانى خلالها أهل غرناطة معاناة كبيرة بسبب الجوع و المرض و البرد...أنظر: محمود السيد، المرجع السابق، ص 109.

(5) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج6، ص 422.

عدم المساس بالمسلمين و التعرض لشريعتهم، و سلمت غرناطة[1] في الثاني من ربيع الأول سنة 897هـ الموافق للثاني من يناير 1492م، و جاز سلطانها أبي عبد الله محمد إلى المغرب[2].

و لم يمض الكثير على تسلم النصارى لغرناطة حتى شرعوا في نقض شروط الصلح التي اشترطها المسلمون عليهم مقابل تسليم المدينة، و سلطوا عليهم شتى أنواع الاضطهاد والعذاب، وأجبروهم على ترك دينهم ، واعتناق المسيحية، و منعوهم التحدث بالعربية[3]، و كان ذلك سنة 904هـ/1498م، و زادت الأمور سوءً بالنسبة لمسلمي الأندلس بعد إنشاء الإسبان لمحاكم التفتيش التي كانت تهدف إلى تنصير المسلمين بإشراف الكنيسة، و بأي وسيلة، و تعرض الرافضون للدخول في دين النصارى، أو أخفوا إيمانهم و تظاهروا بالمسيحية إلى التعذيب و القتل[4]، و نتيجة لذلك اعتنق الكثير من المسلمين المسيحية[5]، في حين فضل الأغلبيـــة منهم الهجرة و الفرار بدينهم[6]، خاصة بعد إصدار الكثير من العلماء عدة فتاوى تحث على الهجرة و ترك بلاد الكفر، مثل الفتوى التي أصدرها الفقيه أبو العباس الونشريسي المعنونة بـ : "أسنى

(1) قبل تسليم المدينة دافع عنها أبو عبد الله آخر سلاطينها و رفض الطلب الذي تلقاه من النصارى بتسليم المدينة سنة 895هـ/ 1491م، إذ عقد اجتماع مع كبار رجال الدولة، و أقر الدفاع عن المدينة حتى الموت وكانت الحرب سجالا بين الطرفين، حتى قرر فرديناند محاصرة المدينة حتى تجبر على الاستسلام، كما فعل مع جميع المدن الأخرى من قبل، و أعد لذلك جيش ضخم عسكر به قرب غرناطة، وحاصرها حتى اضطر إلى تسليمها، أنظر: محمود السيد، المرجع السابق، ص 107- 110.

(2) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1،ص ص 410- 411.

(3) مؤلف مجهول، **غزوات عروج و خير الدين**، تعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1934، ص ص 18-19.

(4) علي محمد الصلابي، **إعلام أهل العلم و الدّين بأحوال دولة الموحدين**، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2003، ص ص 209-212.

(5) محمد بن رمضان شاوش، الغوثى حمدان، **إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر**، ج4، ط1، طبع و إشهار داود بريكسي، تلمسان، 2001، ص 424.

(6) كمال السيد أبو مصطفى، **محاضرات في تاريخ المغرب و الأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، 2006 ص ص 212-218.

المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى و لم يهاجر، و ما يترتب عليه من العقوبات و الزواجر"، و التي تحث المسلمين على الهجرة من الأندلس بعد أن تغلب النصارى عليها إلى بلاد المسلمين، و اعتبر هذه الهجرة فريضة وواجبة على المستطيعين[1].

كل ذلك كان سببا في هجرة الكثير من الأندلسيين تجاه بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة، و المغرب الأوسط بصفة خاصة.

ثانيا : سهولة الاتصال بين المغرب و الأندلس

1. القرب الجغرافي :

كان للعامل الجغرافي دورا هاما في ربط العلاقات بين بلاد المغرب ككل بالأندلس منذ الفتح الإسلامي، إذ لمّا استكمل المسلمون فتح بلاد المغرب، أدركوا الصلة الوثيقة بين القطرين، خاصة و أن المظاهر الجغرافية متشابهة، فجبال الثلج في الأندلس هي امتداد لسلسلة جبال الأطلس في المغرب، و قد شجع ذلك على عبور جيوش الفتح إلى الأندلس، و حتى موسى بن نصير لما كتب للخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك(86-96هـ/705-715م) لمّا علم بتخوفه من عبور المسلمين البحر إلى الأندلس قال له : "إنه ليس ببحر، و إنما هو خليج يصف صفة ما خلفه للناظر"[2].

و لطالما كانت الأندلس إقليما تابعا للمغرب، سواء جغرافيا أو سياسيا، فمن الناحية الجغرافية تكاد تجمع المصادر على أن إقليم الأندلس إقليم من بلاد

(1) أبو العباس الونشريسي، **أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى و لم يهاجر (حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية)**، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1981، ص ص 69-80.

(2) رضا كحيلة، المرجع السابق، ص 159.

المغرب، إذ يعتبر آخر المعمور من إقليم المغرب[1]، و لا يفصل بينهما سوى اثنتا عشرة ميل حتى أن أهل الجانبين يرى بعضهم بعضا، ويتبينون زروعهم على حد تعبير ياقوت الحموي[2]، و نظرا لقرب المسافة بين القطرين أطلق على المضيق[3] الذي يفصل بينهما اسم المجاز أو الزقاق، و هذا دليل على ضيق المسافة، و التي يمكن عبورها في وقت قصير[4].

و نظرا لسهولة الاتصال بين المغرب و الأندلس ارتبط القطران منذ العهود الأولى للفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة بعلاقات متينة، و في شتى المجالات(سياسيا اقتصاديا، ثقافيا)، سيما و أنه عرف وحدة سياسية في عهد المرابطين ثم الموحدين[5].

و ما ينطبق على المغرب الأقصى و الأندلس، ينطبق كذلك على المغرب الأوسط، ما دام أنهما (المغرب الأوسط و الأقصى) لا تفصل بينهما حواجز طبيعية تعيق عملية الاتصال، إذ كان الكثير ممن يتنقلون بين المغرب الأوسط و الأندلس يمرون عبر المغرب الأقصى، بينما كان يفضل البعض الآخر الانتقال مباشرة بين المغرب الأوسط و الأندلس، انطلاقا من الموانئ المتقابلة كألمرية و هنين... [6].

كما كان لموقع تلمسان الجغرافي دور في تسهيل عملية الاتصال بين القطرين، إذ كما وصفها الإدريسي "هي قفل بلاد المغرب الأوسط، تقع على رصيف للداخل والخارج منه لابد من الاجتياز بها على كل حال"[7].

([1]) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 14، عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص ص 49-51.

([2]) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، دار صادر، بيروت،(د ت)، ص 262.

([3]) هو مضيق جبل طارق الذي نزل به طارق بن زياد عند جوازه إلى الأندلس، فنسب إليه، و يقال أيضا جبل الفتح، أنظر ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 678.

([4]) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 254.

([5]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص ص 340- 343، محمود بوعياد، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 9هـ**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982،ص 55.

([6]) إبن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، المصدر السابق، ص 140.

([7]) الإدريسي، المصدر السابق، ص 151.

2. دور المراسي:

أدت المراسي دورا كبيرا في تمتين الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس من خلال تسهيل عملية التبادل الثقافي، و حركة العلماء و الطلبة بين القطرين، و أهم تلك المراسي : مالقة، ألمرية، المنكب بالأندلس، و وهران، هنين، أرشكول، المرسى الكبير، الجزائر بالمغرب الأوسط.

2-1. مراسي الأندلس :

مالقة : تقع مدينة مالقة جنوب الأندلس، ضمن إقليم الأندلس الشرقي الذي كان يضم بالإضافة إلى مالقة، ألمرية، جيان... [1]، و هي على شاطئ البحر المتوسط، في موقع جميل وحصين، إلى الغرب من مدينة ألمرية، بين إشبيلية شرقا و غرناطة غربا[2] وهي إحدى أهم قواعد الأندلس لاسيما بعد سقوط قرطبة و بلنسية و مرسية و غيرها من المدن الأخرى[3]، و ذلك نظر لموقعها الحصين الجامع لمرافق البر و البحر[4].

و اشتهرت مالقة بجناتها الأثيرة و فواكهها الكثيرة[5]، كالتين الذي كان له ميزة خاصة، و كان يسمى بالتين المالقي، و اللوز الذي كان يصدر إلى عدة أقطار[6] والرمان الياقوتي الذي قيل أنه لا نظير له في الدنيا[7]، و نظرا لجمالها و حسن موقعها

---

(1) Philippe Aragua **;briue etarchitecteure dans l'Espagne médievale(12-15siecle)**,casa de valazquez , Madrid ,2003 , pp 145-146.

(2) ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، المصدر السابق، ص :347، القلقشندي ، المصدر السابق، ج3، ص ص 218-219.

(3) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 204- 205.

(4) ابن بطوطة، المصدر السابق، ج2، ص 682.

(5) أبو بحر صفوان، المصدر السابق، ص 126.

(6) ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، المصدر السابق، ص 140.

(7) ابن بطوطة، المصدر السابق، ج2، ص 682.

موقعها فقد قيلت فيها الكثير من القصائد و الموشحات، منها ما قاله أبو عبد الله بن زمرك(733-795هـ/1332-1393م):

عروسة أنتِ يا عقيلـــة تجلى على مظهرِ الكمال
مدت لك الكف مستقبلة تمسح أعطافك الشمـــال
و البحر مرآتك الصقيلية تشف عن ذلك الجمـــال
و الحلي زهر له انتظام يكلل القضـــــب بالدرر[1]

و لكونها تقع على ساحل البحر، فقد كان لمرساها الطبيعي دورا كبيرا في ربط بلاد المغرب الأوسط بالأندلس، سواء من الناحية التجارية أو الثقافية و بعد سقوطها في أيدي النصارى سنة 892هـ/1487م، انتقل الدور الذي كانت تقوم به إلى مدينة ألمرية و مرساها[2].

ألمرية :

أشتق اسم ألمرية من المرأى أو المحرس، إذ كانت تتخذ مرأى و محرسا بحريا لمدينة بجانة[3]، القريبة منها، ولذلك كانت تسمى بمرية بجانة، ثم تحول اسمها فيما بعد إلى ألمرية[4]، و ألمرية واحدة من المدن القلائل التي أحدثها المسلمون في الأندلس[5] أنشأها الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله سنة

([1]) حمدان حجاجي، المرجع السابق، ص 197.

([2]) عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية**، المرجع السابق،ص 105.

([3]) بجانة إقليم مشهور بالأندلس، يضم عدة مدن أهمها : برجة، ألمرية... و عدة حصون كمرشانة، برشانة طرجالة و غيره، أنظر الإدريسي، المصدر السابق، ص 258.

([4]) عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة ألمرية**، المرجع السابق،ص 19، غازي جاسم الشمري، "**مدينة ألمرية ثغر حربي و مركز إشعاع حضاري**"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، المرجع السابق، ص ص 48- 56.

([5]) ابن حوقل، المصدر السابق،ج1، ص 110.

344هـ/955م، على الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس[1]، في موقع دفاعي حصين يمتد بين جبل القصبة شمالا و ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوبا[2].

و قد كانت لألمرية دورا كبيرا في أحداث الأندلس، إذ كانت من أعظم قواعد الأسطول الأندلسي[3]، و من أهم المراكز التجارية البحرية، يقصدها التجار من مختلف الأقطار و الجهات، مما انعكس إيجابا على أهلها الذين كانوا من أيسر أهل الأندلس مالا وأوسعهم حالا[4].

و كانت ألمرية أو الثغر الكبير للأندلس كما كانت تسمى، مركزا شهيرا للصناعة، سيما صناعة المنسوجات[5]، التي كانت تنافس في جودتها المنسوجات البغدادية[6].

و عرفت ألمرية أوج ازدهارها و مجدها في عهد بني نصر (بني الأحمر) بعدما أصبحت من أهم ثغور المملكة بعد مالقة، و بعد سقوط هذه الأخيرة سنة 892هـ/1487م، ثم المنكب أواخر 894هـ/1489م أصبحت ألمرية المنفذ الوحيد للدخول و الخروج من و إلى الأندلس، و عبر مرساها كانت تعبر الإمدادات القادمة من بلاد المغرب الإسلامي، و لذلك كرّس فرناندو الرابع كل جهوده للإستلاء عليها، وقد تمكن له ذلك سنة 895هـ/1490م[7].

---

(1) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 141.

(2) محمد عبد الله حماد، "**التخطيط العمراني لمدن الأندلس الإسلامية**"، **ندوة الأندلس**، المرجع السابق، ص 154.

(3) القلقشدي، المصدر السابق، ج5، ص ص 216- 217.

(4) الإدريسي، المصدر السابق، ص 300، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 141.

(5) إبن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، المصدر السابق، ص 140.

(6) مانويل جوميث مورينيو، **الفن الإسلامي في إسبانيا**، ترجمة لطفي البديع، عبد العزيز سالم، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، (د ت)، ص 316.

(7) عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة ألمرية**، المرجع السابق، ص 105

المنكب :

تقع هذه المدينة أو الحصن، على ساحل بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) بين ألمرية و مالقة، و قد اشتهرت خاصة بصيد السمك[1]، وكان بها دار صناعة لإنشاء السفن[2]، و كان لها هي الاخرى أو بالأحرى مرساها دورا هاما في تمتين الروابط الثقافية بين المغرب الإسلامي بصفة عامة و المغرب الأوسط بصفة خاصة مع الأندلس، إذ كان الكثير من العلماء يركبون البحر منها إلى مراسي المغرب الأوسط مباشرة[3].

2-2. مراسي المغرب الأوسط :

وهران :

وهران بفتح الواو و سكون الهاء و فتح الراء، مدينة كبيرة من مدن المغرب الأوسط، تقع على ساحل بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)، تبعد عن تلمسان بحوالي 140 ميل، اختطها المغراوي خزر بن حفص بن صولات بن ونزمار في حدود سنة 290هـ/902م[4]، في موقع حصين، و أحيطت بها الأسوار و الحصون والخنادق[5]، فاشتهرت بقلاعها و أبراجها و جمال طبيعتها[6]، و أسواقها الكثيرة ومرساها الكبير[7]، الذي عرف حركة نشيطة في عهد بني زيان، إذ كان قبلة للتجار

([1]) الإدريسي، المصدر السابق، ص 291.

([2]) القلقشدي، المصدر السابق،ج5، ص 218.

([3]) القلصادي ، المصدر السابق، ص 95.

([4]) محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 25.

([5]) أحمد بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق المهدي بوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر(د ت) ص ص 185- 186.

([6]) أبو راس الناصر، المصدر السابق، ج1، ص ص 67-68.

([7]) البكري، المصدر السابق، ص 81.

من مختلف الأقطار، فعرفت وهران بواسطته نشاطا تجاريا كبيرا، كما كان له الدور الهام و الأوفى في العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، فكان الطريق البحري من ألمرية إلى وهران من أهم الطرق البحرية(1)، و من خلاله قصد الكثير من المهاجرين الأندلسيين وهران، و الذين أسسوا مدينتها الحديثة سنة 902هـ/1398م(2) و من بين من قصد هذا المرسى السلطان النصري الخامس محمد الأيسر الذي فرّ من غرناطة لظروف سياسية، كما أن بعض الدراسات تقول أن آخر سلاطين بني نصر أبو عبد الله محمد لما سلّم مدينة غرناطة قصد ميناء وهران، و منه توجه إلى تلمسان(3).

و بعد سقوط مدينة وهران في أيدي الإسبان سنة 915هـ/1509م أصبح مرسى هنين الميناء الأبرز للدولة الزيانية(4).

هنين:

هنين مدينة صغيرة تقع على شاطئ البحر المتوسط، كان عليها سور متقن وبها أسواق عديدة(5)، تسكنها كومية، قبيلة عبد المؤمن بن علي(6)، بينها و بين مدينة

(1) الإدريسي، المصدر السابق، ص 154 .

(2) لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 76.

(3) Henri Leon Fey**, histoire d'Oran Avant pendant et après la domination Espagnol**, Edition dar el- gharb,Oran, 2002,p 57 .

(4) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 15.

(5) الإدريسي، المصدر السابق، ص 254.

(6) هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان بن نصر بن علي بن عامر من قبيلة كومية الساكنة بأحواز هنين، و هو أحد أبرز أمراء الموحدين، بويع بعد وفاة المهدي سنة 524هـ/1130م أنظر: ابن الخطيب **أعمال الأعلام**، المصدر السابق، القسم الثالث، ص 271، أنظر كذلك عبد الحميد حاجيات، "**عبد المؤمن بن علي شخصيته و دوره في تأسيس دولة الموحدين**"، **أعمال وحدة البحث**، المرجع السابق، ص ص 15-16، يحيى بوعزيز، "**عبد المؤمن بن علي**"، المرجع السابق، ص ص 13-32.

ندرومة الجبل المعروف بتاجرة[1]، ورغم صغر المدينة، و صغر حجم مرساها إلا أنه كان من أبرز و أهم مراسي المغرب الأوسط في عهد بني زيان، سيما بعد احتلال الإسبان لمدينة وهران، فتحولت سفن البندقية و جنوة و غيرها ممن كانت تقصد وهران إلى مرسى هنين للاتجار مع أهل تلمسان[2].

و قد عرف أهل هنين منذ القدم بالنبل و الشرف، و كان جلهم يعمل في القطن والنسيج، أما دورهم فكانت في غاية الجمال و الزخرفة، و لكل واحدة منها بئر من الماء العذب، وفناء مغروس، و اشتهرت المنطقة بعدة فواكه كالكرز و المشمش والتفاح و الخوخ، و ما لا يحصى من التين و الزيتون[3].

و لكن لم يكن لهنين أن تعرف تلك الشهرة التي عرفتها لاسيما في عهد بني زيان لولا مها الطبيعي، و الذي رغم صغره، إلا أنه أدى دور كبير في ربط بلاد المغرب الأوسط بالأندلس، سواء تجاريا أو ثقافيا، فهو يقابل ميناء ألمرية بالأندلس، و كان أحد أهم طرق الانتقال بين المغرب الأوسط و الأندلس، و حتى عبد الرحمان بن خلدون يذكر أنه لما أراد الجواز إلى الأندلس قصد مرسى هنين[4]، و قد أولى سلاطين بني زيان عناية كبيرة لهذا المرسى أو الحصن، فكانوا يعينون به قواد، و من بين من شغل قائدا للحصن به، إبراهيم الآبلي والد محمد الآبلي شيخ العلوم العقلية بالمغرب[5].

---

(1) البكري، المصدر السابق، ص 80، خالد بن عيسى البلوي، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**،ج1، تحقيق الحسن السائح، مطبعة فضالى، المغرب،(د ت)، ص148،الحميري، **الروض المعطار في خير الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت،1975، ص 547.

(2) الوزان، المصدر السابق،ج2، ص 15.

(3) نفسه،ص ص 15-16، لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 94.

(4) ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق ص 120، الزياني، المصدر السابق، ص 112.

(5) يحيى بو عزيز، المرجع السابق، ص 17.

أرشكول :

تقع أرشكول على شاطئ البحر، على بعد حوالي 34 ميل عن تلمسان، وكانت مدينة في غاية العمران و الحضارة، لكنها تعرضت للتخريب مرات عديدة، وأعاد بناؤها المنصور بن أبي عامر، الذي قدم في جيش من الأندلس، و بعد وفاته خربت المدينة من جديد من قبل قبائل مغراوة و صنهاجة الذين طردوا الأندلسيين المتواجدين بها[1] .

وهي الأخرى لعب مرساهاا الذي يقع في إحدى منعرجات وادي تافنة، و يعرف حاليا برشقون دورا في ربط المغرب الأوسط بالأندلس من خلال تسهيل عملية الانتقال بين القطرين[2].

المرسى الكبير :

يعد المرسى الكبير هو الآخر من بين أهم المراسي الزيانية التي كان لها دورا كبيرا في تسهيل حركة المرور بين المغرب الأوسط والأندلس، و تشجيع عملية التبادل الثقافي بين القطرين، وهو مرسى يقع غير بعيد عن مدينة وهران،على بعد حوالي ميلين منها، و هو مرسى كبير ترسو فيه مئات السفن والمراكب بسهولة[3]،نظرا لموقعه المستور من الريح مما يسهل دخول السفن القادمة إليه، و قد قيل أنه ليس له مثيل على ساحل بحر الروم(الأبيض المتوسط) من بلاد البربر[4].

و قد استولى عليه الإسبان عنوة قبل سقوط وهران، بقيادة الدون دييكو Don Diego سنة 911هـ/1505م[5]، و كان سقوطه ثم سقوط وهران بعده بقليل

(1) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 16.

(2) البكري، المصدر السابق، ص ص 77-78.

(3) الوزان، المصدر السابق، ص 31، henri leon, op cit, p:35.

(4) الإدريسي، المصدر السابق، ص ص 153-154.

(5) الوزان، المصدر السابق، ص 31، henri leon, op cit, p p:63-63.

خسارة كبرى للدولة الزيانية التي فقدت أهم مراسيها التي كان لها دورا كبيرا في علاقتها مع الأندلس[1].

جزائر بني مزغنى :

مدينة الجزائر مدينة كبيرة على شاطئ البحر المتوسط، سميت بالجزائر نسبة إلى الجزر الصخرية التي كانت تقابلها[2]، كانت تقيم بها قبيلة بربرية تدعى بني مزغنى ولذلك عرفت بجزائر بني مزغنى[3]، و كانت توجد بها الكثير من الفنادق والأسواق[4] و عرفت بسهولها الخصبة التي تنتج الكثير من القمح الجيد[5].

و نظرا لبعد المدينة عن العاصمة تلمسان، فقد كان أهلها أحيانا ينحازون للدولة الزيانية، و أحيانا أخرى لمملكة بجاية التي انفصلت عن دولة بني حفص، كما تمتعت في فترات عديدة بالاستقلال عن السلطتين[6] .

([1])الوزان، المصدر السابق، ص 9.

([2]) كان عددها أربع، و قد أقام الإسبان على إحداها حصن كان يسمى حصن البنيون، أقامه بيدرو نافارو الإسباني سنة 915هـ/1510م و حطمه العثمانيون بقيادة خير الدين بربروس سنة 936هـ/1530م،أنظر عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ المدن الثلاث، الجزائر**، المدية، مليانة، ط2، الجزائر، 1972، ص 14.

([3]) الوزان، المصدر السابق، ص 37، القلقشدي، المصدر السابق، ج5، ص 109.

([4]) ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص 76.

([5]) الوزان، المصدر السابق، ص 37.

([6]) عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ المدن الثلاث**، المرجع السابق، ص 110.

و قد كان لمرسى مدينة الجزائر كذلك دورا كبيرا لاسيما في الجهاد البحري ضد النصارى خاصة بعض ضعف الدولة الزيانية، ومجيء الأخوين عروج و خير الدين[1] الذين ساهما في نجدة الكثير من الأندلسيين من قمع النصارى، و ترحيلهم إلى المغرب الأوسط[2]، فاستقر بها عدد كبير من الأندلسيين الذين اتخذوا المواضع المرتفعة والمطلة على البحر للسكنى فيها[3].

وعلى العموم فقد كان للمراسي سواء مراسي المغرب الأوسط أو الأندلس، والتي ذكرنا البعض منها أهمية كبيرة، وساهمت بقسط كبير في ربط بلاد المغرب الأوسط بالأندلس في شتى المجالات ومنه المجال الثقافي، ولا تقل أهميتها عن باقي العوامل الأخرى المساعدة على ربط المغرب الأوسط بالأندلس.

([1]) صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 20.

([2]) الوزان، المصدر السابق، ص ص 38-39، مؤلف مجهول، **غزوات عروج** ،المصدر السابق، ص ص 48-50.

([3]) عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ المدن الثلاث**، المرجع السابق، ص 80.

ثالثا : الوحدة المذهبية(المذهب المالكي بالمغرب الأوسط و الأندلس)

من العوامل التي ساعدت على تمتين العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي بصفة عامة مع الأندلس الوحدة المذهبية، أي سيادة مذهب واحد وهو المذهب المالكي في القطرين(1).

و المذهب المالكي هو أحد المذاهب السنية الأربع المشهورة في الفقه الإسلامي(2) ينسب لصاحبه مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر المولود سنة 93هــ/712م والمتوفى سنة 179هــ/795م(3)، إمام أئمة دار الهجرة، و هي المدينة المنورة، لكونه درس و عاش بها(4)، كان جامعا للحديث الشريف وحافظا له، حتى لقب بأمير المؤمنين في علم الحديث(5)، و قد قال فيه الإمام الشافعي : «أخذت العلم عن مالك، وجعلته بيني و بين الله حجة، و إذا ذُكر العلماء فمالك النجم الثاقب، و ما على الأرض كتاب أقرب إلى القرآن من موطئه»(6).

و قد اختص بهذا المذهب أهل المغرب و الأندلس بصفة خاصة، و الذين لم يقلدوا غيره إلا في القليل، و مَرَدُّ ذلك إلى أن أهل المغرب الإسلامي كانوا في رحلتهم إلى الحج ينزلون بالمدينة المنورة، سواء لزيارة قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – لما

---

(1) محمد بوعياد، المرجع السابق، ص 55.

(2) المذاهب السنية المشهورة في الفقه هي : المذهب المالكي اتبعه بصفة خاصة أهل المغرب الإسلامي المذهب الشافعي اتبعه أهل مصر، الحنبلي اتبعه أهل الشام و بغداد، و المذهب الحنفي اتبعه أهل الهند و الصين و خراسان...، أنظر ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 496-497 .

(3) اختلف في سنة ولادته بين سنوات93هو 94هـ و 95هـ الموافق لـــ712م، ،713م، 714م، أنظر ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص 18-28، محمد بن محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص 27.

(4) أحمد الدردير، **الشرح الصغير على مختصره المسمى"أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك"**،ج1 مؤسسة المنشورات الإسلامية، الجزائر، 1992، ص 3.

(5) عبد الحميد حاجيات، "**الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان**"، **مجلة الأصالة**، العدد26، جويلية أوت 1975، ص 139.

(6) محمد بن محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص 53.

فـــي ذلك من فضل[1]، أو لطلب العلم و الأخذ عن شيخها و إمامها مالك الذي كثرت إليه الرحلة في ذلك العصر[2]، كما أن أهل المغرب وجدوا هذا المذهب يتماشى مع عقليتهم و طبيعتهم، بالإضافة كونه مذهب عملي أكثر مما هو نظري، و فقهه بسيط وواضح و ليس فيه تعقيد[3]، و نظرا لكون أهل المغرب الإسلامي بدويون بطبيعتهم فكانوا أميل إلى أهل الحجاز للتشابه بينهم في البداوة، و لم يقلدوا أهل العراق الذين كانت تغلب عليهم الحضارة[4].

و قد أدخل هذا المذهب إلى المغرب الإسلامي فقهاء أجلاء كأسد بن الفرات[5] و سحنون صاحب المدونة[6]، أما كتاب الموطأ[7] و الذي مكث الإمام مالك في تأليفه حوالي 40 سنة، و تحرى فيه القوي من حديث أهل الحجاز، و يشتمل على أحاديث للرسول صلى الله عليه و سلم و أقوال أصحابه، و فتاوى التابعين[8] فقد لقي اهتماما

([1]) وردت أحاديث كثيرة في فضل زيارة قبر المصطفى – صلى الله عليه وسلم– منها قوله : « **من زار قبري وردت له شفاعتي**» و أيضا : « **من زارني ميتا فكأنما زارني حيا، و من زار قبري وجبت له شفاعتي، و ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر** »، أنظر محمد بن محمود بن النجار، **الذرة الثمينة في أخبار المدينة**، ج2، دار إحياء الكتب العربي، مكة، 1956، ص 397.

([2]) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 497.

([3]) خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 88.

([4]) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 498.

([5]) أسد بن الفرات : هو أبو عبد الله مولى بني سليم، أصله من خراسان، ولد سنة 145هـ/763م سمع الموطأ من الإمام مالك، ثم ذهب إلى العراق و لقي أصحاب أبي حنيفة النعمان، ولاه زيادة الله بن إبراهيم الأغلبي على الجيش الذي وجهه إلى صقلية، توفى سنة 214هـ/830م أنظر أبو العرب التميمي، **طبقات علماء إفريقية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د ت) ص ص 81–83، محمد بن محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص 62.

([6]) سحنون : هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، أصله من الشام، قدم أبوه سعيد مع الجند، كان سحنون جامعا للعلم، فقيها على المذهب المالكي، ولي القضاء سنة 234هـ/848م فعمل على تفريق حلقات الصفرية و الإباضية بالمسجد الجامع بالقيروان، توفى سنة 240هـ/854م، أما كتابه المسمى بالمدونة فهو من أهم كتب الفقه المالكي، أنظر أبو العرب، المصدر نفسه،ص83، محمد بن محمد بن مخلوف، المصدر نفسه ص ص 69–70.

([7]) قيل سمي بالموطأ لأن الإمام مالك عرضه على بضعة عشر تابعيا، و كلهم واطئوه على صحته، أنظر محمد بن محمد بن مخلوف، المصدر نفسه، ص 59.

([8]) عثمان عبود، المرجع السابق، ص 48.

واعتناء كبيرين من قبل علماء الإسلام بصفة عامة، و علماء المغرب الإسلامي بصفة خاصة، و قد قيل فيه (الموطأ) أنه هو الأصل و اللباب و صحيح البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب، و عليهما بنى الجميع كمسلم و الترمذي، و لم يعتنى بكتاب من كتب الحديث كما اعتني بالموطأ(1)، إذ قاموا بشرحه و الحرص على تدريسه، فضلا عن كتب المالكية الأخرى كالمدونة و المختلطة لسحنون، وكتاب التهذيب للبرادعي (اختصار على المدونة) و غيرها من الكتب الأخرى(2).

ورغم محاولة الفاطميين نشر مذهبهم الشيعي بالقوة على حساب المذهب المالكي، إلا أن غالبية الشعب بقوا متمسكين بمذهبهم المالكي السني(3)، والذي عرف انتشارا واسعا في العهد المرابطي، نظرا لاهتمام المرابطين بالعلوم الدينية، و بخاصة الفقه منها، و ذلك لحاجة الناس إلى معرفة مختلف المسائل الدينية، أما الموحدين فقد خالفوا المرابطين، و اتهموا فقهاءهم المالكية بالانقطاع لدراسة كتب الفروع، وإهمال النظر في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لاستخراج الأحكام الشرعية(4) وحاولوا نشر المذهب الظاهري على حساب المذهب المالكي، فقاموا بجمع الكثير من كتب الفقه المالكي وإحراقها بعد تجريدها من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة(5) ولكن محاولاتهم باءت بالفشل إذ بقي المذهب المالكي هو المذهب السائد في بلاد المغرب الإسلامي، و لقي قبولا و إقبالا من قبل الفقهاء و عامة الناس، لاعتماده على نصوص القرآن الكريم و الحديث الشريف، دون التأويل و الرأي، و قد أقره سلاطين بني زيان كمذهب رسمي للدولة و لم يتخذوا غيره(6)، و عملوا على تشجيعه و نصرته و يتجلى ذلك من خلال بناء المدارس و جلب أكابر فقهاء المالكية للتدريس بها ، كما

---

(1) محمد بن محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص 53.

(2) الغبريني، المصدر السابق، ص ص 26-27.

(3) موسى لقبال، "**الحلف بين أهل السنة و النكارية في القرن 4هـ/10م و أثره في تطور أوضاع مدن إفريقية و الزاب و الحضنة و الأوراس**"، **مجلة الأصالة**، العدد 60-61، السنة السابعة ، 1978، ص ص 55-64.

(4) عبد الحميد حاجيات، "**ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين**"،المصدر السابق ص103.

(5) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 202-204.

(6) خالد بلعربي، المرجع السابق، ص ص 86-87.

فعل أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/1308-1318م)[1]وأبو تاشفين الأول(718-737هـ/ 1318-1337م) [2]وأبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1358-138م)[3].

و قد أقبل الطلبة على تلك المدارس لدراسة الفقه المالكي و كتبه المشهورة لاسيما كتاب الموطأ، و كتاب ابن الحاجب الذي لخص فيه طرق أهل المذهب و نظرا لأهميته كان العلماء يرغبون في قراءته كالعالم ناصر الدين المشدالي الذي كان يحث الطلبة على دراسته، و هو من أدخله إلى بجاية ثم تلمسان[4].

و لم يكتف الزيانيون بتدريس المذهب المالكي فقط، و إنما عملوا به أيضا في القضاء[5]، و الفتوى، فكان يشترط في القاضي فضلا عن كونه عالما بأمور الدين وفقيها، أن يكون على المذهب المالكي، و إن لم يكن كذلك فهو ملزم بالحكم به[6]، أما في الفتوى فكان يعتمد على أهم كتب الفقه المالكي، وعلى رأسها كتاب الموطأ والمدونة و غيرها[7].

---

(1) التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، ص 139.

(2) نفسه، ص 141، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص216، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق ج6، ص 187.

(3) التنسي، المصدر نفسه، ص ص 179-180.

(4) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 499.

(5) لفظ القضاء مرجعه إلى انقضاء الشيء و تمامه، فيقال قضى الحاكم، إذا فصل في الحكم، و قضى دينه أي أداه، و قضيت الشيء أي أحكمت عمله، و منه قوله تعالى : "**و إذا قضى أمرا**" أي أحكمه و أنفذه و القضاء من أسنى الخطط و الوظائف الدينية، لذلك كان يشترط في القاضي عدة شروط كالعلم و الورع و غيرها أنظر: أبو الحسن النباهي، المصدر السابق، ص 5.

(6) بوزيان الدراجي، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993 ، ص 241.

(7) الونشريسي، **المعيار**، المصدر السابق، ج11، ص ص 109-110.

و أما في الأندلس فالأمر لا يختلف كثيرا عما هو عليه في المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي، و كان الأندلسيون في أول الفتح الإسلامي على مذهب الإمام الأوزاعي[1]، إمام أهل الشام الذين كان لهم اليد الطولى في فتح الأندلس، وكانت الدولة تعول عليهم أكثر من غيرهم بالأندلس[2]، و بقي الأندلسيون على ذلك المذهب إلى أن حملهم السلطان الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل على تركه و الأخذ بالمذهب المالكي، و قد اختلف في سبب ذلك، فهناك من قال بأن جماعة من علماء الأندلس رحلوا إلى المدينة المنورة، و درسوا عند إمامها مالك، و لما رجعوا وصفوا فضله وسعة علمه و جلالة قدره[3] لعامة الناس، فتبنوا مذهبه، و من هؤلاء العلماء أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمان القرطبي المعروف بشبطون(ت 193هـ/909م) الذي سمع من الإمام مالك، و هو أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس، و أبو محمد الغازي بن قيس الأموي القرطبي (ت 199هـ/915م)، وأبو عبد الله بن بشير بن شراحيل (ت 198هـ/914م) و يحيى بن يحيى الليثي(ت 224هـ/839م) رئيس علماء الأندلس كما كان يسمى[4] والذي كان الإمام مالك معجبا به، و يثني عليه كثيرا، و كان يسميه بعاقل أهل الأندلس[5].

---

(1) الأوزاعي هو : أبو عمرو عبد الرحمان بن عمرو الأوزاعي نسبة إلى الأوزاع و هي قرية بدمشق، كان إمام أهل الشام، ثقة مأمونا، صادقا، فاضلا، كثير الحديث و العلم و الفقه، و هو من كبار التابعين و أئمتهم، قال فيه الإمام النووي : "الأئمة في الحديث أربعة : "الأوزاعي و مالك و سفيان الثوري و حماد بن زيد"، ولد الأوزاعي سنة 88هـ/707م و توفى 157هـ/773م، أنظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج7، دار صادر بيروت، 1958، ص 488، ابن عماد الحنبلي، **شدرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت) ص 242.

(2) شكيب أرسلان، **الحلل السندسية**، المرجع السابق، ص 255.

(3) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج4، ص ص 60-61.

(4) ابن فرحون، المصدر السابق، ص 33، ابن مخلوف، المصدر السابق، ص 63

(5) يروى أنه في إحدى المرات كان في مجلس مالك جماعة من أصحابه و تلامذته، فقال قائل : "حضر الفيل" فخرج الجميع لرؤية الفيل ما عدا يحيى بن يحيى الليثي، فسأله الإمام مالك عن عدم خروجه، فقال له : جئت من بلدي لأنظر إليك و أتعلم من هديك و علمك، و لم آت لرؤية الفيل، أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج2 ص 216.

وكان له الفضل الكبير في نشر المذهب بالأندلس لما عاد من المدينة، إذ تفقه على يده خلق كثير، و له رواية للموطأ تعد من أشهر و أحسن الروايات[1]، وهناك من قال أنه من بين أسباب تبني هشام بن عبد الرحمان الداخل للمذهب المالكي أن الإمام سأل بعض الأندلسيين عن سيرة سلطان الأندلس فقالوا له : "يأكل الشعير و يلبس الصوف و يجاهد في سبيل الله" فقال الإمام مالك : "ليت عندنا في حرم الله مثله"، و كان ذلك من أسباب محنته[2]، إذ كان (الإمام مالك) ناقما على العباسيين الذين اضطهدوا العلويين و ضيقوا عليهم، و لما سمع السلطان الأموي بالأندلس هشام بن عبد الرحمان ذلك، و كان قد سمع بعلم و فضل الإمام مالك، حمل الناس على إتباع مذهبه و ترك مذهب الأوزاعي[3]، و منذ ذلك الحين أصبح المذهب السائد في الأندلس و المعمول به في الفتوى و القضاء[4] حتى قيل أن الأهواء و النحل معدومة بالأندلس[5].

و لكن هذا لا ينفي وجود مذاهب أخرى غير المذهب المالكي، إذ كان الكثير من العلماء على المذهب الظاهري[6]، و الحنفي و الشافعي...، ففي عهد بني نصر كان أبو حيان الغرناطي على مذهب ابن حزم[7] الظاهري، و أحمد بن صابر القيسي وأبو جعفر بن بصلة (ت 734هـ/1334م) على المذهب الحنبلي و فتح بن موسى بن حماد على المذهب الشافعي[8]، كما كان قلة على المذهب الشيعي كالعالم جمال الدين

([1]) ابن خلكان ، المصدر السابق، ص ص 216-217.

([2]) البتنوني ، المرجع السابق، ص 53.

([3]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج4، ص 61.

([4]) نفسه، ج2، ص 195، الزياني، المصدر السابق، ص ص 66-67.

([5]) ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص 38.

([6]) المذهب الظاهري : أسسه بالمشرق داود بن علي الصنهاجي، و اشتهر هذا المذهب بأمرين أساسيين : نفي القياس و الأخذ بظواهر النصوص، و قد أصبح هذا المذهب مذهبا رسميا في الأندلس في عهد يعقوب المنصور الموحدي، (580-595هـ/1185-1200م)، أنظر أحمد شبشون،" **منزلة العلم و التعليم بالأندلس من خلال رسالة مراتب العلوم لابن حزم**"، **ندوة الأندلس**، المرجع السابق، ص 5.

([7]) ابن حزم : الفقيه أبو محمد علي بن حزم المتوفى سنة 457هـ/1065م، فقيه مستنبط و نبيه، كان شافعي المذهب ثم تحول إلى ظاهري، له العديد من الكتب أهمها : المحلى في الفقه، الملل و النحل، الإيمان إلى فهم كتاب الخصال و غيرها، أنظر الفتح بن خاقان، المصدر السابق، ص ص 138-139.

([8]) الطوخي، المرجع السابق، ص 343.

أبو بكر بن مسدى الغرناطي المتوفى سنة 662هـ/1264م الذي كان من أكابر العلماء و لديه مؤلفات عديدة في القراءات و الحديث و غير ذلك، لكنه كان ممقوتا بسبب آرائه وأقواله في الصحابة و عائشة أم المؤمنين[1] رضي الله عنها.

و عموما فقد ظل المذهب المالكي هو السائد و المعمول به في الأندلس و المغرب الأوسط، مما انعكس إيجابا على العلاقات الثقافية بين القطرين، إذ شجع ذلك على حركة العلماء بين المغرب الأوسط و الأندلس.

---

(1) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، المصدر السابق، ج17، ص 53.

الفصل الرابع

مظاهر العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس

أولا : التأثير الأندلسي في المغرب الأوسط

1- في المجال العلمي

2- في المجال الفني -المعمار- الموسيقي

3- في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية

ثانيا : التبادل العلمي

1- المراسلات العلمية و تبادل المصنفات

2- المراسلات الإخوانية

ثالثا : حركة العلماء بين المغرب الأوسط و الأندلس

1- دوافعها

1-1 طلب العلم و الإجازة

1-2 رحلة الحج

1-3 أسباب أخرى

2. دور العلماء في العلاقات الثقافية

أولا : التأثير الأندلسي في المغرب الأوسط

1. في المجال العلمي :

سبق الذكر أنه نتيجة الأوضاع السياسية المتدهورة بالأندلس، و عوامل أخرى هاجر الكثير من الأندلسيين تجاه المغرب الأوسط، و عاصمته تلمسان، كان من بينهم العديد من العلماء والفقهاء والأطباء، حاملين معهم علومهم ومعارفهم(1)، وحتى بعض صفاتهم وخصائصهم التي تأثر بها سكان المغرب الأوسط، و من تلك الصفات : حب الأندلسيين للعلم، و اهتمامهم الكبير به، فكان العالم معظما عندهم، سواء عند الخاصة أو العامة(2).

و قد وضعت الكثير من الرسائل و المصنفات في ذلك، تصف مدى حب الأندلسيين للعلم، و اهتمامهم به(3)، و على سبيل المثال رسالة الشقندي (ت 629هـ/1231م) (4) و التي جاء فيها : "إن الإجماع حصل على فضل الأندلسيين، و قد نشأ فيهم من الفضلاء و الشعراء بها ما اشتهر في الآفاق"(5)، ووصف عبد الرحمان بن خلدون كذلك مدى ذكاء الأندلسيين، و حبهم الكبير للعلم، و اعتنائهم البالغ بالشعر الذي بلغ التنميق فيه الغاية(6).

و العالم الأندلسي كان بارعا لأنه يطلب العلم بباعث من نفسه، و نظرا لحرصهم على التعلم، كان الكثير يضطر لترك عمله الذي يقتات منه من أجل طلب العلم، و اهتم

---

(1) عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، المرجع السابق، ج1، ص 173.

(2) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج4، ص 181.

(3) أبو حامد الأندلسي،المصدر السابق، ص ص62-63، أحمد أمين، **ظهر الإسلام**،المرجع السابق،ص ص 9-10

(4) هو أبو الوليد الشقندي، نسبة إلى شقندة، و هي بلدة مجاورة لقرطبة، له رسالة مشهورة، يفضل فيها الأندلس على المغرب، عمل في القضاء، و له العديد من الأشعار، توفى 629هـ/1231م، أنظر ابن سعيد **المغرب في حلى المغرب**، المصدر السابق، ج1، ص ص 150-151.

(5) أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، المرجع السابق، ص 10.

(6) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 646.

الأندلسيون بجميع العلوم، ما عدا الفلسفة و التنجيم، و التي كان لهما حظا عند الخاصة و لكن لا يتظاهر بهما خوف العامة(1).

و لقد كان لهذه الصفات التي تميز بها الأندلسيون أثر في الحياة العلمية بالمغرب الأوسط، و الأقاليم التي نزلوا بها، فأضحت تلك الأقاليم وارثة العلوم الأندلسية(2).

و من بين المجالات العلمية التي كان للأندلسيين فيها تأثير، طريقة التعليم و التي أدخلوا عليها أمورا جديدة، إذ كان المنهج التعليمي المتبع بالمغرب الأوسط يعتمد على تحفيظ القرآن الكريم، و مبادئ العلوم الدينية في البداية(3)، ثم ينتقل إلى العلوم الأخرى و قد أبدى بعض العلماء تحفظا من هذه الطريقة، على غرار أحمد بن إبراهيم الآبلي(757هـ/1356م)، إذ يرى أن الطالب بهذه الطريقة يصبح مجرد وعاء على الأستاذ أن يملأه بالمعلومات الغزيرة، في شتى العلوم(4)، كما وجّه أيضا تلميذه عبد الرحمان بن خلدون نقدا لهذا المنهج الذي يعتمد بالدرجة الأولى على الحفظ إذ كان المتعلم ملزم بحفظ عدد كبير من المؤلفات، و ما كتب عليها من الشروح والحواشي والمختصرات، مما يعيق عملية التحصيل(5)، و اقترح بأن يكون التعليم بالتدريج شيئا فشيئا، و أن يمر بثلاثة مراحل(6).

أما الأندلسيون فكان منهجهم يختلف عن هذا المنهج، إذ كان الطفل يبدأ بتعلم القراءة و الكتابة، ثم النحو و اللغة و الحساب، و بعدها ينتقل إلى دراسة المنطق، و علوم الطبيعة، ثم يليها علم الأخبار، و الماورائيات و أخيرا ينتقل إلى دراسة علوم الشريعة(7)، فكان يقدم تعليم العربية و الشعر على سائر العلوم حتى يتمكن الطفل من إجادة اللغة التي هي وسيلة لاكتساب العلوم الأخرى، و كانت العلوم الشرعية تأتي في

---

(1) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 181.
(2) القلصادي، المصدر السابق، ص 26.
(3) لخضرعبدلي ، المرجع السابق، ص 91.
(4) ناصر الدين سعيدوني، "**التجربة الأندلسية بالجزائر**"، **ندوة الأندلس**، المرجع السابق، ص 87.
(5) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 587- 589.
(6) عن مراحل التعليم أنظر: لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص 93- 95.
(7) أحمد شبشون، المرجع السابق، ص ص 8- 9.

الأخير حتى يسهل فهمها، بعدما يكون المتعلم قد حصّل في العلوم الأخرى[1]، و قد أعجب الكثير من العلماء بهذه الطريقة كعبد الرحمان بن خلدون و غيره[2].

و قد نقل الأندلسيون طريقتهم الخاصة في مجال التعليم، المبنية على تعليم الأطفال القواعد الأساسية لمختلف العلوم[3]، و ساهموا في تنظيم حلقات التعليم بالمدارس والمساجد، سيما المسجد الجامع بتلمسان، الذي أصبح معهدا للتدريس يضاهي جامع الزيتونة بتونس و القرويين بفاس، كما ساهم الأندلسيون بقسط كبير في دفع حركة التعريب بالمغرب الأوسط، و ذلك راجع لعملهم في مجال التعليم[4]، و من مظاهر تأثير الأندلسيين في المجال التعليمي بروز جيل من العلماء الذين برعوا في العلوم الدينية خاصة الفقه و التفسير[5].

و لم يقتصر التأثير الأندلسي على التعليم فحسب، بل تعداها إلى أمور أخرى كطرق الكتابة و رسم الخط، إذ صار الخط الأندلسي نموذجا يحتذى به[6]، و غلب الخط الأندلسي على الخط المغربي في جميع المناطق التي حلوا بها[7]، كما لقيت التآليف و المصنفات الأندلسية، سواء التي نقلت من الأندلس، أو التي ألفت بالمغرب الأوسط، اهتماما كبيرا، إذ اعتمدها الأساتذة في التعليم، بمختلف مدارس و مساجد المغرب الأوسط، و من أهم تلك المؤلفات : لامية الشاطبي، و تفسير القرطبي...[8].

([1]) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 594- 595.

([2]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 23.

([3]) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 64.

([4]) محمد بوشقيف، **العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة وهران 2003- 2004، ص 29.

([5]) نفسه، ص 30.

([6]) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 88.

([7]) محمد سعيد شريفي، **خطوط المصاحف عند المشارقة و المغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري** الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص 256.

([8]) سعيدوني، المرجع السابق، ص 88.

2. في المجال الفني :

2-1. المعمار :

عرف الجانب المعماري بالأندلس ازدهارا كبيرا، لاسيما في عهد سلاطين بني الأحمر الذين كانوا مولعين ببناء القصور، و إنشاء المساجد، هذه الأخيرة كانت منتشرة بكثرة في مختلف مدن و قرى الأندلس، و من أهم ما خلفه الأندلسيون في هذا المجال: مسجد قرطبة(1)، المسجد الجامع بغرناطة(2)، مسجد الحمراء(3) و مساجد أخرى.

و نظرا لاستمرار الصراع ين المسلمين و النصارى في شبه الجزيرة الإيبيرية فقد حرص سلاطين بني الأحمر على بناء القصور الشامخة، و القلاع الحصينة وإحاطة المدن بالأسوار، و قد عرفت قصور الأندلس بالروعة و الجمال، و أهم تلك الحصون :

* **قصر الحمراء بغرناطة :** يعد هذا القصر من أهم و أعظم الآثار التي شيدها المسلمون بالأندلس، فقد شيده محمد بن الأحمر الذي دخل غرناطة سنة 635هــ/1338م واختار موقع الحمراء لإنشاء حصن يحتمي فيه، و اتخذ منه قاعدة لملكه(4).

و كان لهذا الحصن دورا كبيرا في أحداث غرناطة بصفة خاصة و الأندلس بصفة عامة، إذ بفضل موقعه الحصين، و أبراجه المنيعة، تمكن المسلمون من صد هجمات المسيحيين، و منع سقوط المدينة بأيديهم(5).

---

(1) عن مسجد قرطبة أنظر: ابن حيان، المصدر السابق، ص 243، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق ج2 ص ص 71- 83، الورداني المصدر السابق، ص 68، عبد العزيز سالم، **المساجد و القصور بالأندلس المرجع** السابق، ص ص 9- 29.

(2) عن المسجد الجامع بغرناطة أنظر: ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص ص 359- 360. القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 214.

(3) عن مسجد الحمراء أنظر: عبد الله عنان، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا**، المرجع السابق، ص 208.

(4)ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**،المصدر السابق،42، الطوخي، المرجع السابق، ص ص 60-61، حسين مؤنس، "**غرناطة تحفة من تحف الفن و عجيبة من عجائب التاريخ**"، **مجلة العربي**، العدد 89، الكويت، ص ص 82-91.

(5) عبد العزيز سالم، **المساجد و القصور في الأندلس**، المرجع السابق، ص 142.

* **قصر جنة العريف** : يعد هو الآخر من أروع قصور الأندلس شيّد في أواخر القــرن 7هــ/13 م ، وجدّد على يد السلطان أبي الوليد إسماعيل (714-726هــ/1314-1325م)[1] ، ونظرا لجماله و روعته، فقد اتخذه سلاطين بني نصر مصيفا، و متنزها للراحة والاستجمام[2].

و بالإضافة إلى هذين القصرين ترك الأندلسيون أثارا أخرى في غاية الروعة والجمال، و لا تزال لحد الآن ماثلة، و شاهدة على ازدهار الحضارة الأندلسية و رقيها ولا تزال لحد الآن تثير الإعجاب، ليس من قبل المسلمين فقط، بل و من قبل الغرب أيضا[3].

و قد انعكس هذا الازدهار المعماري إيجابا على بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة و المغرب الأوسط بصفة خاصة، نتيجة الهجرات الأندلسية تجاه مدنه، إذ كان من بين المهاجرين عدد كبير من الفنانين و الحرفيين[4].

و بما أن الهجرة الأندلسية تجاه المغرب الأوسط قديمة، فكذلك التأثيرات المعمارية الأندلسية على المغرب الأوسط قديمة، و تبرز تلك التأثيرات بصفة واضحة في الجامع الكبير بتلمسان، أحد أهم و أعظم مساجد المغرب الأوسط[5]، و الذي يشبه إلى حد كبير جامع قرطبة، لاسيما في المحراب، الذي يشبه كثيرا محراب جامع قرطبة، سواء في الشكل و القوس، و حتى في النقوش التي تعلو القوس[6]، و حتى الكتابات و الزخارف

---

(1) عن السلطان أبي الوليد أنظر ابن الخطيب، **أعمال الإعلام**، القسم الثاني، المصدر السابق، ص ص 294-295.

(2) الطوخي، المرجع السابق، ص 63.

(3) زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص ص 474- 475، عبد الله الحماد، "**التخطيط العمراني لمدن الأندلس**"، **ندوة الأندلس**، المرجع السابق، ص 201.

(4) ابن مريم، المصدر السابق، ص 127.

(5) Georges Marcais, op cit, p 18.

(6) صادق خشاب، **تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغاربي**، نموذج تلمسان، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة تلمسان، 2001، ص 98.

الموجودة بجامع تلمسان هي شبيهة بتلك الموجودة بجامع قرطبة[1]، و حتى الزيادات التي كانت تضاف إلى المسجد الكبير بتلمسان مشابهة لمسجد قرطبة[2].

أما التأثيرات الأندلسية في عهد بني زيان تبدو واضحة في الجانب المعماري وذلك راجع إلى الاهتمام الكبير من قبل السلاطين الزيانيين الذين حرصوا على جلب المهندسين و الصناع من الأندلس مثل السلطان أبي حمو موسى الأول (808-817هـ/1406-1415م) ، وابنه أبي تاشفين الأول(718-737هـ/1318-1337م) ، الذين كانا مولعين بالبناء و التشييد، و خلفا آثارا هامة[3]، و قد طلبا من السلطان النصري أبي الوليد إسماعيل (713-752هـ/1313-1351م) بأن يبعث لهما عدد من صناع الأندلس و فنانيها لبناء القصور بتلمسان[4]، و قد ازدهرت تلمسان في عهدهما إذ تزينت بالقصور و الحدائق والجنات على غرار مدن الأندلس، و أهم تلك القصور : دار الملك، دار السرور، دار أبي فهر... [5].

كما يظهر التأثير الأندلسي واضح في جامع سيدي أبي مدين، و الذي تشبه زخارفه الهندسية التي تكسو جدرانه زخارف قصر الحمراء بغرناطة[6]، ويعد مسجد أبي الحسن الذي بناه السلطان أبو سعيد عثمان الأول صورة مماثلة لمسجد قصر الحمراء، كما نجد أيضا شبها بين مئذنة المنصورة، و مئذنة جامع إشبيلية[7].

وعموما كان للأندلسيين دورا كبيرا في النهوض بالفن المعماري بالمغرب الأوسط لاسيما عاصمته تلمسان، و ذلك راجع إلى الاتصال المباشر بين تلمسان و الأندلس

---

(1) Rachid Bourwiba**, l'art religieux Musulman en Algerie**, SNED, Alger, 1981, p 120

(2) عبد العزيز سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**،ج2، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت 1982، ص 60.

(3) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 216، التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق ، ص ص 139 -141.

(4) صادق خشاب، المرجع السابق، ص 99.

(5)يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 216، عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو موسى**، المرجع السابق ص ص 60- 61.

(6) صادق خشاب، المرجع السابق، ص 99.

(7) عبد العزيز سالم، **قرطبة**، المرجع السابق، ص 61.

ودور المهاجرين الأندلسيين الذين توافدوا بكثرة على تلمسان، كان من بينهم عدد كبير من الفنانين و المهندسين كما سبق و أسلفنا.

2-2. الغناء و الموسيقى :

عرّف عبد الرحمان بن خلدون الموسيقى و الغناء بقوله : «هذه الصناعة هي تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة، يوقع كل صوت منها توقيعا عند قطعة، فيكوّن نغمة، ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعه»[1].

و قد عرف فن الغناء انتشارا كبيرا في الأندلس، سيما بعد قدوم زرياب[2] من بغداد في عهد عبد الرحمان الثاني(206-238هـ/822-852م)، فأعطى دفعة قوية للموسيقى خاصة بعد إنشائه لمعهد للموسيقى بقرطبة، كان له دور كبير في ازدهار هذا الفن[3].

و زاد هذا الفن انتشارا في عهد المرابطين ثم الموحدين، إذ برز العديد من المغنيين، و شاعت مجالس الطرب عند العامة و الخاصة، و ظهرت مصنفات في هذا المجال ككتاب الأغاني الأندلسية ليحيى الحُدّج المرسي في المائة السابعة الهجرية[4].

أما في عهد بني الأحمر فقد عرف هذا الفن أوج ازدهاره، و شاع الغناء في غرناطة حتى في الدكاكين و المحلات[5]، و مما ساعد على انتشاره تلك الأعياد والاحتفالات الكثيرة التي كانت تقام بغرناطة[6]، إضافة إلى انتشار الموشحات

([1]) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص469.

([2]) هو أبو الحسن علي بن نافع، الملقب بالعصفور الأسود، أحد تلامذة إسحاق بن إبراهيم الموصلي، صاحب المدرسة الموسيقية، و كان زرياب أبرز تلامذته، يتمتع بقدرة فائقة في ذلك المجال، و في المقابل كان له لسان سليط، مما جعل معلمه يهدده بالقتل إن لم يرحل عن بغداد، فكتب إلى الحكم في الأندلس برغبته في الالتحاق ببلده، فأجابه الحكم بالقبول، و لما دخل الأندلس وجد الحكم قد توفي فأكرمه عبد الرحمان الثاني، و خصه بمكانة عالية، أنظر: زيغرد هونكة، المرجع السابق، ص ص 488- 490.

([3]) روجي غارودي، المرجع السابق، ص 211.

([4]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج4، ص 26.

([5]) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق ،ج1، ص 36.

([6]) عبد العزيز سالم، **قرطبة**، المرجع السابق، ص 117.

والأزجال التي كانت تنظم لتغنى، و عرفت إقبالا و استحسانا كبيرين من قبل الأندلسيين[1].

و بصفة عامة كانت الموسيقى عنصرا هاما في الحياة الاجتماعية بالأندلس سيما غرناطة التي عرف شعبها بعشقه الكبير للفنون الجميلة، و ميله إلى الطرب[2].

و ساهمت الموسيقى الأندلسية في تطور الموسيقى بالدول المجاورة سواء الإسلامية، و حتى المسيحية، و من ذلك المغرب الأوسط و عاصمته تلمسان التي هاجر إليها العديد من أهل الفن و الموسيقي سيما الغرناطيين منهم، فساهموا بقسط كبير في انتشار هذا الفن، الذي اهتم به أهل المغرب الأوسط، و لا يزالون يحافظون عليه إلى يومنا هذا[3].

3. في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية :

لم يقتصر التأثير الأندلسي في المغرب الأوسط خلال عهد بني زيان على الجانب الفني سواء العمران أو الموسيقى، بل تعداه إلى جوانب أخرى كالحياة الاجتماعية والاقتصادية، و كان ذلك نتيجة احتفاظ المهاجرين الأندلسيين الذين استقروا بالمغرب الأوسط بمميزاتهم و خصوصياتهم الأندلسية، و بعض عاداتهم و تقاليدهم[4]، و من بين تلك الخصوصيات اهتمامهم الكبير بشكلهم و أناقتهم، حتى قال فيهم لسان الدين بن الخطيب "كأنهم الأزهار المتفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة"[5]، ومن بين الألبسة التي اشتهروا بها: الملف، و هو قطعة من القماش تلف حول نصف الجسد الأعلى، و يطرح طرف منها على الكتف، و هي ملونة، و تختلف ألوانها بحسب الثروة و المكانة، كما كانوا يلبسون اللباس المغربي، المعروف اليوم بالجلابة[6].

---

(1) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 651.

(2) الطوخي، المرجع السابق، ص 130.

(3) شاوش، المرجع السابق، ص ص 171- 172.

(4) بلعربي خالد، المرجع السابق، ص 202.

(5) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص 35، ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**،المصدر السابق،ص38.

(6)ابن الخطيب،**اللمحة البدرية**،المصدر نفسه،ص ص38-41، حسين مؤنس، "**غرناطة تحفة من تحف الفن**"، المرجع السابق، ص 70.

أما النساء فكن يبالغن في التفنن بزينتهن، و يتنافسن في اقتناء الحلي و أنواع الجواهر[1].

و عُرف عن الأندلسيين كذلك العناية بنظافة أجسامهم و ثيابهم[2]، لدرجة أنه كان البعض منهم يبيع كل ما عنده ليقتات به في ذلك اليوم ليشتري به صابونا يغسل به ثيابه، و عرفوا أيضا بالاحتياط، و حسن التدبير في المعاش، و حفظ ما بأيديهم خوف ذل السؤال، و لذلك كثيرا ما كانوا يوصفون بالبخل[3]، و كان أهم غذائهم القمح والذرة[4]، إضافة إلى الأرز و العدس و الثريد و الكسكس و السمك، و أنواع من الحلوى[5].

و بعد الهجرات الأندلسية المتوالية على بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، و استقرارهم بمواطنهم الجديدة، بقوا محتفظين بتلك العادات، ومحافظين على نمط حياتهم و معيشتهم لاسيما داخل البيوت، و أهمها طريقة تحضير الطعام، و اللباس، و مشاركة المرأة مجالس الرجال و الحديث، كما احتفظوا بفنونهم، و حرفهم[6].

و قد تأثر سكان المغرب الأوسط كثيرا بتلك العادات، و الخصائص المميزة للأندلسيين، سواء تلك المتعلقة بالأكل و اللباس، فأخذوا عنهم طرق طبخ العديد من الأطعمة والحلويات، وكذلك ظاهرة الاعتناء بالبساتين والمتنزهات، وأمور أخرى[7].

أما المجال الاقتصادي فهو الآخر كان للأندلسيين فيه تأثير، إذ كما سبق و ذكرنا أنه كان من بين المهاجرين عدد كبير من الفلاحين و الصناع و الحرفين الذين انتشروا

---

(1) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج1، ص 38.
(2) أبو حامد الأندلسي، المصدر السابق، ص 62.
(3) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج1، ص 183.
(4) ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، المصدر السابق، ص40.
(5) الطوخي، المرجع السابق، ص ص 88-92.
(6) ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 30.
(7) صادق خشاب، المرجع السابق، ص 103.

بأراضي المغرب الأوسط، و شيدوا به قرى و بساتين، كما أسسوا مصانع و مناجم كثيرة، و عملوا في الحقول و المزارع(1).

و بما أنه كان للأندلسيين خبرة كبيرة في مجال المياه و السقي، فقد عاد ذلك بالنفع و الفائدة على الفلاحة بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان(2)، كما اختص الكثير من الأندلسيين ببعض الحرف التي كانوا يمارسونها في الأندلس، كصناعة الجلود، نجارة الخشب، فن الخطوط، الطرز، نسج الحرير، حياكة القطن، غزل الصوف، بينما اشتغل آخرون في التجارة، و قد عاد ذلك بالنفع على المغرب الأوسط، إذ قلدهم الناس في الكثير من أعمالهم، و صنائعهم(3).

---

(1) عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، المرجع السابق، ج1، ص 176.

(2) Kazam Al-Alwani,**"the network of irrigation dithes in the Alpujarra of Granada**", **proceedings of the seminar « Al-Andalus »** ,op.cit , p p 87-102.

(3) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج4، ص 7.

ثانيا : التبـــادل العلـــمي

1. المراسلات العلمية و تبادل المصنفات :

لقد كانت بين علماء المغرب الأوسط في العهد الزياني، و أقرانهم الأندلسيين علاقات طيبة، مبنية على التبادل العلمي من خلال تبادل المصنفات، و إبداء الرأي والمشورة، و الاستفسار و الفتوى، زاد من تقويتها سيادة مذهب واحد في القطرين، ألا و هو المذهب المالكي[1].

فكان الكثير من علماء الأندلس يستفتون علماء المغرب الأوسط، كلما استصعبوا أمرا أو مسألة، و مثال ذلك ما كان يفعله عالم الأندلس الشهير أبو سعيد بن لب الغرناطي(ت 782هـ/1381) [2]، الذي كان كلما استصعب أمرا، أو استشكلت عليه مسألة، بعث إلى أبو عبد الله الشريف التلمساني(710-771هـ/1310-1369م) ليوضحها له، ويبين له ما أشكل عليه، و كل ذلك إقرارا له بعمله و فضله[3]،و كان لسان الدين بن الخطيب صاحب التآليف العديدة، كلما ألف كتابا بعثه إلى الشريف التلمساني، ليعرضه عليه، و يطلب منه أن يكتب فيه بخطه، و يبدي فيه رأيه[4]، كما كان(لسان الدين بن الخطيب) على صلة بشيخه و أستاذه أبا عبد الله بن مرزوق الخطيب فكان دائما يشيد به، و بفضله عليه، و يكاتبه ليعرض عليه أعماله، و يعلق عليها، و قد ذكر المقري في نفح الطيب، أنه رأى في كتاب الإحاطة لابن الخطيب تعقيبات بخط أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب[5].

---

(1) محمود بوعياد، **جوانب من الحياة بالمغرب الأوسط**، المرجع السابق، ص 55.

(2) هو أبو سعيد بن فرج بن قاسم بن لب الغرناطي، إمام غرناطة و مفتيها و عالمها، ولد سنة 701هـ/1301م وهو من أكابر العلماء و المحققين، أخذ عن عدة علماء أمثال أبي ناصر المشدالي، أبي جعفر الزيات، ابن جابر الوادي آشي، و أخذ عنه الكثير، كالشاطبي، لسان الدين بن الخطيب، ابن زمرك و غيرهم، له العديد من المؤلفات و الفتاوي المشهورة، توفي 782هـ/1381م، أنظر محمد بن محمد بن مخلوف، المصدر السابق،ج1 ص ص 230-231.

(3) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج7، ص 152.

(4)المقري، المصدر نفسه، ابن مريم، المصدر السابق، ص 175.

(5)ابن مريم، المصدر نفسه، ص 142.

و كثيرا ما كان يبعث له طلبة غرناطة أسئلة، و يطلبون إجابته، و فتواه في عدة مسائل، و على سبيل المثال لما حصل نزاع بين طلبة غرناطة حول عدة أمور تتعلق بالطهارة، كتب أحد الطلبة رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب، و مما جاء فيها :

«... شيخنا و بركتنا و وسيلتنا إلى الله تعالى، سيدي محمد بن مرزوق، أدام الله للإسلام حياته، و حفظ في الوجود أوقاته... تلميذكم أحمد الحسني لطف الله به، و بعد : فالذي أطلب منكم النظر في جوابنا على الفرق بين مسألة المتيمم يطلع عليه إنسان وهو في الصلاة معه ماءه، يتمادى(يواصل الصلاة)و لا يقطع، و المعتدة بالشهور ترى الحيض بعد أن مر أكثرها، ترجع إليه...» [1].

و إن دل هذا على شيء فإنما يدل على قوة العلاقة التي كانت تربط علماء الأندلس بعلماء المغرب الأوسط في العهد الزياني، و يدل كذلك على المكانة التي كان يتمتع بها علماء المغرب الأوسط بين أقرانهم في تلك الفترة.

و كان لسان الدين بن الخطيب متعلقا كثيرا بتلمسان، و قال فيها العديد من القصائد و الأشعار، و يذكر أنه شرع في كتابة كتاب عنها سماه : « أنواء نسيان في أنباء مدينة تلمسان»، لكنه لم يتممه بعد ارتحاله من تلمسان إلى فاس[2].

كما كان عبد الرحمان بن خلدون (732-808هـ/1332-1406م) أحد أعمدة التبادل الثقافي بين المغرب الإسلامي ككل و الأندلس، من خلال تنقلاته بين أرجاء المغرب والأندلس، و دوره في تلك الأقطار[3]، و كانت بينه و بين علماء الأندلس علاقات ومراسلات عديدة، لاسيما مع الوزير لسان الدين بن الخطيب[4].

و كان الكثير من علماء المغرب الأوسط يبعثون إلى علماء الأندلس، سواء للاستفسار عن أمور معينة، أو لطلب المعونة، مثلما فعل أبو عبد الله بن مرزوق

---

(1) المازوني، المصدر السابق، ص 142.

(2) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص 316.

(3) حميدة بن عمر هادفي، "**مساهمة رياضي الأندلس في الحياة العلمية بإفريقية خلال القرون الوسطى**"،**ندوة الأندلس**، المرجع السابق، ص 68.

(4) ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص ص 99-107، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8 ص ص 95-103.

الخطيب عندما شرع في شرح كتاب الشفا للقاضي عياض، إذ بعث إلى علماء وشعراء الأندلس ليكتبوا له مدحا فيه[1]، و قد أجابه أبو عبد الله بن زمرك(733-797هـ/1333-1396م) [2]بقصيدة جاء فيها :

و لاَ مثلِ تَعريفِ الشفا حُقُوقَــــهُ فقدْ بانَ فيهِ للعُقُــولِ جَميعُــهَا
بمرآةِ حُسنٍ قد جلتهــَا يــدُ النُّهى فأوصافُهُ يلتاحُ فيــهِ بَديعُــهَــا
نُجُومُ اهتداءٍ و المِـــــدادُ يجنهــا و أسرارُ غيبٍ و اليَراعُ تُذيعُهَــا
لقد حُزتَ فضْلا يا أبا الفَضلِ شامِلا فيُجزِيكَ عن نُصحِ البَرايا شَفيعُهَا
و للهِ مـــن تَصَــدى لشَرحِـــــــهِ فَلَبَّاهُ من غُرِّ المَعاني مُطِيــعَا
فكم مُجملٍ فَصَّلتَ منـــه و حِكمَــةٍ إذا كتمَ الإدماجُ منه تَشَيُّــعــَا
مَحاسِنٌ و الإحسانُ يبــدو خِلالَهــا كما افتَّرَّ عن زهرِ البِطاحِ رَبيعُهَا[3]

([1]) الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص 143.

(2) هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد الصريحي المكنى بأبي عبد الله ويعرف بابن زمرك ، أصله من شرق الأندلس وسكن سلفه بربض البيازين غرب غرناطة وبه ولد سنة 733هـ/1333م أخذ العلم بغرناطة عن أكابر علمائها كأبي سعيد بن لب وابن مرزوق الخطيب ولسان الدين بن الخطيب...، عمل كاتبا لدى السلطان أبي سالم المرين والسلطان النصري محمد الغني بالله في كنف الوزير لسان الدين بن الخطيب الذي كان له الفضل في اشتهاره وذيوع صيته ، لكن ابن زمرك جحد ذلك وانقلب على ولي نعمته حتى نكب به وقتله ، ولقد جرى له مثلما فعل بلسان الدين واتهم بعدة تهم فقتل سنة 797هـ/1395م مع خدمه وأبنائه،وبرز ابن زمرك في عدة علوم وفنون لاسيما الأدب وبخاصة الشعر منه، أنظر:ابن الخطيب ، **الإحاطة**، المصدر السابق ج2،ص ص221-236،ابن الخطيب،**الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة، بيروت،1963،ص 282، المقري ، **نفح الطيب**، المصدر السابق ،ج9، ص ص25-29، التنبكتي المصدر السابق،ص283.

([3]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر نفسه، ج9، ص ص 17-19، ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر نفسه ج2، ص ص 236-237.

2. المراسلات الإخوانية :

جرت بين علماء الأندلس و علماء المغرب الأوسط في عهد بني زيان العديد من المراسلات الإخوانية أو الأخوية، فضلا عن الرسائل المتعلقة بالفتوى و الاستفسار وكانت جل تلك الرسائل تندرج في إطار التهنئة والشكر والمدح والوصف والشفاعة والترحيب وإظهار الود... [1].

و كان لسان الدين بن الخطيب أبرز الأندلسيين الذين امتازوا بكثرة مراسلاته مع علماء المغرب الأوسط، و قد ذكرت المصادر العديد منها، لاسيما التي كانت بينه وبين شيخه أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب، و منها رسالة بعثها له ردا على كتاب ابن مرزوق مطلعها :

«بم أفاتحك يا سيدي و أجلّ عددي؟، كيف أهدي سلاما فلا أحذر ملاما؟ أو أنتخب لك كلاما فلا أجد لتبعه التقصير في حقك إيلاما؟...

سَلامٌ و تسليمٌ و رُوحٌ و رَحْمَـــــــةٌ عليك ومَمْدُودٌ من الظِّل سَجْسَـــــــجٌ[2]
و ما كان فَضلُكَ ليَمنَعَني الكُفرانُ أن أشكُرَهَ ولا لِيُنسِيَني الشَّيطَانُ أن أذْكُرَهُ[3]

و رسائل أخرى يمدح فيها شيخه ابن مرزوق الخطيب، و يقر بفضله، و رسائل يشكو له فيها ضيق حاله، و المآل الذي آل إليه[4]، و نظرا للمكانة التي كان يتمتع بها الشيخ أبا عبد الله بن مرزوق الخطيب، سواء عند الخاصة أو العامة، فقد بعث له لسان

(1) عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، المرجع السابق، ج2، ص 461.
(2) سجسج : يوم سجسج أي يوم معتدل، لا حر فيه و لا برد.
(3) ابن الخطيب، **ريحانة الكتاب**، المصدر السابق، ص 145، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8 ص 121.
(4) المقري، المصدرنفسه، ج7، ص 308.

الدين بن الخطيب عدة رسائل، بعد النكبة التي تعرض لها و فراره إلى المغرب، يطلب منه فيها الشفاعة له[1].

كما جرت بين لسان الدين بن الخطيب و عبد الرحمان بن خلدون عدة مراسلات، إذ لما حلّ ابن خلدون بالأندلس بعث له ابن الخطيب برسالة يرحب فيها بقدومه، و يهنئه و مطلعها :

حَلَلْتَ حُلولَ الغيثِ بالبلدِ المُحَلْ	على الطائرِ المَيمونِ و الرَّحبِ و السَّهلِ
يمينا بمن تَعْنُوا الوجوهُ لوجهِهِ	من الشيخِ والطفلِ المُهَدئِ و الكهـــــلِ
لقد نَشَأَتْ عِندي لِلُقياكَ غِبطَةٌ	تُنسي اغْتِباطي بالشَبيبَةِ والأهْـــــلِ
و وُدِي لا يَحتاجُ فيهِ لشاهِــدٍ	و تقريري المَعلوُم ضَرَبٌ من الجَهـــلِ[2]

و لمّا حلّ لسان الدين بالمغرب الأوسط بعث برسالة لابن خلدون الذي كان ببسكرة جاء فيها :

من أنكرَ غيثًا مَنشَؤُهُ	في الأرضِ و ليسَ بمُخلِفِها
شَكَرَتْ حتّى بعبارَتِهَا	و بمَعنَاها و بأحْرُفِـــــهَا
مُزنٌ منذ حَلَّ ببسكرة	يومًا نَطَقَت بمصحَفِـــهَا[3]

بالإضافة إلى رسائل أخرى عديدة بعثها له و هو بالمغرب الأوسط، يعبر له فيها عن حبه له و شوقه للقائه[4]، و كان عبد الرحمان بن خلدون هو الآخر يرد عليه برسائل، يعبر له فيها عن مدى شوقه هو الآخر للقائه، و من ذلك رسالة مطلعها : "سيدي مجدا، و علوا، و واحدي ذخرا مرجوا، و محلّ والدي برّا و حنوّا، ما زال

---

(1) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص ص 93-94.

(2) ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص 84،ابن الخطيب، **ريحانة الكتاب**، المصدر السابق،ص 185.

(3)ابن خلدون، المصدر نفسه، ص ص 101-102، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص ص 97-99.

(4) ابن خلدون ، المصدر نفسه، ص ص 99-118.

الشوق، منذ نأت بي و بك الدار، و استحكم بيننا البعاد يرعي سمعي أنبائك، و يخيل إلي من أبدي الرياح تناول رسائلك[1].

كما كانت بين لسان الدين بن الخطيب ويحيى بن خلدون مراسلات، بعدما تولى هذا الأخير الكتابة لدى السلطان أبي حمو موسى الثاني[2].

و بالإضافة إلى رسائل التهنئة و المدح، كانت هناك مراسلات من نوع آخر، تمثلت في رسائل الشفاعة، و التي كانت تبعث من قبل أحد العلماء أو الوزراء لأحد سلاطين المغرب أو الأندلس بغرض الشفاعة لعالم محتجز أو محل تهديد، ومن ذلك ما كتبه لسان الدين بن الخطيب على لسان السلطان النصري يوسف الأول إلى أبي عنان فارس المريني، للعفو عن الشيخ أبي عبد الله بن مرزوق الخطيب، الذي فضل الاستقرار بغرناطة، و رفض مواصلة الخدمة لدى السلطان أبي عنان، و كتبت الرسالة سنة 754هـ/1353م، و مما جاء فيها : "...إن الشيخ الفقيه الخطيب أبا عبد الله بن مرزوق ورد علينا، و استقر لدينا، و هو من جملة الفضل...، و لذلك نخاطبكم في شأنه ونستمطر له من مقامكم سحائب إحسانه، و نرغب منكم في تيسير أمله و رغبته وإسعاف قصده، و نيل طلبه"[3].

و في هذا المجال أيضا بعث قاضي الجماعة بغرناطة أبو القاسم الحسن و الشيخ الخطيب أبو البركات بن الحاج البلفيقي، برسالة إلى السلطان أبي عنان المريني للشفاعة للشيخ محمد أبي بكر المقري الذي دخل الأندلس سنة 757هـ/1356م في سفارة من سلطان المغرب، و لما وصل الأندلس أراد الاستقرار بها، و نبذ الخدمة فتوعده أبو عنان، فصدرت الشفاعة من العالمين المذكورين، على لسان السلطان محمد الخامس الغني بالله، ومما جاء فيها :

([1]) ابن خلدون ، **الرحلة**،المصدر السابق، ص ص 99-118.

([2]) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص 101.

([3]) ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص ص 160-161.

" ...إننا خاطبنا مقامكم الكريم في شأن الشيخ الصالح أبي عبد الله المقري،... و نسألكم أن تبيحوا له الغرض الذي رماه بعزمه، و معاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملة الآراب..."[1].

إن هذه الرسائل التي ذكرناها، و غيرها من الرسائل الأخرى العديدة المتبادلة بين علماء الأندلس و علماء المغرب الأوسط في عهد بني زيان، لدليل واضح على متانة العلاقة بين علماء القطرين في تلك الفترة، و تعد مظهرا من مظاهر العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس.

([1]) ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص ص : 199-201، الإحاطة، المصدر السابق، ج2، ص ص 141-143.

ثالثا : حركة العلماء بين المغرب الأوسط و الأندلس

1. دوافعها :

كانت حركة العلماء بين المغرب الأوسط في عهد بني زيان و الأندلس، بصفة عامة، و بين تلمسان و غرناطة بصفة خاصة نشيطة، مما ساهم بقسط كبير في تمتين الروابط الثقافية بين القطرين، و كانت دوافع هذه الحركة متعددة أهمها :

1-1. طلب العلم و الإجازة :

تعد الرحلة في طلب العلم شرط أساسي في التعلم، و لا بد منها، نظرا لما يكتسبه الطالب من خلال التقائه بالمشايخ على اختلاف طرقهم و مناهجهم التعليمية[1]، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون التحصيل العلمي أفضل و أرسخ، كما تفيد الرحلة في طلب العلم على تمييز الاصطلاحات المختلفة و فهمها[2].

و لذلك كان الطلبة لا يكتفون بما يتلقونه من العلوم في مدنهم، فيجوبون مختلف البلدان، و أهم المراكز الثقافية، للقاء أكابر العلماء و الأخذ عنهم، رغم مشقة السفر وصعوبة الرحلة[3]، فكان طلبة المغرب الأوسط يتنقلون بين أرجاء المغرب الإسلامي ليدرسوا بحواضره الثقافة كغرناطة، فاس، مراكش، بجاية، تونس،...أو إلى بلاد المشرق الإسلامي ليأخذوا عن شيوخ القاهرة و دمشق و بغداد، فضلا عن شيوخ الحرمين الشريفين بمكة و المدينة، و بيت المقدس...[4].

و في المقابل كان طلبة غرناطة، و الأندلس بصفة عامة، يجيزون إلى المغرب والمشرق الإسلاميين، للاستزادة من العلم و المعرفة، و منها حاضرة تلمسان، للأخذ

---

(1) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 598.

(2) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون**، إستنبول، 1941، ص ص 42-43.

(3) لحضر عبدلي، المرجع السابق، ص 99.

(4) شاوش، المرجع السابق، ص 406.

على أكابر علمائها كابن مرزوق الخطيب، و أبو عبد الله الشريف التلمساني، و أحمد ابن زاغو المغراوي، و قاسم العقباني، و ابني الإمام و غيرهم[1].

و من أهم دوافع الرحلة في طلب العلم، بالإضافة إلى حب العلم و الاستطلاع واكتشاف أشياء و أماكن جديدة، و التعرف على مدن و أقاليم عديدة[2]، بالإضافة إلى ذلك كان الطلبة يرتحلون بين أرجاء المغرب و المشرق الإسلاميين طلبا للإجازة والإجازة عند المحدثين هي الإذن في الرواية لفظا أو كتابة، و كانت لا تمنح إلا لمن يدرس علم الحديث، ثم صارت تمنح في كل العلوم و الفنون[3]، و هي تعتبر شهادة كفاءة أو تأهيل، بواسطتها يستحق الطالب المجاز لقب الشيخ أو الأستاذ في العلوم المجاز بها، و لا تعطى الإجازة إلا بعد القراءة على الشيخ المجيز، و ملازمته أياما وشهورا، و في بعض الأحيان عدّة أعوم[4]،و حرص الطلاب على الحصول على أكبر عدد من إجازات الشيوخ و العلماء، كما كانوا يحرصون أيضا على معرفة أفاضل الأمة من الصحابة و التابعين و الفقهاء، و معرفة تاريخ ولادتهم و وفاتهم، و معرفة من روى عنهم شيوخهم و أساتذتهم[5]، وهو ما كان يعرف بسند التعليم، فيقول الطالب أخذت كذا عن شيخي فلان عن فلان عن فلان... إلى أن يقول عن النبي صلى الله عليه و سلم[6]، و حرصوا على أن لا ينقطع سند التعليم بالمغرب الإسلامي و الأندلس و الذي كاد أن ينقطع بسبب اختلال العمران و تناقصه، ما دام أن العلم من جملة الصنائع، فيكثر حيث يكثر العمران و الحضارة[7].

---

(1) القلصادي، المصدر السابق، ص ص 96-108.

(2) نفسه، ص 59.

(3) شاوش، المرجع السابق، ص 405.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1980، ص ص 41-42.

(5) ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 65، ابن مريم، المصدر السابق، ص 308.

(6) الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص 16.

(7) ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 599-602.

1-2. رحلة الحج :

صلة المغرب الإسلامية الروحية بالمشرق الإسلامي دائمة و قوية، نظرا لاحتوائه (المشرق) على أماكن مقدسة، و كان مهبط الوحي، فكان المغاربة على غرار بقية المسلمين يولون وجوههم شطره، لأداء الركن الخامس من الإسلام، و هو فريضة الحج، فضلا عن زيارة الأماكن المقدسة، و الأخذ عن مشاهير العلماء(1).

و كانت لتلك الرحلة مكانة كبيرة في قلوب المغاربة، حتى أن كتب التراجم المغربية، كانت تحرص على ذكر رحلة العالم الذي تترجم له، فكانت تلك الرحلة بمثابة الوسام العلمي أو الإجازة التي تزيد من مكانة الطالب العلمية(2)، و قد أدت تلك الرحلة دورا هاما في تمتين الروابط و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس من جهة و باقي الأقطار الإسلامية من جهة أخرى، نظرا لما كان يحصل أثناءها من التقاء بين الطلبة و الشيوخ، سواء بمكة المكرمة أو المدن التي يزورونها قبل و بعد أداء فريضة الحج، كالإسكندرية، القاهرة، دمشق، بغداد، القدس، و المدينة المنورة، هذه الأخيرة كانت من أهم المدن التي يحرص المغاربة على النزول بها، قصد زيارة قبر النبي صلى الله عليه و سلم، لما ورد في ذلك من فضل(3)، و لذلك كان الكثير من علماء الأندلس و المغرب الأوسط يفضلون الإقامة و الاستقرار بها، و ذلك ما عبر عنه العالم أبو عبد الله يحيى بن علي الغرناطي (671-715هـ/1272-1315م) بقوله :

إذا كنت جارا للنبي و صحبـــه — و مكة بيت الله مني على قــرب
فما ضرني إن فاتني رغد عيشه — و حسب الذي أوتيته نعمة حسبي(4)

---

(1) القلصادي، المصدر السابق، ص 59.

(2) عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص 90.

(3) ابن النجار، المصدر السابق، ج2، ص ص 397-401.

(4) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج2، ص 225.

و بينما فضل الكثير من العلماء و الطلبة الاستقرار بالمشرق الإسلامي، كان البعض الآخر يكتفي بأداء الفريضة، و أخذ الإجازة عن بعض علماء المشرق دون إطالة الإقامة[1].

و لما كانت مدينة تلمسان تقع على طريق الحج بالنسبة للأندلسيين، فكان لا بد من الاجتياز بها[2]، و النزول بها، و ذلك ما عبر عنه لسان الدين بن الخطيب في وصفه لمدينة تلمسان، إذ قال : "إنها للغرب بابا، و لركاب الحج ركابا"[3]، وقد ساعد ذلك كثيرا على تمتين العلاقات الثقافية بين الأندلس و المغرب الأوسط، و قد كان للأوضاع السياسية بالأندلس و المغرب الأوسط خلال القرن الثامن و التاسع الهجريين أثر على رحلة الحج، التي تراجعت خلال هذين القرنين، نظرا لتدهور الأوضاع السياسية لاسيما بالأندلس، التي اشتدت بها ضربات النصارى للمسلمين، فأصدر الكثير من العلماء عدة فتاوى تفضل الجهاد على الحج[4].

1-3. أسباب أخرى :

إضافة إلى الرحلة لطلب العلم، و رحلة الحج اللتين كانتا من أهم دوافع حركة العلماء، و انتقالهم بين المغرب الأوسط و الأندلس، كانت هناك دوافع أخرى جعلتهم يتنقلون بين القطرين، إذ هاجر الكثير من العلماء لأسباب سياسية، تمثلت بالدرجة الأولى في تدهور الأوضاع، لاسيما بالأندلس، وذلك بعد سيطرة النصارى على عدة مدن[5]، وقد ذكر الكثير من العلماء في كتبهم و مصنفاتهم أنه من أسباب هجرتهم هو تغلب النصارى على مدنهم[6]، و كذلك الأمر بالنسبة لعلماء المغرب الأوسط، الذين

(1) إبراهيم بلحسن، المرجع السابق، ص 120.

(2) الإدريسي، المصدر السابق، ص 151.

(3) ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص 85.

(4) القلصادي، المصدر السابق، ص ص 66-67.

(5) ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ج4، ص ص 204-205، يحيى بن خلدون، المصدر السابق ج1، ص 129.

(6) ابن الأبار، **التكملة**، المصدر السابق، ص ص 146-147.

هاجر الكثير منهم لأسباب سياسية، و قد ذكر عبد الرحمان بن خلدون أنه من أسباب رحلته عن تلمسان هو اضمحلال أمر صاحبها[1].

و بالإضافة إلى تدهور الأوضاع السياسية، اضطر الكثير من العلماء إلى الارتحال عن مدنهم نتيجة الضغط و التضييق الذي عانوه من قبل الحكام، بسبب التعصب لمذهب معين، و على سبيل المثال ما حصل للعالم و الشاعر أبو جعفر بن صابر الذي كان كاتبا للأمير أبي سعيد بن فرج ابن السلطان الغالب بالله بن الأحمر، و كان هذا الكاتب على المذهب الظاهري، فاضطر إلى مغادرة الأندلس، بعدما توعده السلطان بقطع يده التي كان يرفعها في الصلاة، فغادر الأندلس، و قال : "إن إقليما تُمات فيه سنة رسول الله ــ صلى الله عليه و سلم ــ حتى يتوعد بقطع اليد من يقيمها لجدير أن يرحل منه"[2]، كما أن العالم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي خرج من تلمسان هاربا، لأن سلطانها أبو حمو موسى الأول، كان يُكرهه على التصرف في أعماله ويجبره على جمع الجباية[3].

و كثيرا ما كانت تقع منازعات بين الطلبة و شيوخهم، فيضطر بعض الطلبة إلى مغادرة المدينة، و مثال ذلك ما وقع بين أبو حيان الأندلسي الذي غادر الأندلس سنة 699هـ/1300م، و شيخه أحمد بن علي بن الطباع، إذ كان أبو حيان كثير الاعتراض على شيخه، و صنف كتابا سماه "الإلماع في إفساد إجازة ابن الطباع"، فرفع ابن الطباع أمره للأمير محمد بن الفقيه، فاضطر أبو حيان لمغادرة الأندلس[4].

و نظرا لكون القضاء من أسنى الخطط و الوظائف الدينية و أصعبها[5]، كان الكثير من العلماء يرفضها، و اضطر العديد منهم للارتحال و الفرار بنفسه عنها، مثلما

---

(1) ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص 126.

(2) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص ص 244-245.

(3) ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص 41.

(4) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج3، ص 186.

(5) النباهي، المصدر السابق، ص 5.

حصل لأبي عبد الله المقري، الذي اشتغل لمدة في القضاء، ثم كره الحكم بين الناس وفضل الارتحال[1]، و نفس الأمر حصل للعديد من العلماء الآخرين[2].

و مهما كانت الدوافع و الأسباب التي دعت العلماء و الطلبة إلى الرحلة، فما هو أكيد أن هذه الرحلات، قد عادت بالنفع على المغرب الأوسط و الأندلس على حد السواء، لا سيما في المجال الثقافي، إذ أدى هؤلاء العلماء المرتحلون دورا كبيرا في ربط المغرب الأوسط ثقافيا بالأندلس .

2. دور العلماء في العلاقات الثقافية :

كان للعلماء سواء علماء المغرب الأوسط أو علماء الأندلس خلال العهد الزياني دورا كبيرا خاصة في المجال العلمي، إذ كان لهم الدور الأوفى في تمتين العلاقات الثقافية بين القطرين، من خلال تنقلاتهم ورحلاتهم المستمرة بين المغرب الأوسط والأندلس واشتغالهم في المناصب الهامة كالتدريس و الخطابة و القضاء والسفارة...مما يخول لهم المشاركة بطريقة مباشرة في الحياة الثقافية، كابن خطاب المرسي الأندلسي الكاتب والأديب المشهور الذي استعمل في الكتابة السلطانية بغرناطة ثم غادرها إلى تلمسان[3] ونزل على سلطانها يغمراسن بن زيان الذي عينه كاتبا له [4]، فنقل خبراته إلى تلمسان، وساهم بقسط وافر في ازدهار الحياة الأدبية بها، وابن خميس التلمساني شاعر المائة السابعة [5] الذي ولاه السلطان الزياني أبو سعيد بن يغمراسن ديوان الإنشاء ولازم التدريس بالمغرب الأوسط والأقصى [6]، ثم انتقل بعدها إلى غرناطة واشتغل بالتدريس هناك كذلك، فساهم مساهمة فعالة في نشاط الحركة الأدبية بها، وذلك

([1]) النباهي، المصدر السابق ، ص 169.

([2]) ابن مريم، المصدر السابق، ص 68–70.

(3) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 129 .

(4) نفسه، ص205، التنسي، **تاريخ بني زيان**، المصدر السابق، 127 .

(5) يحيى بن خلدون، المصدر نفسه، ص 109 .

(6) الحفناوي، المرجع السابق، القسم الثاني، ص 376، عمار هلال، المرجع السابق، ص30، فرحات الشريف المرجع السابق، ص 38 .

من خلال قصائده الكثيرة، لاسيما في وصف موطنه الأصلي تلمسان(1)، فكان بمثابة حلقة الوصل التي تربط المغرب الأوسط بالأندلس، وكذلك لسان الدين بن الخطيب الوزير الغرناطي الذي استعمل في السفارة فصدرت عنه الكثير من الرسائل والقصائد إلى سلاطين وأمراء المغرب الإسلامي كأبي حمو موسى الثاني، وكانت بيه وبين علماء زمانه مثل عبد الرحمان بن خلدون وابن مرزوق الخطيب مراسلات عديدة (2) وقد زار تلمسان أيام المحنة التي تعرض لها بالأندلس وفراره إلى المغرب، فأعجب بها كثيرا، وما تلك الأوصاف التي وصفها بها(قاعدة الملك، واسطة السلك، قلادة النحر حاضرة البر والبحر...) (3)، وما القصائد الكثيرة التي قالها فيها إلا دليل على ذلك الإعجاب، ومما قاله فيها من الشعر:

حيـاًّ تلِمسَـان فرُبــوعُــهــا صَدَفٌ يَجودُ بدُورِها المَكْنونِ
ماشِئتَ من فَضلٍ عَميمٍ إذا سَقـا أروى ومن ليس بالمَمْنُونِ
أو شئتَ من دِينٍ إذا قدحَ الهُدى أو روى ودُنيا لم تَكًن بالدًّونِ
ورَدَ النسيمُ لهــا نشرَ حديقــةٍ قد ازدهَرَتْ أفنانُــها بفُنُــونِ (4)

و العالم ابن مرزوق الخطيب الذي رحل إلى الأندلس ونزل على سلطانها أبي الحجاج يوسف الأول الذي بالغ في إكرامه(5) وعينه خطيبا بجامع غرناطة ومدرسا به ، فأخذ عنه الكثير من طلبة الأندلس و انتفعوا بعلمه كلسان الدين

---

(1) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص86-87، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8 ص 312 ، الحفناوي، المرجع السابق، القسم الثاني، ص385 .

(2) ابن خلدون، **الرحلة**، المصدر السابق، ص ص 99-107، المقري، **نفح الطيب**، المصدر نفسه، ج7 ص 142 .

(3) ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص 85-86 .

(4) المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص 310 .

(5) ابن الخطيب، **كناسة الدكان**، المصدر السابق، ص160 .

ابن الخطيب وأبو عبد الله بن زمرك اللذان بقيا على اتصال بشيخهما حتى بعد مغادرته الأندلس، ويتجلى ذلك من خلال تلك الرسائل الكثيرة المتبادلة بينهم والتي سبق الإشارة إليها [1] .

هذه فئة قليلة من العلماء الذين شاركوا بدور كبير في تمتين العلاقات الثقافية وربط المغرب الأوسط ثقافيا بالأندلس.

(1) ابن الخطيب، **الإحاطة**، المصدر السابق، ج2 ، ص 236-237، المقري، **نفح الطيب**، المصدر السابق، ج8، ص ص93-121 .


الخاتمة

إن العلاقات والروابط الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس بصفة عامة سواء كانت سياسية ، اقتصادية ، ثقافية هي قديمة ، بدأت مع استكمال فتح المسلمين بلاد المغرب الإسلامي، والشروع في فتح بلاد الأندلس، وقد عرفت تلك العلاقات عبر مختلف العهود التي مرّ بها القطرين قوة وضعفا بحسب الظروف والأوضاع السياسية لكل عهد .

وقد عرفت تلك العلاقات أوج ازدهارها في عهد المرابطين ثم الموحدين بسبب الوحدة السياسية التي عرفها القطران تحت سلطة واحدة، ولم تنقطع هذه العلاقات بعد انهيار دولة الموحدين ، وحلول محلها عدة دويلات ، منها دولة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط ، ودولة بني نصر بالأندلس ، هاتان الدولتان اللتان قامت بينهما علاقات متينة في شتى المجالات ، سيما في المجال الثقافي الذي عرف ازدهارا كبيرا في كلا الدولتين بعكس الجوانب الأخرى كالجانب السياسي الذي لم يكن على أحسن ما يرام .

ولقد ساعدت عدة عوامل على تمتين العلاقات الثقافية بين القطرين خلال حكم بني عبد الواد وبني نصر، لعل أبرزها الهجرات الأندلسية المتوالية تجاه المغرب الأوسط، وذلك بعدما اضطر الكثير من الأندلسيين الى ترك مدنهم نتيجة تدهور الأوضاع بالأندلس باتجاه المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، والذي فضله الكثير من الأندلسيين للإقامة به، وذلك نظرا لتلك العلاقات الحسنة التي كانت تربط دولة بني نصر ببني عبد الواد ، وكان ضمن المهاجرين عدد كبير من العلماء و الصناع والحرفيين ممّن كان لهم دورا بارزا في تمتين العلاقات الثقافية بين الدولتين كما كان للعامل الجغرافي أيضا دورا في تلك العلاقات، إذ شجع القرب الجغرافي بين القطرين وسهولة الاتصال بين المغرب والأندلس على انتقال العلماء ومختلف شرائح المجتمع الأخرى بين القطرين انطلاقا من المراسي المشهورة آنذاك كمالقة، ألمرية، وهران، هنين، وغيرها من المراسي الأخرى التي كان لها دورا كبيرا، كما كان للوحدة المذهبية أو سيادة مذهب واحد وهو المذهب المالكي في كل من المغرب الأوسط و الأندلس خلال عهد

دولة بني زيان دورا كبيرا في تمتين العلاقات الثقافية، أو بالأحرى حركة العلماء سواء علماء المغرب الأوسط أو علماء الأندلس، والذين لم يكونوا يلقوا أية صعوبات عند حلولهم بالبلد الآخر نتيجة وحدة المذهب ، وكانوا يعينون في الوظائف الهامة مثل التدريس ، الخطابة الكتابة ، القضاء....

وكان للعلماء دورا كبيرا في مختلف المجالات ، وبخاصة المجال العلمي ولا سيما علماء الأندلس والذين ظهر تأثيرهم بشكل جلي وواضح في المغرب الأوسط وبخاصة في مجال التعليم ، إذ نقلوا طريقتهم الخاصة في ذلك وساهموا بقسط كبير في حركة التعريب بالمغرب الأوسط ، وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى اشتغال أغلبهم بعد حلولهم بالمغرب الأوسط في ميدان التعليم ، كما كان للأندلسيين أيضا تأثيرا واضحا في المجال الفني، سواء الجانب المعماري، بحيث يظهر جليا ذلك التشابه الكبير بين مساجد المغرب الأوسط و الأندلس ، ولم يقتصر ذلك التشابه على المساجد فحسب بل حتى على الدور و القصور و المتنزهات والحدائق...، أو في ميدان الغناء والموسيقى، إذ ساهم موسيقيو الأندلس في تطوير الغناء والموسيقى بالمغرب الأوسط، و خاصة عاصمته تلمسان التي قصدها الكثير من أهل هذا الاختصاص ، والذين اهتموا بنشر فنهم وغنائهم الأندلسي الذي لازال إلى اليوم يحظى بشعبية وإقبال كبيرين ، ولم يقتصر التأثير الأندلسي على هذا فحسب بل تعداه إلى جوانب أخرى في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، إذ نقل الأندلسيون الكثير من عاداتهم و حرفهم ، والتي قلدهم سكان المغرب الأوسط في الكثير منها .

أما علماء المغرب الأوسط فكان لهم هم أيضا دورا كبيرا في تمتين العلاقات الثقافية بين القطرين ، سواء أولئك الذين جابوا مختلف أقطار المغرب الإسلامي واشتغلوا بمختلف عواصمه ومدنه (تونس ــ تلمسان ــ فاس ــ غرناطة...) بالتعليم ، الفتيا ، القضاء...، والذين تخرج على أيديهم جمع غفير من العلماء والأدباء ، وكانوا يتمتعون بمكانة مرموقة سواء عند الخاصة أو عند

العامة ، أو أولئك العلماء الذين بقوا بالمغرب الأوسط وعاصمته تلمسان وكانوا مقصدا للطلبة وترد عليهم الأسئلة من مختلف الأقطار ، وبخاصة من الأندلس.

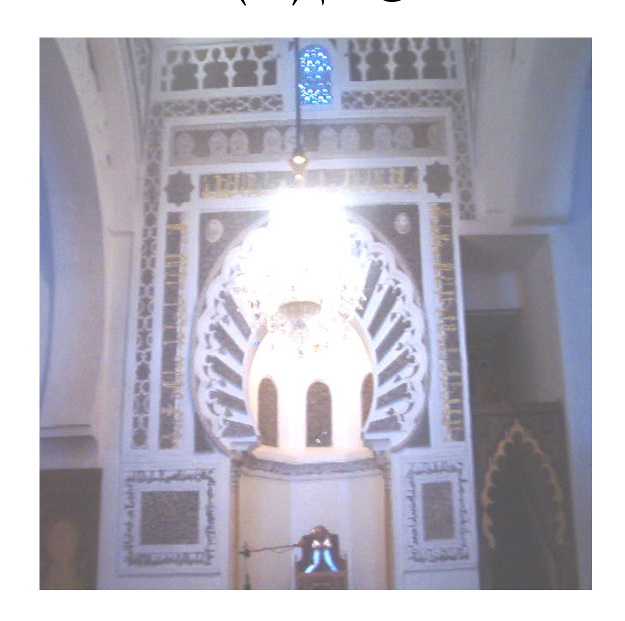
وقد كانت تربط بين هؤلاء العلماء (علماء المغرب الأوسط والأندلس) علاقات طيبة تمثلت بصفة خاصة في المراسلات العلمية وتبادل المصنفات والفتاوى فيما بينهم ، وما تلك الرسائل الكثيرة التي تحتوي عليها الكثير من المصادر إلا دليل على قوة تلك العلاقة.

وعموما ما يمكن استخلاصه من خلال دراسة العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس في عهد دولة بني زيان ، أن تلك العلاقات تكمن وتتمثل بصورة أساسية في حركة العلماء بين القطرين ، والتي كانت لدوافع عديدة لعل أهمها طلب العلم والإجازة من أكابر الشيوخ والمدرسين في القطرين إضافة إلى رحلة الحج التي كان لها دور كبير في التقاء الشيوخ والطلبة سواء بالمغرب الأوسط الذي يقع في طريق الحج بالنسبة للأندلسيين ،أو بمدن المشرق الإسلامي (كمكة ـــ المدينة المنورة ـــ القدس ـــ القاهرة ...) إضافة إلى عوامل أخرى.

وكما سبق الذكر كان لهؤلاء العلماء سواء علماء المغرب الأوسط أو علماء الأندلس أدوارا هامة في شتى المجالات سيما المجال الثقافي، إذ كانوا عبارة عن همزة وصل بين القطرين ، وكان لهم الدور الأوفى في ربطهما ثقافيا مع بعضهما البعض رغم تدهور الأوضاع السياسية.


الملاحق

الملحق رقم (07)



محراب الجامع الكبير بتلمسان



محراب جامع قرطبة

الملحق رقم (08)



مئذنة جامع المنصورة





مئذنة جامع إشبيلية

الملحق رقم (09)



جامع سيدي بومدين



مسجد قصر الحمراء

الملحق رقم(10)

قصيدة للسان الدين بن الخطيب بعثها للسلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني سنة 774هـ/1373م:

وقف الغرام على ثناء لساني رعيا لما أوليت من إحسان
فكأنما شكري لما أوليته شكر الرياض لعارض النسيان
أنا شيعة لك حيث كنت قضية لم يختلف في حكمها نفسان
ولقد تشاجرت الرماح فكنت في ميدان نهرك فارس الفرسان
ورويت عزّ مآثر استندتها لعلاك بين صحائح وحسان
ولأنت أولى بالتشيع شيمة لم تتفق لسواك من إنسان
الشمس أنت قد انفردت وهل يرى بين الورى في مطلع شمسان
جبرت بجبرك كل نفس حرة وشدا بشكر الله كل لسان
وبدت سعودك مستقيما يسرها وعلت ففرّ أمامها النحسان
فاستقبل السعد المعاود سافرا عن أي وجه للرضا حسّان
وابغ المزيد بشكر ربك ولتثق بمضاعف الإنعام والإحسان
فالشكر يقتاد المزيد ركائبنا تنتاب بابك منه في أرسان
ثم السلام عليك يزري عرفه طيبا بعرف العود والبلسان
بحق ما بيننا يا ساكني القصبة ردوا عليّ حياتي فهي مغتصبة
ماذا جنيتم على قلبي بينكم وأنتم الأهل والأحباب والعصبة[1]

([1]) المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج8، ص ص192-193.

الملحق رقم (11)

رسالة من لسان الدين بن الخطيب إلى أبي حمو موسى الثاني بعدما أحس بتغير سلطانه عليه، وقد بدأ الرسالة بقصيدة جاء فيها:

قل للزمان إليك عن متذمم بضمان عز لم يكن ليخيسا
فإذا استحر جلاده فأنا الذي اس تغشيت من سرد اليقين لبوسا
وإذا طغى فرعونه فأنا الذي من ضره وأذاه عذت بموسى
أنا ذا أبو مثواه من يحمي الحمى ليثا ويعلم بالزئير الخيسا
بحمى أبي حمو حططت ركائبي لما اختبرت الليث والعريسا
بدر الهدى يأبى الضلال ضياؤه أبدا فيجلوا الظلمة الحنديسا
جبل الوقار رسا وأشرف واعتلى وسما بأيدي الحالبين بسوسا
تلقاه يوم الأنس روضا ناعما وتراه بأسا في الهياج بئيسا
......
أنت الذي أمددت ثغر الله بالص دقات تلبس كرّة إبليـــسا
وأعنت أندلسا بكل سبيكة موسومة لا تعرف التدنيـــسا
وشحنته بالبر في سبيل الرضا والبر قارب قاعها القاموســـا

والقصيدة طويلة جدا، وقد أتبعها بنثر بديع جاء فيه:

" هذه القصيدة نفثة من باح بسر هواه، ولبى دعوة الشوق العابث بلبه وقد ظفر بمن يهدي خبر حواه إلى محل هواه، ويختلس بعث تحيته إلى مثير أريحته، وهي بالنسبة إلى ما يعتقد من ذلك الكمال، الشاذ عن الآمال، عنوان من كتاب، وذواق من أوقار ذات أقتاب، وإلا فمن يقوم بحق تلك المثابة لسانه، أو يكافئ إحسانها إحسانه، أو يستقل بوصفها يراعه، أو تنهض بأيسر وظيفها ذراعه؟ ولا مكابرة بعد الاعتراف والبحر لا ينفذ بالاغتراف، لا سيما وذاتكم اليوم والله يبقيها، ومن المكاره يقيها، وفي معارج القرب من حضرة القدس يرقيها..." (1)

(1) المقري، نفح الطيب، المصدر السلبق،ج7، ص ص 299-307.

الملحق رقم (12)

مدح أبو عبد الله بن زمرك لكتاب الشفا بعدما طلب منه ذلك الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق حين شرع في شرحه:

ومسرى ركاب للونى قد ونت به نجائب سحب للتراب نزوعها
تسل سيوف البرق أيدي حداتها فتنهل خوفا من سطاها دموعها
تعرضن غربا يبتغين معرسا فقلت لهـا مراكـش وربوعها
لتسقي أجداثا بها وضرائحا عياض إلى يوم المعاد ضجيعها
وأجدر من تبكي عليه يراعة بصفحة طرد و المداد نجيعها
فكم من يد في الدين قد سلفت له يرضّي رسول الله عنه صنيعها
ولا مثل تعريف الشفا بحقوقه قد بان فيه للعقول جميعـها
بمرآة حسن قد جلتها يد النهى فأوصافه يلتاح فيه بديعهـا
نجوم اهتداء والمداد يجنها وأسرار غيب و اليراع يذيعها
لقد حزت فضلا يا أبا الفضل شاملا فيجزيك عن نصح البرايا شفيعهـا
ولله ممن قد تصدى لشرحه فلباه من غر المعاني مطيعها
فكم مجمل فصلت منه وحكمة إذا كتم الإدماج منه تشيعها
محاسن والإحسان يبدو خلالها كما افتر عن زهر البطاح ربيعها
إذا ما أجلت العين فيها تخالها نجوما بآفاق الطروس طلوعها
معانيه كالماء الزلال الذي صرى وألفاظه در يروي نصيعها
رياض سقاها الفكر صوب ذكائه فأخصب للوراد منها مريعها
ألا يابن جار الله يابن وليه لأنت إذا عد الكرام رفيعها
إذا ما أصول المرء طابت أرومة فلا عجب إن أشبهتها فروعها
بقيت لأعلام الزمان تنيلها هدى ولأحداث الخطوب تروعها [1]

([1]) ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج2، ص ص236-237 .

الملحق رقم (13)

رسالة من لسان الدين بن الخطيب إلى شيخه ابن مرزوق الخطيب:

ولما أن نأت منكم ديـــــــــار وحال البعد بينكم وبينـــــي

بعثت لكم سوادا في بيـــــــاض لأنظركم بشيء مثل عينـــي

" بم أفاتحك يا سيدي وأجل عددي ؟ كيف أهدي سلاما،فلا أحذر ملاما ؟ أو أنتخب لك كلاما فلا أجد لتبعه التقصير في حقك الكبير إيلاما ؟ إن قلت:تحية كسرى في الثناء وتبع،فكلمة في مربع العجمة تربع،ولها المصيف فيه والمربع،والجميم والمنبع،فتروي متى شاءت وتشبع،وإن قلت:إذا العارض خطر، ومهما همى أو قطر،سلام الله يا مطر فهو في الشريعة بطر،وكبه خطر،ولا يرعى به وطن ولا يقضى به وطر،وإنما العرق الأوشج،ولا يستوي البان والبنفسج والعوسج والعرفج.

سلام وتسليم وروح ورحمة عليك وممدود من الظل سجسج،وما كان فضلك ليمنعني الكفر أن أشكره،ولا لينسيني الشيطان أن أذكره،فأتخذ في البحر سببا، أو أسلك غير الوفاء مذهبا،تأبى ذلك ــ والمنة لله تعالى ــ طباع، لها في مجال الرعي باع،وتحقيق وإشباع وسوائم من الإنصاف ترعى في رياض الاعتراف ، فلا يطرقها إرتياع،ولا تخيفها سباع،وكيف نجحد تلك الحقوق وهي شمس ظهيرة،وآذان عقيرة جهيرة،فوق مئذنة شهيرة،آدت الأكتاد لها ديون تستغرق الذمم،وتسترق حتى الرمم،فإن قضيت في الحياة فهي الخطة التي نرتضيها،ولا نقنع من عامل الدهر المساعد إلا أن ينفذ مراسمها ويمضيها،وإن قطع الأجل فالغني الحميد ــ من خزائنه التي لا تبيد ــ يقضيها ويرضي من يقتضيها،وحيا الله أيها العلم السامي الجلال،زمنا بمعرفتك البرة على الآمال، برا وأتحف،إن أساء بفراقك وأجحف،أعرى بعدما ألحف، وأظفر باليتيمة المذخورة للشدائد والمزائن، ثم أوحش منها أضونة هذه الخزائن فآب حنين الأمل بخفيه،وأصبح المغرب غريبا يقلب كفيه،ونستغفر الله تعالى من هذه الغفلات، ونستهديه دليلا في مثل هذه الفلوات، وأي ذنب في الفراق للزمن،أو لعراب الدمن،أو للرواحل المدلجة مابين الشام إلى اليمن،ومامنها إلا عبد مقهور، وفي رمة القدر مبهور، عقد

والحمد لله مشهور، وحجة لها على النفس اللوامة ظهور، جعلنا الله ممن ذكر المسبب في الأسباب وتذكر:﴿ **وما يذّكر إلاّ أولوا الألباب** ﴾ **(سورة البقرة الآية269)** قبل غلق الرّهن وسد الباب،وبالجملة فالفراق ذاتي ووعده مأتي،فإن لم يكن فكأن قد،ما أقرب اليوم من الغذ، والمرء من اوجود غريب،وكل آت قريب،وما من مقام إلا لزيّال من غبر احتيال، والأعمار مراحل والأيام أميال:

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال

جعل الله تعالى الادب مع الحق شأننا،وأبعد عن الفراق الذي شاننا،وإني لأسر لسيدي بأن رعى الله تعالى صالح سلفه،وتداركه بالتلاقي في تلفه،وخلص سعادته من كلفه،وأحله من الأمن في كنفه،وعلى قدرها تصاب العلياء،وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء هذا والخير والشر في هذه الدار المؤسسة على الأكدار، ظلاّن مضمحلان فإذا ارتفع ما ضرّ او نفع أو فارق المكان، فكأنما ما كان، ومن كلمات المملوك البعيد عن السلوك إلى أن يشاء ملك الملوك:

خذ من زمانك ما تيسّر واترك بجهدك ما تعسّر

ولربّ مجمل حالة ترضى به مالم يفسر

والدهر ليس بدائم لا بدّ أن سيسوء إن سرّ[1] .

([1]) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب،المصدر السابق، ص ص 144–147، المقري، نفح الطيب، المصدر السابق ج8، ص ص120–122 .

الملحق رقم (14)

من مظاهر العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس في عهد دولة بني زيان تأثر الأدباء الزيانيين بنظرائهم الأندلسيين،ومثال ذلك القصيدة التي كتبها يحيى بن خلدون بمناسبة المولد النبوي الشريف لعام 778هـ والتي حذا فيها حذو لسان الدين ابن الخطيب:

قصيدة لسان الدين بن الخطيب:

ما على القلب بعدكم من جناح — أن يرى طائرا بغير جناح
وعلى الشوق أن يشيب إذا هـــ — بّ بأنفاسكم نسيم الصباح
جيرة الحي والحديث شجون — والليالي تلين بعد الجماح
أترون السُّلُوّ خامر قلبي — عدكم؟ولا فـــــاق الإصباح
ولو أني أعطي اقتراحي على ال — أيام ما كان بُعدكم بإقتراحي
ضايقتني فيكم صروف الليالي — واستدارت علي دور الوشاح
وسقتني كأس الفراق دهافا — في إغتباق مواصل واصطباح
واستباحت من جدثي وفتائي — حرما لم أخله بالمستباح

قصيدة يحيى بن خلدون:

ما على الصبّ في الهوى من جناح — أن يرى خلف عبرة وافتضاح
وإذا ما المحب عيل اصطبارا — كيف يصغي إلى نصيحه لاح
يا رعى الله بالمحصّب ربعا — آذنت عهده النوى بانتزاح
كم أدركنا كأس الهوى فيه مزجا — ربّ جد من الجوى في المزاح
هل إلى رسمه المحيل سبيل — يا جداة المطيّ تلك الطلاح
نسأل الدار بالخليط ونسقي — ذلك الربع بالدموع السفاح
أي شجو عاينت بعد نواها — من أسى لازم وصبر مزاح
أهل ودي إن رابكم برح وجدي — من صبا بارق وبرق لباح
فاسألوا البرق عن خفوق فؤادي — والصبا عن سقام جسمي المناح (1)

---

(1) المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج8، ص ص 200-201 .

الملحق رقم (15)

رسالة من السلطان النصري محمد الخامس الغني بالله إلى السلطان المريني أبي عنان في شأن الشفاعة للفقيه محمد بن أبي بكر التلمسان (المقري الجد):

"...إننا خاطبنا مقامكم الكريم في شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح أبي عبد الله المقري ــ خار الله تعالى لنا وله ــ وبلغ الجميع من فضله العميم أمله،جوابا عما صدر عن مثابتكم فيه من الإشارة الممتثلة،والمآرب المعملة،والقضايا غير المهملة،صادرتكم بالشفاعة التي مثلها لأبويكم لا يرد،وضمآها على نهر قبولكم لا تحلا (لا تمنع عن الماء) ولا تصد،حسبما سنة الأب الكريم والجد،والقبيل الذي وضح منه في المكارم الرسم والحد،ولم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيلة،وتبلج صبح الزهادة والفضيلة،وجود النفس الشحيحة بالعرض الأدنى البخيلة،وظهر تخليه عن هذه الدار واختلاطه باللفيف والغمار،وإقباله على ما يعني من مثله من صلة الأوراد ومداومة الاستغفار،وكنا لما تعرفنا إقامته بمالقة لهذا الغرض الذي شهره،والفضل الذي أبرزه للعيان وأظهره،أمرنا ان يعتنى بأحواله ويعان على فراغ باله،ويجري عليه سيب من ديوان الأعشار وصريح ماله،وقلنا ما أتاك من غير مسألة مستند صحيح لاستدلاله ففر من مالقة على ما تعرفنا لهذا السبب،وقعد بحضرتنا(غرناطة)مستور المنتقى والمنتسب،وسكن بالمدرسة بعض الأماكن المعدة لسكنى المتسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب،بحيث لم يتعرف وروده ووصوله إلا من لا يُؤبه بتعريفه،ولم تتحقق زوائده،أصوله لقلة تصريفه، ثم تلاحق إرسالكم الجلة فوجبت حينئذ الشفاعة...، فوفوا غرضنا من مجدكم،وخلوا بينه وبين مراده من ترك الأسباب،وقصد غافر الذنب قابل التوب بإخلاص المتاب...،وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهتكم بها،ولولا الأعذار لكان في هذا الغرض أعمال الركاب يسبق أعمال الكتاب.[1]

([1]) ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص ص 199-204 .

الببليوغرافيا

*** بالعربية:**

-1- المصادر:

- ابن الأبّار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر البلنسي)، كان حيّا سنة 894هـ / 1489م، **التكملة لكتاب الصلة**،تعليق ألفريد بل،إبن أبي شنب،المطبعة الشرقية ، الجزائر ، 1338هـ/1920م .
- (ـــــــــ،ـــــــــ)، **ديوان ابن الابّار**،قراءة وتعليق عبد السلام الهراس، ط2 الدار التونسية، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1986.
- ابن أبي دينار(أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني)، ت1110 هـ /1698م، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس** ، ط2 ، دار المسيرة،لبنان،مؤسسة سعيدان ، تونس 1993.
- ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي)، ت726 هـ /1326م،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، مطبعة دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
- ابن الأثير(عز الدين الجرزي)، **الكامل في التاريخ**، ج3،ج4،ط4، دار الكتاب العربي بيروت ،1983.
- ابن الأحمر(أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الخزرجي)، ت807 هـ /1404م **روضة النسرين في دولة بني مرين**، مطبوعات القصر الملكي،الرباط، 1962.
- (ـــــــــ،ـــــــــ)، **مشاهير الشعراء والكتاب في المشرق والمغرب(نثر فوائد الجمان في نظم فحول الزمان)**، تحقيق محمدرضوان الداية،عالم الكتب، بيروت 1980.
- (ـــــــــ،ـــــــــ)، **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصورة للطباعة والوراقة الرباط، 1972.
- (ـــــــــ،ـــــــــ)، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بور سعيد، 2001.

- ابن بسام(أبوالحسن علي بن بسام الشنتريني)، ت542هـ/1147م، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، القسم الأوّل، تحقيق إحسان عباس،الدار العربية للكتاب،ليبيا– تونس، 1981 .
- ابن بطوطة(محمد بن عبد الله اللواتي)، ت 770 هـ /1368م، **تحفة النظار وعجائب الأسفار**، تحقيق عبد المنعم العريان، مصطفى القصّاص،ج2، دار إحياء العلوم بيروت، 1996 .
- ابن حبيب عبد الملك الألبيري، ت 238 هـ /853م، **العلاج بالأغذية الطبيعية في بلاد المغرب**، تحقيق محمد أمين ضنّاوي،دار الكتب العلمية، بيروت، (دت).
- ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق محمد سيد جاد الحق،ج5،ط2،دار الكنب الحديثة، مصر، 1966.
- ابن حزم (أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد)، ت 456هـ/1064م، **جمهرة أنساب العرب**،تحقيق عبد السلام محمّد هارون، طبع دار المعارف، مصر، 1962.
- ابن حوقل، ت367هـ/977م، **صورة الأرض**،ج1 ، دار صادر، بيروت، 1928.
- ابن حيّان(أبو مروان بن حيان التوحيدي)، ت469 هـ /1077م، **المقتبس في أخبار** بلد **الأندلس**، تحقيق عبد الرحمان علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965.
- ابن خاقان(أبو نصر الفتح)، **تاريخ الوزراء والكتّاب والشعراء في الأندلس المعروف بمطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**،تحقيق مديحة الشرقاوي،ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد،2001.
- ابن الخطيب(لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني)، ت776 هـ/1374م **الإحاطة في أخبار غرناطة**،ط1، مطبعة الموسوعات،مصر، 1901 .
- (ـــــــ،ـــــــ)، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**،ط2، دار الآفاق الجديدة بيروت، 1980.
- (ـــــــ،ـــــــ)، **كناسة الدّكان بعد انتقال السّكان**، تحقيق محمّد كمال شبانة ط1،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2003.

- (ــــــــــ،ــــــــــ)، **أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجرّ عن ذلك من شجون الكلام**،القسم الثاني ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2006.
- (ــــــــــ،ــــــــــ)، **أعمال الأعلام**،القسم الثالث،تحقيق أحمد مختار العبادي محمّد إبراهيم الكتّاني، دار الكتاب،الدار البيضاء،1964.
- (ــــــــــ،ــــــــــ)، **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، تحقيق محمد عبد الله عنان ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981.
- (ــــــــــ،ــــــــــ)، **الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1963.
- (ــــــــــ،ــــــــــ)، **معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
- (ــــــــــ،ــــــــــ)، **شرح رقم الحلل في نظم الدول**، تحقيق عدنان درويش منشورات دار الثقافة، دمشق، 1970.
- (ــــــــــ،ــــــــــ)، **نفاضة الجراب في علالة الإغتراب**، نشر وتحقيق أحمد مختار العبادي، القاهرة، 1967.
- (ــــــــــ،ــــــــــ)، **مثلى الطريقة في ذم الوثيقة**، تحقيق عبد المجيد التركي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1983.
- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد)، ت808هــ /1405م، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج4،ج6،ج7، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003.
- (ــــــــــ،ــــــــــ)، **رحلة ابن خلدون**، تحقيق محمّد تاويت الطنجي،ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت،2004.
- (ــــــــــ،ــــــــــ)، **المقدمة**، دار الجيل، بيروت، (د ت).
- ابن خلدون يحيى(أبو زكريا يحيى بن محمد)، ت780هــ/1378م، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**،تحقيق عبد الحميد حاجيات،ج1، المكتبة الوطنية للنشر الجزائر، 1980.

- (ــــــــــــ،ــــــــــــ)، **بغية الرواد**،ج2، نشر الفريد بل، مكتبة فانتانا،الجزائر 1903 -1910.
- ابن خلّكان(أبو العباس أحمد إبراهيم)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**،ج1،ج2 ويليه **فوات الوفيات للكتبي**، وبهامشه **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية** ويليه **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**، المطبعة الميمنية، مصر، 1310.
- ابن زكري(أبو العباس أحمد بن زكري التلمساني)، ت900هــ/1495م، **غاية المرام في شرح مقدمة الإمام**، تحقيق محند أو إدير مشنان، المجلد الأوّل،ط1، دار التراث دار ابن حزم، الجزائر، 2005.
- ابن سحنون محمّد، **كتاب آداب المعلمين**، تحقيق محمّد عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج7 ، دار صادر، بيروت، 1958.
- ابن سعيد الغرناطي(نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد)، ت685 هــ / 1286م، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق إسماعيل العربي،ط2، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982.
- (ــــــــــــ،ــــــــــــ)، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق خليل منصور ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 .
- ابن الشماع(أبو عبد الله محمد بن أحمد)، **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق الطاهر محمد المعموري، الدار العربة للكتاب، تونس،1984.
- ابن صعد الأنصاري التلمساني، **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تحقيق يحيى بوعزيز، منشورات ANEP، الجزائر، 2002.
- ابن عاشر عبد الواحد، **المرشد المعين على الضروري من علوم الدين**، نشره الشاذلي النيفر، منشورات الشروق، باتنة، 1996.
- ابن عباد الرندي، **الرسائل الصغرى**، تحقيق بولس نويا اليسوعي، دار المشرق بيروت 1986 .
- ابن عبد الحكم(عبد الرحمان بن عبد الله)، فتوح مصر والمغرب، نشره عبد المنعم عامر، القاهرة، 1961 .

- ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد)، ت 703هـ /1303م **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت، 1965.
- ابن فرحون المدني (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمّد بن فرحون)، ت799 هـ / 1403م، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**،ط1، مطبعة الفحامين، مصر 1351.
- ابن القاضي(أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي)، **درر الحجال في أسماء الرجال**،ج1، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، المكتبة العتيقة، القاهرة، تونس، 1970.
- ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني)، ت 810هـ /1407م، **الوفيات**، جمع وتعليق هنري بيرس، المطبعة الثعالبية، الجزائر، (د ت).
- (ـــــــ،ـــــــ)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسيةللنشر، 1948.
- (ـــــــ،ـــــــ)، **أنس الفقير وعز الحقير**،اعتنى بشرحه وتصحيحه محمد الفاسي، أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس،1965.
- ابن القوطية(أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز)، ت327هـ/977م، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989.
- ابن كثير الدمشقي، ت774هـ/1372م، **البداية والنهاية**،ج14،ط6، مكتبة المعاريف بيروت، 1985.
- ابن مخلوف (محمد بن محمد)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1949.
- ابن مرزوق محمّد التلمساني، ت 781هـ/1379م، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**،دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.
- ابن الملقن سراج الدين، ت 804 هـ /1404م، **طبقات الأولياء**، ط1، تحقيق نور الدين شريبة، مطبعة دار التأليف، القاهرة ، 1973.

- ابن مريم الشريف (أبو عبد الله محمّد بن محمّد)، من أهل القرن العاشر الهجري **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، نشره عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
- ابن النجار(محمد بن محمود)، ت647 هـ / 1248م، **الذرّة الثمينة في أخبار المدينة**، ج2 دار إحياء الكتب العربي، مكّة، 1956.
- ابن هشام الأنصاري، ت 761 هـ / 1360م، **شرح قطر الندى وبل الصدى** تحقيق ح الفاخوري، وفاء الباني، ط1، دار الجيل، بيروت، 1988.
- أبو بحر بن إدريس المرسي، **زاد المسافر وغرّة محيا الأدب السافر**، تحقيق عبد القادر محداد، بيروت، 1939.
- أبو حامد الأندلسي (محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن أبي الربيع المازني)،ولد 473هـ /1081م، **تحفة الألباب ونخبة الإعجاب**، تحقيق إسماعيل العربي المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- أبو العرب(محمد بن أحمد تميم التميمي)، **طبقات علماء إفريقية**، دار الكتاب اللبناني بيروت، (د ت) .
- أبو الفضل(عياض بن موسى بن عياض اليحصبي)، ت 544 هـ /1149م، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**،ج1، مطبعة مصطفى محمّد، مصر، (د ت) .
- أبو مدين(شعيب بن الحسن الأندلسي)، ت594هـ/1197م، **الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1974.
- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الشريف)، ت560هـ/1165م، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 .
- البكري(أبو عبيد الله بن عبد العزيز)، ت 478 هـ / 1113م، **المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، نشر دوسلان، باريس، 1965 .
- البلوي(خالد بن عيسى)، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**،ج1، تحقيق الحسن السايح، مطبعة فضالىن المغرب، (د ت).

- البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي)،**أخبار المهدي بن تومرت**، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974 .
- التنبكتي (أبو العباس أحمد بن أحمد)، ت 1036 هـ / 1624م، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، هامش على ديباج ابن فرحون،ط1، مطبعة الفحامين، مصر 1351.
- التنسي (أبو عبد الله بن عبد الجليل)، ت 889 هـ/1494م، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، مقتطف من نظم الدر والعقبان، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 .
- (ـــــــــ،ـــــــــ)، **تاريخ دولة الأدارسة**، تحقيق عبد الحميد حاجيات المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 .
- (ـــــــــ،ـــــــــ)، **نظم الدر**، القسم الأدبي، تحقيق محي الدين طالب منشورات دحلب، الجزائر، (د ت) .
- الجراعي تقي الدين، **تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد**، تحقيق طه الولي المكتب الإسلامي، بيروت، 1981 .
- الحموي ياقوت(شهاب الدين أحمد أبو عبد الله محمد)، ت 626هـ/1228م، **معجم البلدان**،ج1، دار صادر، بيروت، (د ت) .
- الحميري(محمد بن عبد المنعم)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس،مكتبة لبنان، بيروت، 1975.
- الدردير أحمد، **الشرح الصغير على مختصره المسمى أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك**،ج1، مؤسسة المنشورات الإسلامية، الجزائر، 1992 .
- الذهبي(شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان)، ت 748 هـ /1347م، **سير أعلام النبلاء وهامشه أحكام الرجال في ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ، تقديم حسين العفاني تحقيق خزي سعيد،ج16،ج17، المكتبة التوفيقية،القاهرة، (دت).
- الراشدي(أحمد بن سحنون)، **الثغر الجمّاني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق المهدي بوعبدلي ، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر (دت).

- الرقيق القيرواني ، **تاريخ إفريقيا والمغرب** ، تحقيق المنجي الكعبي ، نشر رفيق السقطي ، تونس ،1968.
- الزيّاني (محمّد بن يوسف)، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران،** تقديم وتعليق المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر .1979
- السخاوي(شمس الدين محمد بن عبد الرحمان)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،** المجلد الثالث و الرابع، منشورات دار الحياة ،بيروت، (د ت) .
- السيوطي جلال الدين، **نظم العقيان في أعيان الأعيان،** تحقيق فيليب حتي المطبعة السورية الأمريكية في نيويورك ، 1927 .
- (ـــــــ،ـــــــ)، **طبقات الحفّاظ،** ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.
- الشوكاني(محمّد بن علي)، ت 1250 هـ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السّابع، ج8 ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1348 هـ .
- صاعد الأندلسي (أبو القاسم)، ت 462 هـ / 1070م، **طبقات الأمم** ، تحقيق حياة بوعلوان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1985 .
- الصّبان محمّد علي، **حاشية العلاّمة الصّبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك في النحو والصرف** ،المكتبة الأزهرية ، مصر، 1343 هـ .
- الصاوي (أحمد محمّد المالكي) ، **حاشية العلاّمة الصّاوي على تفسير الجلالين** ، ج1 مطبعة محمّد مصطفى ، مصر ، 1934 .
- الضبي(يحيى بن أحمد بن عميرة)، ت599هـ/1202م، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس،** تحقيق روحية عبد الرحمان السويفي، ط1، دارالكتب العلمية بيروت ،199 .
- الغبريني(أبو العباس أحمد بن أحمد)، ت701 هـ /1304م، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** ، تحقيق رابح بونار المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 .

- الغزّال (أحمد بن مهدي) ، ت1191هـ/1777م ، **نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد (رحلة الغزّال وسفارته إلى الأندلس)** ، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 .
- القرطبي (أبو عبد الله بن فرج)، **الجامع لأحكام القرآن** ، المجلد الأول ، ط4، مكتبة رحاب ، الجزائر، 1980 .
- القزويني (زكريا بن محمّد بن محمود)، ت 525 هـ /1131م ، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر ، بيروت ،(د ت) .
- القفطي جمال الدين(أبو الحسن علي بن يوسف)،ت664هـ/1265م،**أنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم،ج4،ط1، دار الفكر العربي القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، 1986 .
- القلصادي (أبو الحسن علي بن محمّد بن محمّد القرشي الأندلسي)،ت891 هـ /1486م، **تمهيد الطالب ومنتهى الراغب في أعلى المنازل، المعروفة برحلة القلصادي** ، تحقيق محمد أبو الأجفال ،الشركة التونسية للتوزيع،تونس،1978.
- القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج5 ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1915 .
- الكتبي(محمّد بن شاكر بن أحمد)،ت764هـ/1363م، **فوات الوفيات**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1951.
- المازوني (أبو زكريا يحي المغيلي)،**الدرر المكنونة في نوازل مازونة**،تحقيق حسّاني مختار ،ج1، نشر مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر،2004 .
- مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها** ، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- (ــــــــــ،ــــــــــ)، **غزوات عروج وخير الدين**، تعليق نور الدين عبد القادر المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934.
- المراكشي (محي الدين عبد الواحد)، ت647هـ/1250م ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،ط1، شرحه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت .2006

- المغني (إبراهيم بن محمد)، **دليل الحيران على مورد الظمآن في فن الرسم والضبط باعتبار قراءة الإمام نافع لمحمّد الشريسي الخراز**، دار الكتب، الجزائر، (دت).
- المغيلي(محمد بن عبد الكريم)، ت909 هـ /1404م، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تحقيق رابح بو نار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.
- المقدسي(شمس الدين أبو عبد الله)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**،ط2، دار صادر، بيروت، 1909.
- المقّري(شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني)، ت1041هـ/1631م، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**،10 أجزاء تحقيق محمّد البقاعي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998.
- (ـــــــــ،ـــــــــ)، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**،ج1، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، القاهرة،(دت).
- المقريزي (تقي الدين)، **الاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، (الخطط المقريزية)،ج2 مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، 1987.
- (ـــــــــ،ـــــــــ)، **المقفى الكبير**، (تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية) تحقيق محمّد اليعلاوي،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1987.
- الناصر(أبو راس محمّد بن أحمد)، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تقديم وتحقيق محمّد غالم،ج1، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية crase وهران، (دت) .
- الناصري (أبو العباس خالد السلاوي)، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** تحقيق وتعليق جعفر الناصري، محمّد الناصري،ج3، دار الكتاب،الدار البيضاء 1954.
- النباهي(أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن)، ولد 713 هـ / 1313م، **تاريخ قضاة الأندلس(المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا)**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ط5، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، 1983.

- النويري (شهاب الدين)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**،ج28، تحقيق محمد محمد أمين، محمد حلمي،محمد أمين،مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1992.
- الورداني (علي بن سالم)، **الرحلة الأندلسية**، تحقيق عبد الجبّار الشريف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
- الوزّان(حسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي)،ت956 هـ /1549م **وصف إفريقيا**، ج2،ط2، ترجمة محمّد حجي،محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1983.
- الونشريسي(أبو العباس أحمد بن يحي)، ت 914 هـ /1511م، **المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، أخرجه محمد حاجي وآخرون، ج11،ج12، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
- **(ـــــــــــ،ـــــــــــ)، أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر**، تحقيق محمد بن عبد الكريم (حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- اليعقوبي إسحاق(أحمد بن أبي يعقوب بن واضح)، ت274هـ/888م، **البلدان** تحقيق محمّد أمين ضنّاوي ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002 .

2. المراجع:

- أبو مصطفى كمال السيد، **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، 2006 .
- **(ـــــــــــ،ـــــــــــ)، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب الإسكندرية، 1997 .
- أحمد موسى عز الدين، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**،ط1، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1983 .
- أرسلان شكيب، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، المجلد الأول، دار مكتبة الحياة، بيروت، (دت) .

- (ــــــــــ،ـــــــــ)، **خلاصة تاريخ الأندلس**، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، 1983.
- أمين أحمد، **ضحى الإسلام**،ج3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (دت) .
- (ــــــــــ،ـــــــــ)، **ظهر الإسلام**،ج3، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، (دت)
- البتنوني محمّد لبيب، **رحلة الأندلس**، دار المصري للطباعة، مصر، 1998 .
- بروفنسال ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، (دت).
- بشتاوي عادل سعيد، **الأندلسيون الموراكة**، المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة 1983.
- بلعربي خالد، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان**، ط1، مطبعة تلمسان، 2005.
- بن عميرة محمد، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- بوعياد محمود، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974.
- الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائرالعام**،ج1،ط1، المطبعة العربية، الجزائر 1953
- (ــــــــــ،ـــــــــ)، **تاريخ المدن الثلاث الجزائر،المدية،مليانة**، الجزائر 1972.
- حاجيات عبد الحميد، **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**، الشركة لوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974 .
- (ــــــــــ،ـــــــــ) وآخرون، **الجزائر في التاريخ**،ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984.
- حجاجي حمدان، **حياة وآثار ابن زمرك شاعر الحمراء**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (دت).

- حارش محمّد الهادي، **التاريخ المغاربي القديم**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (دت)
- الحفناوي أبو القاسم محمّد، **تعريف الخلف برجال السلف**، القسم الأوّل والثاني مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، تونس، 1985.
- حنفي عبد المنعم، **معجم مصطلحات الصوفية**،ط1، دار المسيرة، بيروت، 1980.
- خليفة حاجي، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، إسطنبول، 1941 .
- خليفة حامد محمد، **انتصارات يوسف بن تاشفين**،مكتبة الصحافة،الشارقة،2004.
- الدراجي بوزيان، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1993.
- سالم عبد العزيز،**المغرب الكبير**،ج2، دار النهضة العربية،بيروت،1981.
- **(ـــــــــ،ـــــــــ)، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**،ج2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1982.
- **(ـــــــــ،ـــــــــ)، تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس** ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،1969.
- **(ـــــــــ،ـــــــــ)، المساجد والقصور في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، 1986.
- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر**، ج1،ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1980.
- سعدون نصر الله، **تاريخ العرب السياسي في الأندلس**، دار النهضة العربية 1998.
- سعيد عيسى فوزي، **دراسات في أدب المغرب والأندلس**، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2000 .
- السيد محمود، **تاريخ العرب في بلاد الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2000 .
- شاوش محمّد بن رمضان، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

- (ــــــــ،ــــــــ)، حمدان الغوتي، **إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر**،ج4،ط1، طبع وإشهار داود بريكسي، تلمسان، 2001.
- شريفي محمّد سعيد ، **خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع الهجري إلى القرن العاشر الهجري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.
- الشطشاط علي حسن، **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.
- الصلابي علي محمد ، **فقه التمكين عن دولة المرابطين** ، ط1 ، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة،القاهرة،2006.
- (ــــــــ،ــــــــ)، **إعلام أهل العلم والدّين بأحوال دولة الموحدين**، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2003.
- الطمار محمد عمرو، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
- (ــــــــ،ــــــــ)، **تلمسان عبر العصور**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.
- الطوخي أحمد أمين، **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.
- عبود عثمان، **المهذب في مصطلح الحديث**، القسم الثاني، مطبعة وزارة الشؤون الدينية الجزائر، 1992.
- عنان عبد الله، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**،ط2، مطبعة المدني القاهرة ، 1997.
- عناني محمد زكريا ، **ديوان الموشحات الأندلسية** ، ط2 ، دار المعارف الجامعية الإسكندرية ،(دت).
- غارودي روجي، **الإسلام في الغرب**، ترجمة ذوقان قرقوط، ط1، دار دمشق للطباعة والنشر،1995.

- الغنيمي أبو الوفا،**مدخل إلى التصوف الإسلامي** ، ط3 ، دار الثقافة للنشر و التوزيع القاهرة ،(دت).
- فرحات يوسف،عبيد يوسف ، **معجم الحضارة الأندلسية** ، دار الفكر العربي، بيروت 2000.
- فروخ عمر، **تاريخ الأدب العربي**،ج6،(الأدب في المغرب والأندلس من أوائل القرن السابع الهجري إلى أوائل القرن العاشر الهجري)، دار العلم للملايين بيروت،1967.
- فيلالي عبد العزيز، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982.
- (ـــــــــ،ـــــــــ)، **تلمسان في العهد الزياني**،ج1،ج2،موفم للنشر والتوزيع الجزائر، 2002.
- قسوم عبد الرزاق، **عبد الرحمان الثعالبي والتصوف** ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1978.
- كحيلة رضا،**المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب**، جامعة القاهرة،1997.
- لقبال موسى، **المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.
- مؤنس حسين، **المغرب والأندلس**، مكتبة الأسرة، مصر، 2003.

محمد بن عبد الكريم، **المقّري وكتابه نفح الطيب**، دار مكتبة الحياة، بيروت، (دت).

- مورينيو مانويل جوميث، **الفن الإسلامي في إسبانيا**، ترجمة لطفي البديع،عبد العزيز سالم ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (دت).
- ميسوم عبد الإله، **تأثير الموشحات في التروبادور**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981.
- الميلي مبارك بن محمد، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**،ج2،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دت).
- نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر**،ط1، المكتب النهار للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ،1971.

- هلال عمّار ، **العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية فيما بين القرنين** التاسع **والعشرين الميلاديين(3-14 هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995.
- هونكة زيغريد، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ط2، منشورات المكتب التجاري بيروت، 1969.
- واشنطون إيرفينج، **سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية في الأندلس**، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

-3-الرسائل الجامعية:

- بلحسن إبراهيم، **العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7إلى10 هـ /13إلى16م** ، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة تلمسان، 2004.
- بن داود نصر الدين، **علماء أسرة المرازقة ودورهم الثقافي بتلمسان من القرن7 هـ/ 13م إلى القرن 10هـ /16م**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي جامعة وهران، 2002-2003.
- بودواية مبخوت، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان 2005.
- بوشقيف محمد، **العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15و16م** رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة وهران، 2003-2004.
- خشاب صادق، **تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغاربي**، نموذج تلمسان رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة تلمسان، 2001.
- خوالد فرحات، **أبو عبد الله بن خميس التلمساني (650-708هـ)**، حياته وأدبه ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الأردن، 1993.
- عبدلي لخضر، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ /1236-1554م)**، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي،جامعة تلمسان .2005-2004

- مكيوي محمد، **الأوضاع السياسية والثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633-737هـ/1236-1239م)**، رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية،جامعة تلمسان،2000-2001.
- هلايلي حنفي، **الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16و17م**، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 1999.

-4- المجلات والدوريات :

- بن عمر هادفي، "**مساهمة رياضيي الأندلس في الحياة العلمية بإفريقية خلال القرون الوسطى**"، ندوة: **الأندلس قرون من التقلبات و العطاءات** ، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز الرياض ،1996.
- بن عود المزاري، "**أولياء وعلماء وهران**"، **مجلة جمعية الجغرافيا والآثار لوهران**، إتحاد اكاديمية وهران، 1977-1978.
- بوعزيز يحيى،" **شخصية عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي ودوره في إقامة** الدولة **الموحدية الكبرى (487-558 هـ /1095-1163م)**" ، **أعمال وحدة البحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**،جامعة وهران،1985.
- جاسم الشمري غازي،" **مدينة ألمرية ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري**"، **مجلة الحضارة الإسلامية**،عدد خاص بالملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي، العدد الأول، السنة الاولى، وهران، 1993.
- حاجيات عبد الحميد ،" **تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط**"، **مجلة الحضارة الإسلامية**،العدد الأول،السنة الأولى، وهران، 1993.
- (ــــــــ،ــــــــ)، "**الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان**"،**مجلة الأصالة** العدد 26،جويلية- أوت 1975 .
- (ــــــــ،ــــــــ)، "**ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين**" ، **مجلة كلية الآداب**، العدد الأول، المجلد الثاني، جامعة تلمسان 2000 .
- (ــــــــ،ــــــــ)، "**عبد المؤمن بن علي**" ، **شخصيته ودوره في تأسيس دولة الموحدين**، أعمال وحدة البحث، جامعة وهران، 1985.

- الدويديري هناء، " **قرطبة مدينة وتراث**"،**مجلة الحضارة الإسلامية**،العدد الأول، السنة الأولى،وهران، 1993.
- سعيدوني ناصر الدين، "**التجربة الأندلسية بالجزائر**"، **ندوة الأندلس**،ط1،مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996.
- شبشون أحمد، "**منزلة العلم والتعليم بالأندلس من خلال رسائل مراتب العلوم لابن حزم**"، **ندوة الأندلس**،ط1، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996.
- عبد الله الحمّاد محمد، "**التخطيط العمراني لمدن الأندلس**"، **ندوة الأندلس**،ط1،مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996.
- عثمان مهملان، "**فضل المسلمين على الطب**"، **مجلة العربي**، العدد 504، الكويت،2000.
- عزوزي حسن، "**التآليف في القراءات القرآنية وخصائصه بالمغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري**" ، **مجلة الحضارة الإسلامية**،العدد الأول،الستة الأولى، وهران 1993.
- لقبال موسى، "**الحلف بين أهل السنة والنكارية في القرن 4 هـ /10م وأثره في تطور أوضاع مدن إفريقية والزاب والحضنة والأوراس**"، **مجلة الأصالة**، العدد 60- 61، السنة السابعة، 1978.
- مؤنس حسين، "**غرناطة تحفة من تحف الفن وعجيبة من عجائب التاريخ**" ، **مجلة العربي**، العدد89،الكويت، 1966.

*** باللغة الأجنبية:**

-1- المراجع:

- Albornoz Claudio Sanchez , **L' Espagne musulmane** , traduction Claud Faraggi , OPU/publisud ,1985.
- Arie Rachel **, L' Espagne musulmane au temps Nasrides ,(1232-1492)** , ed E , de boucard , Paris , 1973.
- Bouali Sid Ahmed ,**les deux grands sièges de Tlemcen** , E.N.A.L Alger , 1954 .

- Bourwiba Rachid , **les inscriptions comoratives des** mosques d’ Algerie , OPU , Alger , 1984 .
- (---------,----------) , **L Art religieux Musulman en Algerie** , SNED Alger , 1981 .
- Dhina Atallah , **les étas de l occident musulman au 13 et 15 siècles** , office de puplication universitaires , Alger , (sd) .
- (---------,----------) , **Le royaume Abdelwadite a l époque d’Abou Hamou Moussa 1er et d Abou Tachefine 1er** , Alger , 1985 .
- Georges Marçais , **Tlemcen** , édition du tell , Algérie , 2003.
- Henri Leon Fey , **Histoire d’ Oran avant pondant et après la domination Espagnol** , édition dar-el-Gharb ,Oran , 2002 .
- Julien Charles Andre , **L histoire de l Afrique du nord** , Paris 1981
- Laroui Abdella , **L histoire du Maghreb** , Maspero , 1976 .
- Philie Araquas , **Brique et architecture dans l’ Espagne médiéval (12-15 siècle)** , casa de valazquez , Madrid , 2003 .

-2- المقالات والدوريات:

- Alwani Kazam**,**" **the neword of irrigation ditches in the Alpujarra of Granada**",**procedings of seminar –Al-Andalus** , vol 3, publications, of kings Abdul Aziz,public library,1996.

- Bouali Sid Ahmed, "**un maître maghrébin méconnu du 13eme siecle-al-Abili-", bulletin de société de géographie** d'archéologie d'Oran 1977-1978.
- Brosslard Charles, "**les inscription de Tlemcen**", **revu Africaine** ,N°14-3eme année, Alger, 1858.
- Castillo pedro jemenz **,**" **Elvidro islamico en Murcia** " **proccidings of seminar al andalus**, vol lll,publications of kings Abdul Aziz , public library,1996.


الفهرس

الفهرس

الفصل الثالث: العوامل المساعدة على تمتين الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس في عهد بني زيان

الفصل الرابع:مظاهر العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس

ملخص:

تتضمن هذه المذكرة دراسة العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني.

فتسلط الضوء على الحياة الثقافية والفكرية في كل من المغرب الأوسط والأندلس خلال الفترة المذكورة، وتتعرض لمشاهير علماء القطرين، مع إبراز دورهم في تمتين العلاقات والروابط الثقافية.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط – الأندلس – العهد الزياني – الحياة الثقافية

Résumé :

Cette étude vise les rapports culturels entre le Maghreb central et l'Andalouse sous le règne Zianid.

Elle consiste à étudié la vie culturelle et les différents personnages (savants, auteurs…) qui ont marqués cette époque, ainsi que leur rôles dans la consolidation des lieux culturels.

Les mots clés : Maghreb central – l'Andalouse – Le règne Zianid – La vie culturelle.

Abstract:

This study deals with the cultural relation ship having existed between the middle Maghreb and Andalousia under the Zianid reign.

It consist in studying he cultural and intellectual life as well the different most Know scholars and their role in consolidating the cultural ties between two continents.

Key words: The middle Maghreb – Andalousia – the Zianid reign - The culturel and intellectual life.